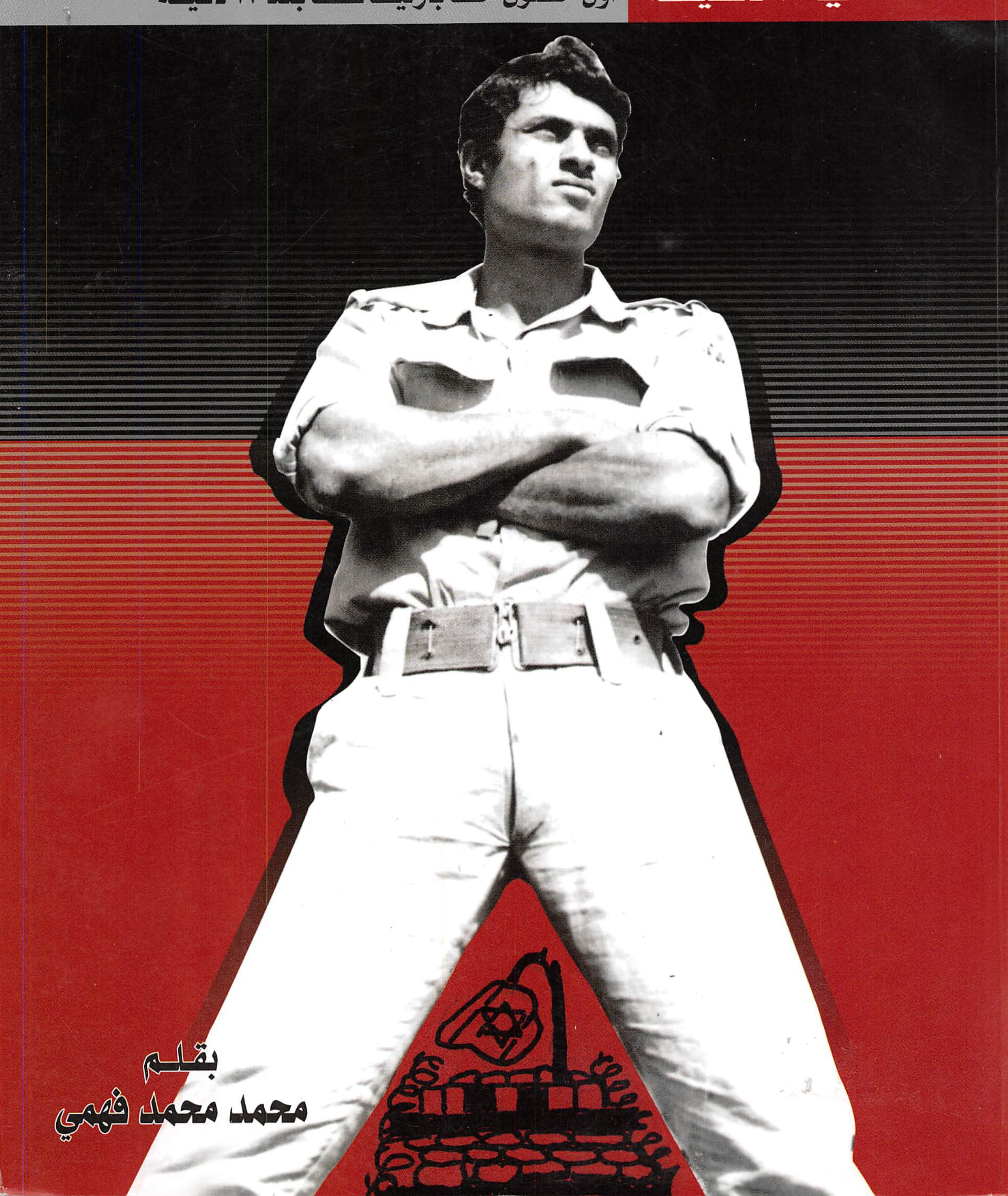
# النذير

## قصة سقوط حصن «لاهتزانيت»

في ١٧ دقيقة أول حصون خط بارليف فقط بعد ١٧ دقيقة



بقلم

محمد محمد فهمي



# خط بارليف الإسرائيلي في ذمة التاريخ

أضاءت حرب أكتوبر ٧٣ الحياة المصرية العربية المعاصرة لتنهي القرن العشرين بقفزة فوق المستحيل من الصراع بين الغرب والعرب. حققت القوات المسلحة المصرية نصراً مباشراً بأيدي رجالها على إسرائيل وأمريكا ووقف بقية العرب متأهبين لمد المعاونة لإخوانهم في مصر فور طلبها. فلم يكن الأداء العسكري المصري بمعزل أبداً عن أداء الشعوب العربية.

كانت سيمفونية متناسقة وكان المايسترو «السادات» وصدحت نغمات النصر من الخليج إلى المحيط . وعلى جبهة القتال المصرية الهب السقوط المبكر لحصن إسرائيل «لاهتزانيت» الحماس في كل المقاتلين على طول الجبهة . سقط الحصن بعد ١٧ دقيقة من القتال الذي بدأ في وضح النهار وتلاه انهيار خط بارليف ولم ينقض الليلة الأولى إلا وتأكد مع الصبح التالي حقيقة النصر المصري على الإسرائيليين.

حققت الفصيلة الثانية بقيادة كل من الملازم محمد فهمي والملازم اسماعيل الزرقا رقماً عسكرياً قياسياً في تاريخ اقتحام الحصون المنيعة . ويجب ألا ينسى تاريخنا العسكري أبدا وفي هبات الزمن رجالاً صدقوا ما عاهدوا الله عليه ومنهم : طلعت مسلم- مصطفى العباسي - وهيب مجلع - رضا محي الدين - عماد عليوه - رضا شلبّي - عبدالعظيم أبوالغيط - سامي أبو السعود- إبراهيم هيبه - مجدي الروبي - مجدي ناشد - الزرقا - رؤوف عمر - محمد عبدالمعطي - فهمي محسب - محمد عامر - عبدالوهاب فهمي - إبراهيم صبحي - السيد السحراوي - الرمال - يحيى عبدالموجود - فتح الله عبدالحميد - محمد سالم - مجدي ناشد - رؤوف عمر - محمد عبدالمعطي - زكريا- السيد ثابت - محمد فطير - فوزي عاكف - عبدالعزيز موافي - أحمد رفعت - حسن الرويني - أشرف النحاس - الدكتور محمد البلك - علي العزبي - وشهيدي الفصيلة الثانية فتحي بدير وتاضرووس اقلاديوس .

وهذه القصة الحقيقية دليل حاسم على المقدرة المصرية العربية عندما تشتد المحن ولا يبقى إلا الرجال للتصدي لها عملاً ثم كتابة التاريخ قولاً.

# النذيـــــر

# قصة سقوط حصن «لاهتزانيت»

## أول حصون خط بارليف

## فقط بعد ١٧ دقيقة

بقلم

محمد محمد فهمي

الطبعة الأولى

الدوحة - قطر

رقم الإيداع بدار الكتب القطرية: ٦٨٧ / ٢٠٠٩ Legal Deposit No.
الرقـــم الدولـــي (ردمـــك): ٣ - ٨٠ - ٤٥ - ٩٩٩٢١ : ISBN



نظرة التحدي

رجال الفصيلة الثانية المشاة حققوا إعجازاً عسكرياً قياسياً في تاريخ الحروب عندما اسقطوا الحصن المنيع والمحمي بمانع مائي «لاهتزانيت» الإسرائيلي في زمن ١٧ دقيقة



وبسمة الانتصار



السادات ..... الرجل الذي بقراره منح الرجال فرصة الإنجاز

# المقدمة

أحداث القصة صور حية سطرت فى حرب ١٩٧٣ ويرويها لنا محمد فهمي وهو من عاش الأحداث بكيانه وشحمه ولحمه وأنفاسه. كان قائداً للفصيلة الثانية المشاة ويحكي لنا قصة ثلاثين جندياً مصرياً هم رجال الفصيلة والذين جاءوا من كل أنحاء مصر حضرها ونجوعها مجندين للخدمة العسكرية وإذا بالتاريخ يرتب لهم لقاء مع الفخر والعزة والنصر.

مجندون مصريون بالجيش المصري كما صرخ فى ماضي التاريخ جدهم «أحمد عرابي»: أن يكون جيش مصر من المصريين و للمصريين . جاءوا من كل صوب وكل منهم يحمل همومه وهموم وطن انتكس فى عام ٦٧ وانخرطوا جميعاً وانصهروا فى التدريب الشاق المتواصل وبعد مرور الأيام الطويلة من الانتظار المؤرق لاسترداد سيناء وفى يوم من أيام الصيام الهادئة على الجبهة المصرية وفجأة وفى وضح النهار انقض الرجال على الحصن «لاهتزانيت» كما سماه اليهود وهو شرق قناة السويس عند علامة الكيلو متر ١٩ جنوب بورسعيد . وكان انقضاض الرجال أجلا محتوما للجنود الصهاينة الذين احتموا بالحصن الذي سقط بعد ١٧ دقيقة قتال وقتل الجنود المصريون ٢٠ قتيلاً من الجنود الإسرائيليين والقوا بجثثهم فوق سطح مياه القناة وفى دقائق تالية استسلم ٢٢ إسرائيلياً وكان من بينهم النقيب قائد الحصن رافعا يديه وانتزع عنه الملازم محمد فهمي مسدسه وقماش رتبته العسكرية وحزام الوسط وتصادف أن كان بين الأسرى ضابط من الموساد والمعلومات التي اعترف بها مبكراً ساعدت كثيراً القوات المصرية التى كانت أيضاً قد بادرت فى عبور قناة السويس على كل طول مجراها لاقتحام الحصون الإسرائيلية التى تكون فى امتدادها بطول شرق القناه خط بارليف الإسرائيلي.

عثر المقاتلون فى أحد الخزائن الحديدية بالحصن على ٦ مخطوطات يدوية باللغة العبرية ذات غلاف أحمر من الجلد الذى سواه التاريخ تعود لعام ١٦١٥ وكلها تفضح التآمر اليهودي في

ألمانيا وفى أوروبا وفى أفريقيا وفى جزيرة العرب وبها رسومات لخططهم في أفريقيا وآسيا بسبب إحساسهم وتوقعاتهم أن وضعهم في أوروبا صار ميؤوساً منه .

كان حصن «لاهتزانيت » أول السقوط لخط بارليف والذي شيدته أيدي اليهود فى سنوات وهدمته الأيدي المصرية فى ساعات وأضاف سقوط الحصن الموجود جنوب مدينة بورسعيد لوحة أخرى من لوحات خلود هذه المدينة ورقماً قياسياً في تاريخ اقتحام الحصون.

وأحداث القصة كتبت من مذكرات الخط الأصلية التى كنت أدون بها الأحداث فور وقوعها والأسماء التى وردت بها حقيقية وترمز إلى أصحابها الحقيقيين .

وأقول لأبنائي خالد وطارق وشروق ولزوجتي وأمي وأبي وإخواني وأخواتي وإلى الأجيال القادمة من شباب العرب : تذكروا دوماً شجاعتنا وجبنهم؟؟؟.

وكما لا يفوتنا إسداء الشكر إلى كل من ساهم وساعد في إخراج هذا العمل إلى الوجود ونخص بالشكر كل من قدّم الإخراج الفني : محمد زكريا ، وتصميم الغلاف : عمرو مصطفى ، والتصحيح اللغوي السيد راشد الوصيفي، وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين.

**المؤلف**
f.deepin@yahoo.com

# أحداث القصة

## (١) السادات يريد أن يطمئن ؟؟

عقارب الساعة ..... البطيء.. يشير للثانية ظهراً وعقرب الدقائق سكن عند الدقيقة ١٨ وعقرب الثواني يقفز تجاه الرقم ١٢ عندما صرخ الملازم محمد بأعلى صوته...... «يامجدي.... أنا قتلت الإسرائيلي .... قتلته خلاص .... اللي كان بيرمي عليكم القنابل... ادفع جنودك إلى الداخل الآن.... بسرعة ... بسرعة».

وفي أقل من ٢٠ ثانية تدفق جنود الفصيلة الأولى كالبرق من أسفل الساتر الترابي قافزين فوق الخندق العلوي للحصن اليهودي وانتشر الجنود في أركان الجزء اليسار وأعلى الدشم وداخل الخنادق وسدوا على الإسرائيليين جميع منافذ الحصن وفتحات مزاغل الدشم وسبقهم جنود الفصيلة الثانية في إحكام السيطرة على الجانب اليمين من الحصن ووصل قتلى الإسرائيليين ٢٠ جندياً . وكتم الإسرائيليون المختبئون داخل عمق دشم الحصن أنفاسهم وغلقوا متاريس الأبواب المعدنية وصاروا كالفئران المزعورة داخل المصيدة .

**« آلو .... آلو ... صقر واحد... أزرق اثنين ينادي....»**

وجاء الرد ....   «أنا أراك أعلى الحصن ... أفد عن موقفك ؟؟... أزرق اثنين»

**« صقر واحد الآن سعت ١٤١٩ تمام تنفيذ المهمة ١ ... قتلى العدو ٢٠ والباقي محاصر وتحت السيطرة داخل الدشم - قتلانا جندي واحد غريق عند العبور ... نحن نستعد الآن لاقتحام وتدمير الدشم من الداخل »**

« صقر واحد ينادي ... أزرق اثنين.. .. حاصر الدشم.. أخرجوهم أسرى... نريد أسرى ... استمر في تنفيذ بقية المهام .. انتهى»

كان المنادي هو قائد الفصيلة الثانية والتي عبرت القناة بأقسامها وفي ثلاث قوارب مطاطية واعتلت الساتر الترابي وتابعت قتالها على الجانب اليمين من الحصن واخترقت خنادقه محققة قتل فوري في جنود العدو ثم التفت إلى الجانب الأيسر من الحصن للقتال والإلتقاء مع الفصيلة الأولى والتي كانت مهمتها المبكرة أن تستولى على الجانب اليسار من الحصن .

وجاء الرد على المنادي من قائد السرية «**النقيب مجدي الروبي**» الذي كان يراقب القتال عن كثب وقد إعتلى في حذر ويقظة إحدى دشم الحصن .

وتوالت البلاغات من قائد إلى القائد التالي وصولا إلى مقر قيادة القوات المسلحة المصرية وكان به أنور السادات وبقية القادة وسمع أنور السادات أول بلاغ يصل للمقر عن نجاح وحدة عسكرية في عبور واقتحام أحد حصون خط بارليف والسيطرة على الحصن فقال السادات بصوت منزعج «**معقول ..... بهذه السرعة ... أنا عايز بلاغات دقيقة .. عاوز اتكلم مع قائد اللواء اللي وحدته هاجمت ونجحت ... يكلمني بسرعة من داخل الحصن**»

الضباط والجنود وهم لايزالون في حالة قتال وترقب وحذر ولكنهم كانوا قد وزعوا أنفسهم لحصار الدشم بإحكام وفوجئوا أن العقيد مصطفى العباسي قائد اللواء يتحرك لداخل الحصن وينادي على الملازم محمد والذي اقترب منه وكان العقيد مصطفى قد بدأ حديثه في جهازه اللاسلكي :

«نعم .. سيادتك أنا داخل الحصن الآن وأرى جثث الإسرئيليين القتلى .. وجنودناً يحاصرون بقية الدشم هم مستعدون لتطهيرها من الداخل ... أيوه يافندم ... موجود بجانبي ؟؟؟ وسلم العقيد العباسي السماعة اللاسلكية للملازم محمد قائلاً له : رد على الرئيس السادات .

**السادات : «أنت منين يا محمد ؟»**

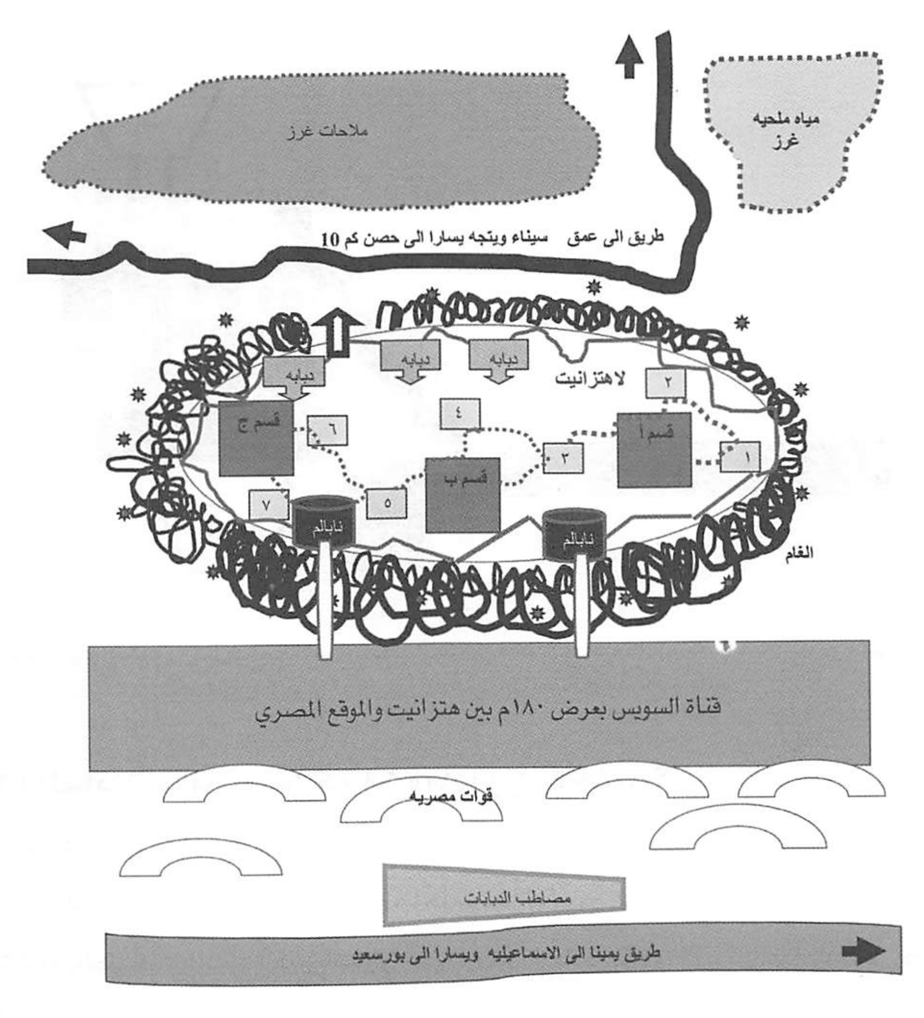
«من الشرقية – أبو كبير يا فندم – وساكن في العباسية»

**السادات : «احكي لي آيه اللي حصل ؟»**

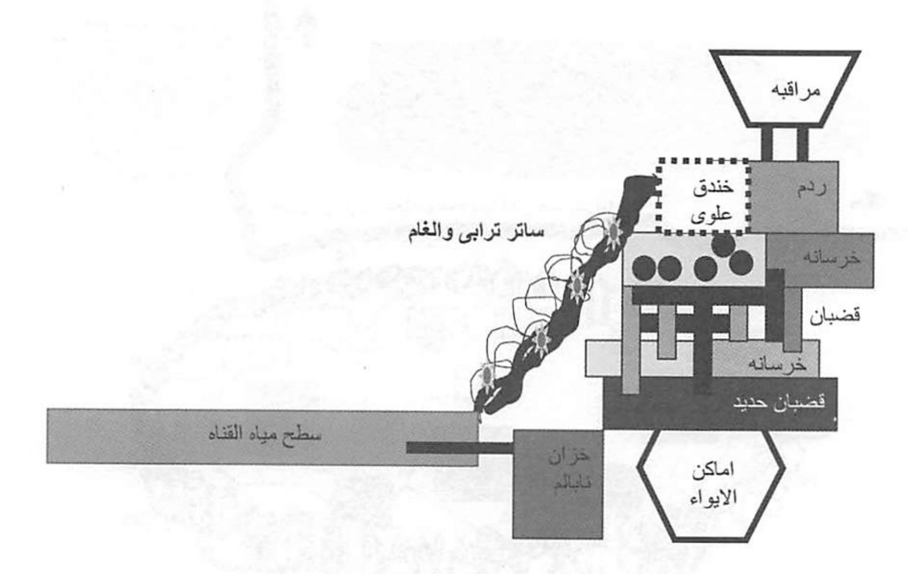
«كله تمام يافندم – عدينا القناة وهاجمناهم بسرعة عالية وجنودي قتلوا منهم ٢٠ وده أفضل كتير من كل التدريبات اللي كنا عملناها من قبل»

**السادات : «كمل شغلك يابني زي مابدأت وأحسن – أنت عارف بتوع العباسية مجانين لكني عاوزك عاقل».**

وهكذا استمرت عجلة القتال تدور بين المصريين والإسرائيليين في أحداث حرب ١٩٧٣. إلى أن وافق السادات على إيقاف إطلاق النيران بين الجانبين تحت ضغط من أمريكا وهلع في إسرائيل.




حصن لاهتزاينت كان يقع على قناة السويس من ضفتها الشرقية عند كم ١٩ جنوب مدخل بورسعيد من طريق الإسماعيلية وهو محاط بأسلاك كثيفة كونسرتينا «ألغام» أفراد ويتكون من ثلاثة أقسام من الدشم الكبيرة الخرسانية والتي يرتفع أعلاها عن سطح الأرض ١٨ متراً وبها إماكن أيواء الجنود في أقصى عمق الأرض مزودة بتيار كهربائي وتتصل بها دشم صغيرة وخنادق للمناورة وتحاط دائرياً بخنادق للنيران والحصن به ١-٢ فصيلة مشاة + ٣ دبابات + ٣ أطقم هاون + رشاشات متوسطة + احتياط قريب نجدة سرية دبابات على بعد ٣ - ٤ كم وتحميها ضربات مدفعية وطيران عندما يختبىء الجنود داخل الدشم ويترك المهاجم بالخارج للضربات + فتحتان ضخ نابالم على القوات في مياه القناة والإشعال.




قطاع رأسي للدشمة (٣) من دشم الحصن وصفوف التعلية من قضبان حديد وكتل خرسانية وشباك معدية مملؤة حجارة وشكاير رمال والساتر الترابي المائل على القناة ومغطى بالسلك والألغام.

## (٢) السادات يزور حصن كم ١٩ وماذا روى للجنود ؟

وصلت في المساء إشارة من القيادة أن الرئيس السادات سوف يزور القوات المصرية في الخط الأمامي للقتال وتحدد توقيت سعت ٨٠٠ صباحاً موعداً لحضور الرئيس لزيارة موقع حصن كم ١٩ والإلتقاء بالضباط والجنود الذين استولوا عليه . وكان إيقاف إطلاق النيران قد أعلن قبل بضعة ساعات في الصباح اليوم السابق . وكان على مجدي الروبي قائد السرية أن يستدعي الفصيلة الثانية والتي كانت قد تحركت إلى مسافة ٩ كيلومترات في العمق لكي تحقق تلاحماً بالعدو وأيضاً يستدعي الفصيلة الأولى والتي كانت قد كلفت بمهام كمائن على مسافات بين ٤-٥ كم وفي اتجاهات متنقلة . وعاد معظم جنود الفصيلتين قبل منتصف الليل إلى موقع الحصن انتظاراً لزيارة الرئيس . لكن ظهرت مشكلة غريبة بين العسكريين؟؟ عدم تواجد قائد الفصيلة الثانية وبرفقته مجموعة جنود! فقد تحركوا بجنح الظلام لعمل كمين لواحدة من دوريات العدو ورغم وصول أوامر وقف إطلاق النيران . وكرر قائد السرية محاولات النداء اللاسلكية على قائد الفصيلة ولكن دون جدوى

وهنا أدرك النقيب الروبي أن الملازم محمد لن يعود إلا بعد أن ينفذ ماخرج من أجله وقد أخبره الملازم إسماعيل الزرقا وهو قائد ثاني الفصيلة أن محمد خرج مستهدفاً إحدى عربات دورية إسرائيلية نصف جنزير دائماً تتحرك وبها ٤ أفراد وكان يقول عنها محمد « فرصة يجب ألا تضيع، لأنها عربة قائد جبهة العدو الجنوبية».

علم بهذا الموقف اللواء يسري ويبدو أنه كان منسقاً لزيارة الرئيس السادات فأصر على ضرورة رجوع الملازم محمد والجنود برفقته دون أي أعمال قتال وخاصة أن أمر إيقاف النيران قد صدر. واضطره ذلك إلى التحرك بنفسه بحثاً عنهم مصطحبا معه أحد ضباط الإستطلاع . وتمكن من تحديد مكانهم واقترب منهم بحذر وهمس مستفسراً من الملازم محمد قائلاً: «ألم تعلم بأمر إيقاف إطلاق النيران؟ » ورد الملازم محمد هامساً أيضاً » : ولكن هناك مهلة زمنية ٢٤ ساعة للتنفيذ!» فقال اللواء يسري آمراً : « أنا أمرك الآن بالعودة فالرئيس السادات سيزور موقع الحصن بعد سبع ساعات ويريدك في انتظاره « فتوسل محمد راجيا » أرجوك يافندم دعني أقدم هدية للريس عندما يحضر – و هذا الصيد سوف يبهجه؟ »ويبدو أن الفكرة أعجبت اللواء يسري أو كانت لاتزال لديه أيضاً الرغبة في استمرار القتال مثل بقية المقاتلين الذين أسخطهم التوقف للقتال – فرد هامساً «المهم عليك التواجد داخل الحصن قبل موعد الزيارة بساعة على الأقل» – ثم قفل عائداً بصحبة ضابط الإستطلاع وترك محمد ينتظر صيده ؟.

منذ السادسة والنصف صباحاً بدأت السيارات الجيب تصل إلى موقع الحصن وبدأ على وجوه الحاضرين فرحة عارمة وابتهاج . مدخل الحصن من ناحية إتجاه بورسعيد هو المستخدم لدخول الزيارة وتحضرت عليه بوابة رسمية ومجموعة حرس شرف وهو مرتفع جداً وشاهق عن صحن الحصن ورغم لون الحرائق الأسود الذي كسا جدران الحصن من آثار المدفعية والتفجيرات أثناء القتال إلا أنه امتزج مع الأعلام الملونة والمرفوعة هنا وهناك وصار المنظر العام للحصن وكأنه لوحة فنية متحركة تموج بالأصوات .

أصطف جنود السرية بالفصائل الثلاث وأمام كل فصيلة اثنان من الضباط وأمام الجميع النقيب مجدي الروبي ويقف على يمينه بحوالي عشرة أمتار ثلاثة جنود إسرائيليين مكتوفي الأيدي والأرجل ويملئهم الخوف . والكل الآن في إنتظار وصول السادات ومن المتوقع أن يكون بصحبته

بقية القيادات التي لم يظهر منها أحد حتى الآن ربما لأنها تحظى بشرف اللقاء الأول معه في مقر القيادة داخل مدينة بورسعيد .

عند الثامنة وعشرة دقائق ورد اتصال يؤكد أن السادات على مسافة ٥ دقائق فقط من مدخل الحصن قادماً على الطريق شرق قناة السويس مخترقاً بقية مواقع القوات المصرية .

الكل في حالة ترقب . صوت يعلو عند بوابة الدخول «سلام رئيس الجمهورية سلام سلاح» ومرت كوكبة من السيارات هابطة إلى صحن الحصن وتوقفت السيارة الأولى أمام الجنود وخرج من باب السائق الرئيس السادات ملوحاً بيديه وتعالت الهتافات « الله أكبر » « الله أكبر » « الله أكبر » « الله أكبر » « الله أكبر » « الله أكبر » « الله أكبر» « الله أكبر » « الله أكبر » وأزرفت كل العيون بالدموع ثم أشار السادات بكفيه ورأسه طالباً من الجميع الاستماع ومرّت ثواني وبدأ الضجيج والصخب يخفت وأطبق الصمت وهنا تحدث السادات :

«**فين الضابط محمد بتاع العباسية**» فرفع محمد يده اليمنى في حركة عسكرية ولكن السادات صاح بقوة تملؤها الفرحة «**تعالى عندي**» وخرج إليه الضابط محمد من بين الصفوف منطلقاً كالسهم واقفا أمام القائد الأعلى للقوات المسلحة ومؤدياً التحية العسكرية ولكن السادات بادره بأن لف زراعيه حوله في حضن أبوي وقبله على خديه ثم أرخى زراعيه وهنا اخرج محمد من جيبه بوصلة عسكرية وقدمها للسادات قائلاً :«قتلنا أمس قائد جبهة العدو وهذه بوصلته وعليها رقم ١٤٠٦٧٠» .

وجلس السادات أمام الجميع على كرسي خشبي وكان يرتدي بدلة مدنية صيفية بنية اللون بكم طويل وتفوح منه رائحة عطر نفاذة . وهنا أشار العقيد العباسي بيده تجاه الأسرى الثلاث موضحاً للسادات «آخر الأسرى ياريس».

## (٣) حديث السادات كما قاله هو :

**«أنتم عارفين يا أولادي أن أنا جيت لكم مخصوص في أول زيارة للجبهة ليه ؟؟؟ أصل أنتم مش عارفين قيمة اللي انتوا عملتوه للبلد كلها. أنا جاي أحكيلكوا وأنتم بعدين تفهموا. يوم الحرب كنت أنا جالس مع كبار القادة وكنتم أنتم على وشك انكوا تعبروا وتحاربوا . يعني حوالي الساعة الواحدة ونص الظهر . وبعدين أنا قلت لما أدردش مع القادة لأن القلق كان ماسكني . فسألت يا أخوان إيه تتوقعوا للعبور بتاعنا اليوم؟ . ولا واحد رد. وكل واحد يبص للتاني .فقلت**

مرة ثانية لهم طب يعني نسبة النجاح أد إيه . ورد الشاذلي وقال هو من حيث النجاح فيه نجاح إنشاء الله أكيد بس فيه خسائر ؟ ورديت عليه أنا : طبعاً فيه خسائر .. مش دي حرب ؟ وسألت تاني أد إيه تكون الخسائر؟؟ ولقيت مفيش رد وبعدين وجهت السؤال لرئيس المهندسين فرد عليّ حوالي ٦٠ لـ ٨٠- في المية خسائرأول موجة عبور. وحسيت بألم شديد في معدتي وقلت لهم أنا هاشرب البايب واللي عاوز يدخن يدخن ... وفضل الجميع في صمت طويل بس فيه قلق هنا وهناك وبعدين عرفت أن الطيران اتحرك يضرب وبعدين عرفت أن المدفعية اشتغلت وبعدين عرفت أن دلوقتي يبدأ العبور. وقلت لنفسي لسه وقت طويل لما تيجي الأخبار .. وكنت قلقان قوي من حكاية ٨٠٪ دي وسرحت وافتكرت جمال عبد الناصر لو كان معايا دلوقتي ... وفجأة لقيتهم بيقولوا لي فيه حصن استولينا عليه ولقيت الساعة في إيدي اثنين و١٧ دقيقة ... قلت لنفسي هو أحنا هنعيد تاني كدبة ٦٧؟؟؟ - قلت لأحمد إسماعيل مش معقول؟؟ طب خليني اتكلم مع قائد التشكيل بس يروح يكلمني من داخل الحصن.. ورد عليّ العباسي .. وبعدين كلمت الضابط محمد وحسيت أن ده حقيقي .. كل ده واللي حولّي من القادة ساكتين ولما سمعوا كلامي على الجهاز وعرفوا أن ده حصل فعلا قاموا يرقصوا ....واحد من القادة زاح سجلات الحرب عن مكتبه وطلع فوقه يرقص وبعدين نزل وجالي وقالي .. ربنا ناصرنا ودي البشارة.. وبعد كده لعبنا بالورقة دي كويس جداً مع باقي قواتنا وأرسلنا لهم إشارة بشارة وأرسلنا للجنود الإسرائيليين أمارات من الحصن تدل على أننا استولينا عليه وكانت الضربة بتاعتكم ونجاحكم السريع ده عامل زي الشرارة اللي ولعت في القش .... بعدما القيادة بلغت خبر نجاحكوا إلى باقي التشكيلات حسينا كلنا في القيادة أن فيه تغير حصل.... الروح المعنوية في كل حتة وصلت للسما».

وفي هذه اللحظة سرت همهمة بين جنود الفصيلة الثانية وسرعان ماعلت صيحاتهم الجنونية هاتفين «الوحش» ، « الوحش» «الوحش » وانتصبوا من جلوسهم وحملوا الضابط محمد على الأعناق عنوة عنه وهو يحاول منعهم ولكن الكثرة غلبت الشجاعة . ثم هدأ الجنود والسادات يبتسم وكأنه يؤيد مافعلوه ثم بدأ في مصافحة الجنود ثم تفقد الحصن لبعض الدقائق ثم أعطى أمراً بإنتداب الضابط محمد للعمل في قيادة الحرس الجمهوري ثم غادر الحصن تتبعه كل العربات وانتهت الزيارة.

## (٤) أضواء على الماضي وتسلسل الأحداث :

أمضى محمد دراسته للمرحلة الثانوية بالمدرسة التي تقع وسط أحد ميادين العباسية وهي المدرسة ذات السور الحديدي الذي يكشف خلفه المبنى الأبيض ذو الطابقين والذي يمتد شاغلاً بانوراما كل الميدان فهي«مدرسة العباسية الثانوية » والاسم تغير فيما بعد إلى «مدرسة إسماعيل القباني» ويفصل بينها وبين مدرسة العباسية الإعدادية شارع واحد وكانت مظاهرات الطلبة عندما تبدأ تخرج بزعامة طلبة الثانوي ثم يمرون على طلبة الإعدادي فيخرجوهم ليلحقوا بهم في المظاهرات. كان طموح محمد أن يكون طبيباً جراحاً منذ أن كان في المرحلة الإعدادية يهوى تخدير وتشريح الحشرات . الأنشطة الطلابية في العباسية الثانوية متعددة بين الرياضة والثقافة والرماية. ويمتلك محمد مواهب جعلته يتنقل بين عدة أنشطة ويبرع فيها . فقد كان يهوى الرماية وتمكن من الفوز ببطولة المدارس الثانوية للرماية من البنادق الرش «وولتر» . مارس كرة السلة وكان «البلاي ماكر » أو صانع ألعاب الفريق بالمدرسة وكان من المفضلين جداً لدى الأستاذ جمال عبد المعطي مدرس التربية الرياضية وكان يكرر دائماً قوله عنه «**الواد محمد ده عليه مهارات تجنن** » وحظي بالصدارة في فريق كرة القدم بأن كان كابتن الفريق والذي يدربه الأستاذ محمد حسن مدرس التربية البدنية ويعاونه أيضاً كل من طه بصري وعمرو النور وهما من لاعبي نادي الزمالك ويقضيان فترة التدريب العملي لطلبة كلية التربية البدنية . ومارس أيضاً كرة اليد وكان يلعب لفريق نادي الطيران . وكان ضمن فريق المدرسة الثانوية لجري سباقات السرعة والوثب بالزانة وبإشراف الأستاذ رجب والذي حصلت فرقة على بطولة الجمهورية .

ومن أهم الأنشطة في المدرسة تلك الجماعة المسماة «جماعة الفتوة» وهي جماعة شبه عسكرية تتولى مسؤولية الإنضباط على بوابات الخروج والدخول للمدرسة. ويرتدي طالب الفتوة قميص رصاصي اللون وبنطلون أزرق وحزام أبيض عريض وحذاء أسود برقبة طويلة ويعلوه الجدر الأبيض وفاروقية فوق الرأس .وكان مسؤول النشاط العسكري في المدرسة المقدم نبيه غالي وهو طبعاً الوحيد الذي يرتدي الملابس العسكرية كضابط وكان يراه محمد «غاية في الأناقة » وهذا ماشجعه على الانضمام للجماعة منذ أولى ثانوي إلى أن صار رئيسها في الثالث الثانوي .

تعلم محمد أثناء ممارسة نشاط جماعة الفتوة كيف يكون قيادياً وكان أفراد هذه الجماعات

يلعبون دوراً آخر خارج المدرسة وفي أوقات «الغارات الجوية» التي كانت تشنها الطائرات الإسرائيلية فقد كان الطلبة ينتشرون بسرعة في الشوارع ينبهون الناس ويوجهونهم إلى المخابىء وينادون بأصواتهم ليلاً «طفي النور » حتى يسود الظلام الدامس فلا ترى الطائرات أهدافها ... أو كما كان الناس يظنون ذلك؟ وكانت البيوت تصنع سواتر من الطوب الأحمر والأسمنت مرتفعة أمام كل مدخل لوقاية السكان وكان زجاج نوافذ البيوت يدهن باللون الأزرق وكان معروفاً للسكان أن يتوجه كل منهم إلى أقرب «بدروم » في حالات الإنذار بغارة جوية .

وفي ذات مساء وبدأ إنذار بغارة جوية وانطلق محمد كالبرق هابطاً سلم المنزل من الطابق الخامس لينادي على سكان البيوت في الشوارع لإطفاء الأنوار وقادته قدماه إلى الشارع الرئيسي رمسيس بجوار «حديقة أحمد ماهر» بالعباسية وإذا به يلمح ضوءاً في مكان مرتفع يلمع وسط الظلام الذي تغرق فيه العمارات العالية . ظل محمد يجري مقترباً من مصدر الضوء ويجري ... ويجري ... ويجري، وأنهكه التعب ولكن الإصرار تغلب على الإرهاق وتابع محمد تنفيذ مهمته وهو لايزال يرى الضوء الساطع والذي يزداد ارتفاعه إلى أعلى كلما اقترب محمد منه . مضى أكثر من ٤٠ دقيقة وهو لايزال يجري حتى تمكن من تحديد مصدر الضوء بدقة في الدور الأخير من إحدى العمارات الشاهقة .. ودخل العمارة وتابع الجري صعوداً على السلالم وهو ينهج إلى أن وصل إلى باب الشقة التي ظن أنها مصدر هذا الضوء اللعين الذي بدد أمن الظلام . طرق الباب بشدة وهو يصرخ « طفي النور » ، « طفي النور» وبعد لحظات فتح الباب رجل مسن أبيض الشعر تبدو عليه علامات من كان مستغرقاً في النوم العميق. تنبه الرجل وأطفأ الأنوار وتحرك محمد هابطاً درجات السلم في هدوء وما أن خرج من باب العمارة حتى أدرك أنها العمارة المشهورة «عمارة أفرست » وتقع أمام محطة سكة حديد مصر بميدان رمسيس ؟؟

كان الشباب في حي العباسية يمضون أمسيات الظلام الدامس في سرد القصص والحكايات عما دار في ٦٧ ولكن لم تعلق بذهن محمد أي من هذه القصص وكان يرفض أن يصدق أي قصة أو أن يدخل إلى ذهنه أي صورة تعبر عن الهزيمة أو تنتقص من قدر ضباط وجنود مصر بل على العكس فهناك صورتان علقتا بشدة في ذهنه منذ الصغر ، فالأولى كانت لمجموعة من ضباط الحرس الجمهوري في زيهم الملون واللامع وهم يسيرون بشموخ ويدخلون إلى منزل العقيد «رفعت

الفار» وكان يقطن الدور الأول في بناية بشارع محمد رفعت والصورة الثانية لرامي بطل مصر «سميرصديق» وهو يقف مستنداً على شرفة منزله بالدور الأرضي وتبدو من خلفه وعلى رف على الحائط مجموعة كؤوس قد فاز بها في بطولات الرماية وكان معروفاً بلقب بطل الجمهورية وهو أيضاً يقطن شقته في نفس شارع محمد رفعت .

أنهى محمد امتحان الثانوية العامة وظهرت النتيجة ولم يعد قادراً على تحقيق طموحه ليكون طبيباً جراحاً لأنه حصل على مجموع ٦٩٪ ولذلك حدد رغبته الأولى في دراسه اللغات الأجنبية .

## (٥) تغيير المسار :

في نهاية شهر مارس عام ١٩٧٠ وكان اليوم الخميس وفي أحد سكاشن مدرسة الألسن جلس محمد وعاطف الغباشي وعصام عليوة في آخر الصفوف منفردين .عدد الصفوف الأمامية أربعة وبكل صف ست بنات والجميع يدرس الأسبانية مع الفرنسية . وتقع مدرسة الألسن في شارع الأصبغ بحي الزيتون بالقاهرة. وكان قد مضى من زمن الدراسة بالصف الأول حوالي خمسة شهور واقترب وقت الامتحانات .ومضت الأيام ثقيلة على محمد رغم إنه كان محبوباً جداً من كل البنات وهن دوماً يحطن به .

بنهاية فترة المحاضرات الأولى لنفس الخميس توجه محمد إلى كافتيريا الطلبة وإذا به يجد أحب أصدقائه ينتظره وهو يرتدي زي طلبة الكلية الحربية وكان واضحاً جداً أن الزي العسكري يثير إقبال واهتمام فتيات المعهد كالفراشات التي يجذبهن الضوء.

أخبر محمود طالب الكلية الحربية وكان بالقسم المتوسط صديقه محمد أن الكلية الحربية سوف تفتح باب التقدم لقبول دفعة جديدة من الطلبة خلال الشهر التالي وكأن الخبر أضاء ولمعت لأول مرة فكرته في ذهن محمد وسأل نفسه في صمت «لماذا لم أتقدم من قبل للالتحاق بالكلية الحربية؟؟».

وهذه المرة أجاب محمد على السؤال بأن توجه إلى مكتب القبول للكلية الحربية والذي يقع على طريق مطار القاهرة واشترى ملف الأوراق اللازمة لمن يريد الالتحاق . هذه الخطوة الجديدة اشعلت حماساً دفيناً في قلب محمد وظل يشعر بصراخ من الفرحة المكتومة بداخله لايسمعها أحد إلا هو.

مرّت الأيام سريعة وانتقل محمد معها من مرحلة إلى أخرى من إختبارات الطلبة المتقدمين للحربية إلى أن تأكد من نجاحه في القبول بالكلية الحربية صباح يوم أحد وكان عليه أن يقدم نفسه إلى الكلية نهائياً للدراسة الداخلية يوم الخميس التالي . وهنا فقط قرر محمد أن يخبر أسرته بهذا التطور الذي نفذه في صمت وسرية وقد رحب كل أفراد الأسرة بالفكرة واستحسنها جداً جداً والده ووالدته.

## (٦) إلى السودان :

توجه محمد صباح الخميس في سيارة ستروين سوداء مع والده ووالدته إلى الكلية الحربية بضاحية مصر الجديدة وكانت الساعة تقترب من الثامنة . ودع محمد والده ووالدته ودخل من باب الكلية المخصص لإستقبال الطلبة الجدد الذين تزاحموا على الدخول وانخرط في إجراءات متتابعة وسريعة أولها أن حلق شعر رأسه زيرو وآخرها أنه في الجو يجلس داخل طائرة نقل حربية وبرفقته مجموعة كبيرة من الطلبة القرع والرابط الواضح بينهم أنهم جميعاً أسماؤهم تبدأ بـ «محمد» وكل منهم يحتضن حقيبة قماش أسطوانية بها مهماته العسكرية وتكاد الطائرة تهبط في مطار الخرطوم وكانت الساعة قد قاربت الواحدة ظهراً من نفس اليوم الخميس.

سارت بهم العربات المكشوفة تحت حرارة الشمس وهم لايزالون بملابسهم المدنية متجهون خارج مطار الخرطوم وإلى منطقة تبدو نائية حيث أقيم معسكر خاص وكان في استقبال الطلبة القادمين الجدد قدامى طلبة القسم الإعدادي وهم في زي موحد عبارة عن قميص نصف كم وبدون ياقة كاكي اللون من قماش خفيف وشورط كاكي وعلى الرأس طاقية لها رفرف أمامي ومن الخلف لها زيل كبير يغطي الكتفين وفي القدمين صندل من البلاستك لونه بني . هؤلاء هم الذين يتولون الآن قيادة الطلبة وكان الاستقبال صاخباً من جانب القدامى وكأنهم كانوا جوعى ووجدوا أخيراً ضالتهم . أنهالت منهم الأوامر المتنوعة والأصوات العالية والصريخ بالتأنيب للجدد على كونهم لايعرفون شيئاً عن العسكرية وأنهم لايزالون «خضر ومرفهين» وكان الاستقبال أشبه بالصدمة الكهربائية التي سلطها الطلبة القدامى على الطلبة الجدد وهم يمارسون عليهم تعلم إعطاء الأوامر لكنها كانت أوامر مستفذة منفرة لم يعتادها بعد الطلبة القادمون من القاهرة.

وفي وسط هذا الصخب المفاجىء لمح محمد أحد أصدقائه من فصله الثالث الثانوي وظن أنه قد وجد ملاذاً من هذا الاستقبال المقيت وبدر ينادي على صديقه « **شهير .... شهير .... شهير**».

واقترب الصديق صارخاً بأعلى صوته في وجه محمد « **الرقيب شهير يا ملكي ... ألا ترى الثلاث شرائط الحمر على ذراعي .... كل شريط لو القيته في البحر الأبيض لغير لونه إلى الأحمر ؟؟؟؟** »

وإذا بالطلبة القدامى يساندون زميلهم و يلتفون حول محمد والذي كان من الواضح أنه ارتكب جرماً كبيراً عندما نادى أحد القدامى باسمه دون أن يذكر رتبته . وانهال الطلبة بأوامرهم المزعجة على محمد في شبه استقبال منفرد. ويا فرحة لم تكتمل وهل ستستمر الصداقة القديمة سبباً للازعاج أم سوف تتغير الأمور بعد «الوش الأول»؟؟

وتعلم الطلبة الجدد في هذا الاستقبال الخاطف أموراً كثيرة ولكن بسرعة وبقسوة .... مثل معنى الطاعة الفورية للأوامر ومعنى القيادة لمن هو الأقدم ومعنى الدقة في تنفيذ الأمر ..... وتوجه الطلبة الجدد في صفوف منتظمة إلى الغذاء وكان موعدهم لتعلم مراسم تناول الطعام بالطريقة العسكرية وعند العاشرة من مساء نفس الخميس ومع صوت البروجي ناموا مرهقين فعليهم الإستيقاظ المبكر لممارسة الرياضة .

طابور الرياضة مبكر جداً وتقريباً كان توقيته مع انبلاج أول خيط من خيوط الفجر فقد تجمع الطلبة وهم جلوس على الأرض يرتدون ملابس الرياضة وأمامهم مدرسو اللياقة البدنية من الضباط ويرتدون زياً أبيض وأثناء إعطاء قائد الطابور التوجيهات للطلبة بكيفية تنفيذ الجري لمسافات طويلة وما هي العلامات على خط السير فاجأهم الضابط بأمر وبصوت هادىء «**أجري يا طالب**». ....... فانساب الطلبة في جري مسافة ٤ كيلو مترات «ضاحية» وفي تنافس لأن الدرجات الأعلى تمنح عن الزمن الأقل في الوصول وكلما زاد زمن الوصول لنقطة النهاية تنقص الدرجة.

وعقب إفطار صباح يوم الجمعة تقدم عدد كبير من الطلبة الجدد برغبتهم في الاستقالة . وفاجأ هذا التصرف منهم الضباط معلمي الكلية ولم يكن قد مضى على وجودهم إلا أقل من ٢٤ ساعة فأعطى القائد بسبب هذا التصرف توجيها للطلبة القدامى بتخفيف ضغطهم على الجدد خلال الأسبوع الأول وحتى يعتادوا على مناخ الكلية الحربية والعسكرية الصارمة بجانب حرارة جو السودان؟

وهكذا صار محمد واحداً من طلبة القسم الأساسي بالكلية الحربية المصرية ولكن ولدواعي الحرص والسلامة كان تدريب القسم الأساسي يجري في السودان الشقيق . عايش محمد سنة ١٩٧٠ نصفها الأول بصحبة أربع وعشرين فتاة من جميلات المجتمع والمهتمات باللغات الأجنبية في قسم الأسباني بمدرسة الألسن بينما قضى النصف الثاني بين رفقائه من الشباب القرع في حرارة السودان وعز صيفها ومع التدريبات العسكرية الصارمة ولكنه أحب جداً هذا التغيير وكأنه قضى كل عمره يبحث عنه إلى أن وجده.

تعود الطلبة في السودان على الحياة في عراء الطبيعة فليس لديهم سوى الخيام البسيطة حيث يسكن كل أربعة خيمة واحدة ولاتوجد أي مباني إلا مبنى واحد كبير يتسع لهم جميعاً عند تناول الطعام في توقيتات محددة وكانت هناك مجموعتان من دورات المياه كل مجموعة تحتوي على حمامات مصنوعة من الخشب والصاج وأمام كل صف من الحمامات صف آخر من أحواض غسيل الملابس ويقع في الخلف من الحمامات أماكن قضاء الحاجة وهي غرف خشبية ضيقة وتقضى بها الحاجة من فوق درج مرتفع عن الأرض إلى برميل خشبي ويتم كسح البراميل الخشبية إلى عربات خاصة بذلك . وهكذا اعتاد الطلبة على مجابهة الطبيعة وجها لوجه بعيداً عن حماية الجدران والمباني. ورغم حرارة الجو الشديدة فقد قضى الطلبة بعضاً من أوقات طيبة في إسترخاء تحت ظلال الأشجار المطلة على مياه النيل وهم يتناولون مشروب السودان المنتج محليا و المثلج «سينالكوا» وكانوا يبتاعونه من كافتيريا الطلبة.

كثيراً ما كان يقضي الطلبة أوقات راحاتهم في تجميع محتويات الخيام التي كانت تبعثرها هبات الرياح الشديدة الساخنة أو في التقاط نفس المحتويات التي تسبح عائمة في مياه الأمطار الغزيرة مبتعدة كثيراً عن الخيمة. ومحتويات الخيمة متواضعة فلكل طالب سرير فردي وملاصق به دولاب ضلفة واحدة وملاصق به من الأمام كرسي وله مسند كتابة والمحتويات كلها من الخشب . وابتكر كثير من الطلبة أغاني لكل موقف من مثل هذه المواقف وما أكثرها . وردد الطلبة الأغاني وكأنها الرفيق المسلي في ساعات الشقاء والعناء. ولوجود تهديد مستمر من العقارب التي كانت تتنزه حول الخيام ابتكر الطلبة مصايد العقارب وهي عبارة عن قراطيس من الورق ويوضع بداخلها مايجذب العقرب فإذا دخلها تحدث أرجله صوت خرفشة مع الورق ويكون من السهل الضرب المباشر على القرطاس وقتل العقرب داخله!

في غربتهم عن أهلهم ووطنهم مصر جاشت مشاعر الطلبة وانصهرت مع التدريب العسكري والوعي لأول مرة بقضية حرب مصر مع إسرائيل وإغتصاب فلسطين وصار كثير من الطلبة لديهم الإحساس بمسؤولية الجيش المصري الذي انتكس في حرب عام ٦٧ وصارت روح الإحساس هذه مؤرقة لمضاجعهم فعليهم وحدهم الخلاص من هذا العار . وانتشرت بين الطلبة حوارات وآراء كلها تشير إلى اقتناع راسخ بوجوب سرعة محاربة الإسرائيليين واسترداد سيناء وفلسطين وطرد اليهود إلى أوروبا حيث منها أتوا. ورويداً رويداً ومع التعلم اكتسب الطلبة الشخصية القيادية بجانب علوم وفنون الحرب فهم يقضون كل ساعات النهار في التدريبات المنوعة بين الأداء العملي أو المحاضرات النظرية أما في المساء فإنهم يتوجهون إلى طوابير المذاكرة وهكذا يمضي الوقت بين عمل وأخر مما جعل الطلبة يعتادون الحياة الصعبة الخشنة ولا يظن أحد أن هناك ظروف أصعب من تلك التي يعيشها طلبة الكلية الحربية فهي ظروف متعمدة ومخططة لأنها تصنع رجالاً من فولاذ. وزاد من إلتهاب الحماس لدى الطلبة تلك الزيارة التي قام بها الرئيس جمال عبد الناصر لهم وتحدث فيها عن طبيعة المرحلة الصعبة التي تمر بها مصر وأعرب عن مدى الآمال التي يعلقها الجميع على الأجيال الجديدة من ضباط الكلية الحربية . وأعقب السادات نائب رئيس الجمهورية بزيارة أخرى بعد شهر من زيارة الرئيس جمال وأعاد التأكيد للطلبة عن مدى آمال مصر كلها المتعلقة بالأجيال الجديدة من الضباط .

اعتاد الطلبة على قضاء الأمسيات من ليلة كل خميس في الاستماع إلى أغاني أم كلثوم وهم جلوس متحلقون يتعارفون فيما بينهم وينير القمر سماهم ومياه النيل تداعب أبصارهم . وكانت المجموعة التي تآلف معها محمد تضم حوالي عشرة أفراد يقطنون ثلاث خيام متجاورة وهم محمد حمد ومحمد خليفة ابن خالته ومحمد عيد ومحمد ثروت والأربعة يتكلمون بلكنة خاصة اسكندرانية ولها تميز في نطق الكلمات. ومحمد بركات من مدينة الإسماعيلية ومحمد هشام ومحمد شرابي من سكان القاهرة الراقية ومن حي الزمالك ولديهم بعض الأنفة عند تناول الطعام ومحمد إدريس وهو صاحب صوت جميل يقلد صوت عبد الحليم حافظ بكل جماله وهو من سكان القاهرة حي المنيرة ومحمد بلبول ومحمد رشاد من سكان حي السيدة ويتميزون بقدرتهم على عمل إزعاج مستمر. هؤلاء كانوا المجموعة المقربة وإن كان لكل منهم أصدقاء آخرون يقطنون خياماً أخرى بعيدة ولكن وجود العشرة في خيام

متلاصقة طوال النهار وأثناء الليل هو مازاد من ألفتهم . وكثيراً ماكان يتوسط إدريس المجموعة صادحاً بأجمل أغاني عبد الحليم وهم يرددون الكلمات خلفه .

تميز الطلبة الجدد بأنهم كانوا قد التحقوا للدراسة في كليات أخرى وقضوا بها قرابة نصف العام من الدراسة ثم حولوا مسارهم إلى الكلية الحربية إما عن روح وطنية وإما عن حبهم لمظهر وشكل الضباط عموماً وإما بسبب عدم رغبتهم في الدراسة بالكليات التي وزعوا إليها وكان تميزهم بسبب أن أغلبهم وعى أسلوبين ومنهجين من مناهج التعليم منهج الكلية التي كان دارساً بها ثم منهج الحياة العسكرية وهما منهجان جد مختلفان لكنهما وسعا من التجربة الشخصية لكل طالب.



الطلبة بالسودان يتدربون على الموانع وتبدو خلفهم خيام النوم
محمد رمضان – محمد ثروت – محمد حمد – محمد خليفة – محمد بركات – محمد فهمي

كان محمد في خيمة بها كل من محمد حمد ومحمد خليفة ومحمد بركات ولذا انفتحت الأسرار بينهم أكثر كلما مرّت الليالي وكل منهم يحكي في ظلمة الليل عن نفسه . عرفوا عن محمد خليفة أن والده من أكبر أثرياء الإسكندرية فكثيراً ما تحدث عن هؤلاء الخدم في قصر والده والذين يرتدون الزي الأحمر المزركش بالقصب وكان خليفة يجد صعوبة بالغة في التأقلم على الحياة الخشنة والطباع العسكرية والأوامر وقد عاش كل حياته من قبل وسط الخدم والحشم لم يفعل

بيده أي شيء من قبل وهو الآمر الناهي ؟ وحمد ابن خالته والده توفي وهو صغير وتولى رعايته أخوه الأكبر إبراهيم ويعمل بحاراً في مركب يونانية وتعتبر أسرتهم من الأسر متوسطة الحال وكان حمد قد خطب الفتاة التي أحبها منذ الصغر قبل الإلتحاق بالكلية الحربية بشهر واحد وفاجئه السفر إلى السودان ولهذا السبب يعاني ألم الفراق . ومحمد بركات الذي لم يتجاوز عمره العشرين عاماً ولكنه يمتلك خبرة من عاش أربعين سنة وكان يقص عليهم حكايات وقعت في مدينة الإسماعيلية من آثار غارات الطيران الإسرائيلي على أحياء المدينة. جسد بركات في خيال الأصدقاء كل آلام حرب ٦٧ وما بعدها عندما صور لهم كيف أن والده ووالدته استشهدا في قصف طيران دمر الجانب اليمين العلوي من منزله وسحبهما بنفسه من تحت الهدد جثتين هامدتين ذات صباح ولم تمضِ إلا ساعتان ويستشهد أخيه الأكبر وهو واقف يتفقد جسدي أمه وأبيه وكان قد عاد لتوه من عمله للمنزل وتطوله قذيفة طيران فتقتله ؟ ولم يبق من الأسرة إلا بركات وأختان كانوا خارج المنزل يتجهون إلى مدارسهم . ومرّت أيام من الحزن عاشها المتبقي من الأسرة لكن الفتاتين لقيتا ربهما إثر غارة إسرائيلية ظهر أحد الأيام وهما في طريق العودة من المدرسة ولم يبق إلا بركات وحده يتجرع أحزانه . وكان لبركات أصدقاء من الكلية هم أيضاً من أبناء الإسماعيلية وكثيراً ماكانوا يحضرون لزيارته في خيمته. هؤلاء الأصدقاء كان لكل منهم مأساة في أسرته أو أقاربه بسبب الطيران الإسرائيلي. ومن هذه الحكايات عن الإسماعيلية وما أصاب أهلها إزداد كره الطلبة للإسرئيليين . وكان من الجلي أن مدينة الإسكندرية بعيدة عن مثل هذه الأحداث الدامية لأن حمد وخليفة وهما من سكانها لم يتحدثا إلا عن ساحل البحر وعن الصيف وتجارب الحب أثناء الصيف والمرح والسهر على شاطىء البحر.

أما محمد فقد كان لايتحدث عن نفسه وربما تمسك بهذه العادة بعد أن قرأ كتاباً وهو صغير عن أحد القادة وكانت له عبارة مكتوبة يقول فيها «**أملك الناس لنفسه أكتمهم لسره** » ولكنه كان يسترجع في خياله كلمات والده ونصائحه ويحلو له دائماً ترديد قول والده له : «**الوقت وقتان .. وقت يكسبك .. ووقت يخسرك ولا يكسبك**» وجملة قصيرة وعاها عن والدته تقول له: « **إن غضبت ... اسكت ... لاتتكلم ولاتتصرف ....**» وكانت حياة محمد في مدينة القاهرة عادية خالية من الذكريات التي يمكن أن يحكيها لبقية زملائه.



التدريب على القتال بالأيدي في حلقة الإشتباك
فهمي مع حمد – خليفة مع ثروت – رمضان مع هشام

## (٧) التخرج في القاهرة :

أمضى طلبة الكلية الحربية نصف فترة الدراسة تقريباً في السودان وحانت الآن عودتهم إلى القاهرة لتكملة التدريبات الميدانية الفعلية ومسايرة أحداث الواقع على جبهة القتال من حين إلى آخر في زيارات ميدانية. وكانت هناك فرصة أمام محمد لكي يزور أصدقاءه القدامى من طلبة وطالبات مدرسة الألسن لكنه في أول زيارة لهم اكتشف كم صارت الهوة سحيقة بينه وبينهم رغم كل مظاهر الترحيب التي بادرت بها طالبات السكشن وحرارة الاستقبال .شعر محمد أن هناك عالمين .عالم تظلل سماءه شعور قوي بالمسؤولية تجاه مصر كلها وهذا الإحساس يملك على صاحبه كل مشاعره فلا يترك أنملة للمرح أو الإبتهاج . والعالم الثاني عالم المرح والبهجة والنسيان أو الانشغال بما يقع من أحداث الحياة كل يوم ويبدو جلياً أنه عالم المدنيين من غير العسكريين .

التفت حوله مجموعة من صديقاته من القسم الأسباني يرحبن به ويذكرنه بذكرياتهم المشتركة فقد كان دائماً حارسهم في زياراتهم إلى أماكن لم تكن البنات قد زارتها من قبل مثل حي خان الخليلي والحسين وقلعة محمد علي والمتحف الزراعي والقناطر الخيرية ولكنه سرعان ما وجد رغبة في نفسه أن يغادرهن فانصرف مبتسماً.

تدرج محمد في التعرف على معاني القيادة بالممارسة العملية . منذ أن كان بالمدرسة الإعدادية جاءته أولى هذه المعاني عندما تولى «كابتن» فريق كرة السلة وكان المسؤول عنه الأستاذ صفي وهو حاد الطبع وسليط اللسان وتعلم محمد أن الحزم والسيطرة على أعضاء الفريق يحميه من انتقادات الأستاذ صفي . وفي المرحلة الثانوية وفي سنواتها الثلاث كان المدرسون يختارونه ليكون «الألفة » على الفصل وهذا المقام علمه أهمية أن يكون صوته عالياً ومؤثراً لكي يحظى بأن يتبعه الآخرون وأيضاً أن يكون إيجابياً في أكثر المواقف . وعندما التحق بجماعة الفتوة تعلم فيها أن الدقة من أحد السمات التي يرشح بها الناس لمناصبهم .أما في الكلية الحربية فقد فتحت أبواب تعلم القيادة على مصراعيها أمامه وخصوصاً في القسم الإعدادي عندما تولى قيادة فصيلة من الطلبة الجدد من القسم الأساسي وواتته الفرصة الثانية عندما قاد وهو في القسم النهائي فصيلة من الطلبة للمرة الثانية .وشاءت الأقدار أن ينضم تحت قيادته وفي نفس الفصيلة مجموعة من الطلبة الليبيين ولمدة شهرين وجاءت بعدهم مجموعة أخرى من الأطباء حيث أمضوا أيضاً شهرين وكلا المجموعتين تخرج برتبة ملازم . وهذا التنوع الموجود بين طلبة الفصيلة أثرى تجربة محمد فيما يتعلق بالعلاقات الإنسانية بجانب القيادة.

تميز أسلوبه القيادي مع الطلبة بالحرص على توجيههم إلى الصح وإلى السلوك الأقرب إلى المثالية وحظي تاريخ اليهود وإسرائيل بكل اهتمامه فتعمد قراءة كل ماكتب عنهم في كتب المكتبة بالكلية وكان يعيد إلقائه على الطلبة في المساء فيما كان يعرف باسم «دخليات العنابر » وحولها إلى وجبات شهية للمعلومات.

صدرت الأوامر أن يقوم طلبة القسم النهائي من تخصص المشاة بالحصول على دورة تدريب في مدرسة الصاعقة . وفجأة تغيرت الأحوال من حال إلى حال وبعد أن قطع الطلبة مدة من الوقت وهم في دور القادة بين طلبة بقية الأقسام إذا هم يعودون مرة أخرى تحت أمر مدربي

الصاعقة إلى أدوار الطاعة لكل الأوامر الصعبة والقاسية والمعقدة وأحياناً اللامعقولة؟ من أقسى أنواع التدريب العسكري هي تدريبات الصاعقة فهي تدريبات كلها ضد المستحيل وضد الأمور غير المعتادة ؟ قد يكون معتاداً أن تسير ١٠كيلو مترات ولظروف خاصة أما أن تسير ١٠٠كيلو متر فهذا مستحيل وخاصة في وجود مصاعب وعراقيل تخطط من جانب مدرب الصاعقة .

وتصادف في نفس التوقيت تواجد مجموعة من شباب منظمة فتح الفلسطينية تتدرب على مهام الصاعقة وأدى التلاقي معهم إلى تفهم الطلبة لتاريخ سرقة أرض فلسطين وتعرفهم على أساليب الإسرائيليين في حياتهم وحروبهم داخل الأراضي الفلسطينية وتقابل الطلبة أكثر من مرة مع ياسر عرفات الذي كان يحضر لزيارة شباب منظمة فتح وهم يتدربون.

نال محمد خلال تدريبات دورة الصاعقة مكافأتين أحدهما سارة والأخرى قاسية .المكافأة الأولى كان سببها أنه نجح في إحدى عمليات الهجوم الخاصة من اكتشاف الغام أرضية وقام بتأمينها مما ساهم في سرعه ونجاح الهجوم التدريبي . وأما القاسية فكان سببها أنه انتحل صفة مدرب الصاعقة في أحد الليالي الصعبة التي قضاها الطلبة في تلقي تدريبات شاقة وقاسية ومؤلمة وتسمى « العلقة » عندما ارتدى نفس الملابس التي يرتديها المدربون وبذلك تمكن من تجنب هذه التدريبات ولكن عندما اكتشف المدربون حيلته أشادوا بها لكنهم صاعوا له الكيل صاعين وفي احتفال منفرد به وحوله كل المدربين ينهالون عليه ضرباً وهو في المنتصف.

بنهاية دورة الصاعقة تعلم الطلبة إنه لايوجد مستحيل واكتسبوا بعداً نفسياً جديداً أن أي منهم أصبح قادراً على تحمل أي نوع من الصعاب مهما بلغت قسوتها وألمها . وعاد الطلبة إلى الكلية الحربية مرة أخرى لمتابعة ماتبقى لهم من دراسة وهم يقتربون جداً من وقت التخرج.

في أحد الليالي وكان الطلبة يتجاوزون وقت النوم لأنهم يستذكرون ويستعدون للامتحانات وبعد منتصف الليل يشق صراخ محمد بركات عنبر النوم فقد آلمه جنبه الأيمن آلماً شديداً . وتوقف الطلبة حائرين لأن الوقت متأخر والمفروض على الجميع أن يكونوا قد ناموا؟ وتقدم محمد وبسرعة فحمل بركات فوق ظهره ولم يتوقف به إلا داخل مستشفى الكلية ليتلقى العلاج وكان المستشفى يبعد حوالي ٩٠٠ متر.

مرّت الأيام سريعة ومختلفة عما كان عليه الحال في السودان لأن الطلبة وفي أغلب الأوقات

يمكنهم زيارة أهاليهم في نهاية كل أسبوع من عصر يوم الخميس ويعودون إلى الكلية مساء الجمعة . واستعد الجميع لأداء الامتحانات النهائية للتخرج وكان ترتيب محمد الـ ٦٦ على دفعته وأراد أن يستفيد من فرصة الامتحان النهائي لكي يحسن من ترتيبه بين أقرانه.

وأنهى طلبة الكلية الحربية امتحاناتهم وحان وقت إعلان نتيجة التخرج وبدأ الناجحون التدريب والاستعداد لمراسم حفل التخرج حيث يحضر دائماً هذا الحفل رئيس الجمهورية ووزير الدفاع ولفيف من القادة العسكريين والوزراء ورجال الدبلوماسية والأهالي من أسر الخريجين.

عاد الخريجون من إجازة التخرج إلى الكلية الحربية مساءً لقضاء آخر ليلة وهم طلبة حيث عليهم في الصباح التالي ولأول مرة أن يرتدي كل منهم زي الضباط ليحضر به حفل التخرج . وامتلأت منذ الصباح الباكر مدرجات العرض بالأسر من أهالي الطلبة الذين حضروا لمشاركة أبنائهم بهجة التخرج وارتفعت أصوات «الزغاريد» من أفواه الأمهات والأخوات . واستغرقت مراسم الحفل ساعتين .

غادر محمد الحفل بصحبة والده ووالدته ولكنه شعر منهما أنهما صارا في حيرة وربكة وكأن النجمة التي وضعها على كتفيه قد صنعت حاجزاً بينهم وبينه ولكن بادر محمد بتقبيل والده ووالدته بحرارة وهما يركبان السيارة متجهين إلى حي العباسية لتكملة الابتهاج بالتخرج مع بقية الأسرة . كان عليه أن يقضي خمسة أيام أجازة متصلة قبل أن يتوجه إلى تسلم عمله كضابطٍ في القوات المسلحة . وزار خلال الأيام المتبقية أغلب أقاربه من الأسرة وأصدقائه وكان يرتدي زي الملازم ثاني «نجمة واحدة » مبتهجاً وفخوراً لكن حاصرته دائماً نظرات الإتهام والأسئلة المتكررة من كل من قابلهم لكي يفسر لهم أسباب نكسة الجيش في ٦٧ وهو لم يكن في ذلك الوقت إلا طالباً في الدراسة الثانوية فلماذا الكل يلقي عليه المسؤولية الآن؟؟ ولازمه هذا الإحساس بالمسؤولية عما وقع في الماضي وأدرك أنه لاخلاص من هذا الشعور بالذنب إلا بنصر عاجل وهو قطعاً لم يكن مسؤولاً عما مضى ولكنه من المؤكد أنه سيشترك في المسؤولية عما هو قادم من أحداث.

## (٨) إلى بورسعيد :

بورسعيد تلك المدينة الساحلية تطل على البحر الأبيض المتوسط وتقع في شمال مصر وارتبطت في وجدان كل مصري كمدينة للنضال وتاريخاً للبطولات منذ الأحداث التي صاحبت حفر قناة

السويس وعندما جاءها المصريون الأجداد من كل صوب لحفر القناة ورويت عنهم حكايات المعاناة والتضحية أثناء الحفر. أضافت معركة ١٩٥٦ على المدينة تلك الروح البطولية التي تحلى بها أبناء بورسعيد والمقاومة الشعبية للجنود الإنجليز والفرنسيين وتولدت عن تلك الفترة الكثير من القصص والملحمات وانتشرت في كل مدارس مصر رسومات تخلد بطولات شعب بورسعيد وصار لقب المدينة في أفواه المصريين «بورسعيد الخالدة» .

سبعة من الضباط الجدد برتبة الملازم ثاني وكلهم يقطنون القاهرة ماعدا رفعت الذي حضر من أسيوط وكلهم من سلاح المشاة اتفقوا على أن يلتقوا في محطة الأتوبيس المسافر إلى مدينة بورسعيد في حي القللي المجاور لميدان رمسيس . كان موعد الالتقاء تمام السابعة صباح يوم ٩ من شهر أبريل ١٩٧٢ . كان كل منهم قد تسلم خطاباً يتوجه بموجبه إلى مقر عمله الجديد وتصادف أن السبعة معا سيكون عملهم في مدينة بورسعيد وحولها . لم يكن أحد منهم قد زار مدينة بورسعيد من قبل . إبراهيم عطيه وعطاء الدهان وزكريا عمار ورفعت الجعيدي وفتحي عطيه وكمال عباس ومحمد فهمي . تحرك بهم الأتوبيس في تمام الثامنة صباحاً واستغرق السفر خمس ساعات بسبب أن الأتوبيس يسير إلى بورسعيد مروراً بالمنصورة ثم دمياط وليس عن طريق الإسماعيلية تأميناً للعسكريين. وتوجه الضباط إلى مقر القيادة التي أعادت توزيعهم في مجموعتين الأولى تضم ثلاث ضباط يتوجهون للعمل في وحدات عسكرية ببورفؤاد والباقي يتوجهون إلى وحداتهم في بورسعيد .

الساعة تشير إلى السابعة والنصف مساء نفس اليوم ويجلس العقيد أركان حرب طلعت مسلم إلى مكتبه الخشبي في أحد حجرات مدرسة اشتوم الجميل الثانوية يدون في ورقة أمامه بيده اليمنى ويضع بها ساعته وتداعب أصابع اليد اليسرى شاربه الطويل على الجانبين ويدخل عليه المقدم وهيب مجلع ويخبره أن الضباط الجدد جاهزون فيرد عليه بأن يدخلهم عليه للإلتقاء بهم.

«**معتاداً مارش .... قف ... لليسار در ... قف ثابت ...**» يؤدي المقدم وهيب التحية العسكرية ويرد التحية العقيد طلعت الذي انتصب واقفاً بقامته الطويلة وجسده النحيل .

ويمر العقيد طلعت بدءاً من أقصى اليمين ويسلم على الضابط الأول ويشده إليه بقوة ويكاد الضابط أن يقع... ويكرر نفس الشيء مع الضابط الثاني ولكن تجرأ الضابط الثالث وتحفز فتمكن هو من أن يشد إليه العقيد طلعت وكاد أن يسقطه ... وعاود العقيد طلعت في التسليم على بقية

الضباط السبعة بنفس الطريقة ... ثم تحرك عائداً إلى مكتبه وجلس ونظر إلى الضابط الثالث وسأله عن اسمه فأجاب : « محمد ».

تحدث إليهم موضحاً لهم طبيعة عملهم الجديد وماذا يتوقع منهم في تدريبهم للجنود وأخبر كل منهم عن وحدته التي سيعمل بها واستغرق التلقين حوالي ٣٠ دقيقة ثم سألهم العقيد طلعت لو كان لدى أي منهم سؤال أو إستفسار . ورفع الضابط محمد يده قائلاً :

«**أنا كنت الأول في فرقة الصاعقة وكنت أريد العمل في قيادة وحدات الصاعقة**» فرد عليه العقيد طلعت وطلب منه أن يمارس العمل بوحدته الجديدة ثلاثة شهور وبنهايتها إن كانت لاتزال لديه الرغبة في العمل مع الصاعقة فسوف يطلب بنفسه بصفته القائد نقله إليها.

ركب الضباط سيارة طافت بهم من بورفؤاد إلى بورسعيد لتوصيل كل ضابط إلى وحدته وكان آخر من وصل إلى وحدته هو الضابط محمد حيث نزل أمام مبنى قيادة الكتيبة وسرعان ماوجد نفسه متجها إلى مكتب القائد بصحبة الملازم شرف عبد المقصود. دخلا إلى الحجرة فوجدا المقدم رضا والرائد شلبي وأمامهما رقعة الشطرنج ومنهمكين في خطط اللعب . توقف المقدم رضا عن اللعب ونظر إلى الضابط محمد وقال :

« **أنا رضا محي الدين وده الرائد رضا شلبي .... أحنا لانعلم شيئاً عن العلوم العسكرية .. أحنا جهلة ... أنت الوحيد الآن اللي معاك آخر العلوم الحديثة ... علومك طازه ... أنا عوزك تعلمنا كلنا ماهو الجديد ... أنت فاهم ... أنا عينتك قائد الفصيلة الثانية من السرية الأولى .. مع النقيب إبراهيم هيبه.. تروح تقابله .** »

تبعد مدرسة الفاتح حوالي ٧٠ دقيقة سيراً على الأقدام حيث يقع مقر السرية الأولى . قطعها محمد وهو ينظر إلى كل هذه المباني المظلمة والصامتة والتي تحيط بالشوارع وفي حزن لفراق السكان الذين هجروا المدينة هرباً بحياتهم من ضربات الطيران الإسرائيلي . وصل الضابط محمد وتوجه لمقابلة النقيب إبراهيم قائد السرية الأولى . وكانت الساعة قاربت الحادية عشر مساء وظن محمد أنه من غير اللائق قرع الباب على غرفة النقيب إبراهيم ولكن ابتسم مساعد أول السرية إبراهيم حسن قائلاً له : «**سيادة النقيب في انتظارك الآن يافندم**» .... ودخل الضابط محمد وأدى التحية العسكرية وابتسم النقيب إبراهيم وجلساً .

سرد له قائد السرية سيرة أفراد الفصيلة الثانية جندي جندي بكل التفاصيل مما استغرق

وقتاً حتى الثالثة فجراً عندما وجد محمد إنه لابد من الاستئذان للنوم قليلاً قبل أن يحضر طابور الصباح الأول مع فصيلته .

لم يكد محمد يستغرق في النوم وإذا بشخص يوقظه فقال لنفسه من هذا الغبي الذي يوقظه وهو لم ينم إلا حوالي الساعة وعندما فتح عينيه بصعوبة لم يعلق بأي قول لأنه وجد أمامه العقيد طلعت مسلم قائد اللواء!!

«**صباح الخير ياحضرة الضابط محمد .... إن كان عندك بن فأنا حضرت أشرب معك فنجان قهوة**» قالها طلعت مسلم وخرج من الغرفة وعندما نظر محمد في الساعة وجد أنها الرابعة والربع فجراً !!!.

أصطفت السرية في طابور الصباح داخل فناء مدرسة الفاتح وتتابعت إجراءات الطابور إلى أن بدأ الضباط في التفتيش على الفصائل الثلاث وسرية الهاون وسرية الأسلحة المضادة للدبابات . ولفت نظر وأسماع الجميع تلك الطريقة التي يتبعها الملازم الجديد في تفتيشه على جنوده ... صوته عالٍ وقوي وألفاظه دقيقة متدفقة ويتحرك برشاقة وسرعة عالية بين صفوف الجنود ولم يترك جندي إلا وأظهر له عيباً في طريقة ملبسه أو مستوى أناقته . وأدرك الرقيب فتحي بدير رقيب الفصيلة أن عهداً جديداً من الإنضباط الشديد سوف يبدأ بوصول قائد للفصيلة. وتسبب التفتيش الدقيق على الفصيلة الثانية في تعطيل بقية وحدات السرية مما أدى لتململ بقية الضباط وهنا نادى النقيب إبراهيم بصوت غاضب «**دور الفصايل على التدريب**» .

وعلم محمد في اليوم التالي أن اللواء الذي التحق للعمل به لم يكن موجوداً من قبل ولكنه تشكل فقط منذ ثلاثة شهور وأن أغلب الجنود في هذا التشكيل قد جاءوا من وحدات الدفاع الإقليمي وهي وحدات ينظر إليها على أنها وحدات من الدرجة الأخيرة من حيث مستوى العسكرية والتدريب والأدوات وعلم أيضاً أن كل الضباط قد تسلموا عملهم بالتشكيل منذ حوالي شهر أو شهرين نقلاً إليه من تشكيلات أخرى.

الوحدة العسكرية هي بوتقة تنصهر بها كل طبقات المجتمع المصري . كل الطبقات وكل المدن وبطريقة عشوائية تجد أنها متمثله داخل هذه الوحدات . يلتقي بها أبناء الشرقية مع أبناء الغربية مع أبناء الشمال مع أبناء الجنوب مع أبناء الساحل مع أبناء الصحراء وأبناء الزراعة وتلتقي بها كل اللهجات المصرية وكل العادات والأعراف ومختلف الطباع .

رويداً رويداً بدأ الملازم محمد في التعرف على جنوده وإن كانوا هم قد عرفوه منذ اللحظة

الأولى بأنه صارم وشديد الملاحظة وجريء وعلى أعلى درجات القوة البدنية واللياقة البدنية . ويهتم جداً بأن يتقن الجندي كل مهارة اتقاناً يفوق المثالي وكانت جملته المعهودة والتي صار الجنود يردودنها بينهم «أبداً ... لسه ... فيه أحسن من كده ...» . وكانت جنود الفصيلة في سن متوسطة ٢٠ سنة فيما عدا ستة جنود كانوا قد تعدت أعمارهم الـ٣٥عاماً وكانوا يعرفون بالجنود «المستبقيين » أي أنهم لم ينهوا خدمتهم العسكرية بسبب أحداث حرب ٦٧.

وبسبب كبر سنهم فقد اعتادوا نوعاً من الكسل في التدريب ولكن كل ذلك تغير مع وصول الملازم الجديد قائد الفصيلة .هناك جندي واحد من هؤلاء الستة لاحظ الملازم محمد أنه يكون بإستمرار متغيباً وفي واحدة من خدمات الحراسة أثناء توقيت التدريب واستمر الأمر ثلاثة أيام ولم يصدق الضابط أن جندي من جنود الفصيلة يترك التدريب ثلاثة أيام متتالية واستدعى الرقيب فتحي بدير ليسأله عن هذا الجندي«صلاح عبد السميع شمعي» ورد الرقيب فتحي في تردد واستغراب «**أصله يافندم متجوز من تحت الأرض وحالته غريبة .. واللهم احفظنا**» . وكانت الكلمات غريبة على مسامع الملازم محمد وأمر إحضار الجندي فوراً . وكان طويل القامة يتعدى طوله الـ١٩٠سم وعريض الكتفين وتبدو عليه ملامح الفتونة وبشرته من ذات اللون الأحمر الشمسي وكان صوته عميقاً واجش. وسأله الملازم محمد : « **يعني إيه متجوز من تحت الأرض ؟ يعني عليك عفريتة ... وكيف تترك طوابير التدريب ...**» وقبل ان يرد الجندي وكانت ترتسم على وجهه علامات الدهشة لأن الضابط قد تجرأ وقال لفظ عفريتة بلا تردد ... أمر الملازم بإحضار مجموعة حبال وتم تقييد الجندي من وسطه وسحبه الجنود إلى منطقة مجاورة لأرض التدريب بها مستنقع مياه ملحية وجرّ الجنود الجندي صلاح إلى أن سار وسط المياه التي كانت تصل حتى صدره . كان الجنود يشدونه من أربع جهات بالحبال وتمنعه من أي حركة . وظل الجندي هكذا أكثر من خمس ساعات تحت ظل الشمس ومغروزا في الملح حتى هاج وصار يشتم بكل الألفاظ البذيئة ولكن لايرد عليه أحد والجنود في أماكنهم يشدونه بالحبال من كل جانب والضابط يراقب تطور الموقف والرقيب فتحي ينتظر في حيرة! تراخت ثورة الجندي صلاح من تأثير الأعياء وقرص المياه المملحة لجلده وصار يترجى الملازم محمد أن يخرجه من المياه . وهنا فقط اشترط عليه محمد أن ينسى أو يتناسى تماما كل ما كان يدعيه عن تزوجه من عفريتة ووافق الجندي بحرارة وتوسل فأمر قائد الفصيلة الجنود أن ترخي الحبال وتترك الجندي صلاح يخرج

من مستنقع المياه . ولم تمضِ إلا ساعات وإذا بالجندي صلاح وقد سار من أنشط الجنود بل سار مقرباً من الملازم محمد ومعترفاً له «أنه لم ينخدع بما كان يدعيه » .

وجد جنود الفصيلة في قائدهم الجديد روحاً نشطة وفتوة وكان في مثل أعمارهم لكنه تفوق عليهم في كل شيء سواء في مهارات القتال أو اللياقة أو المعلومات أو الرماية وكان يعطي الفرصة لكل من يريد أن يتنافس معه في أي عمل أو مهارة ولذا فقد أصبح قدوة لهم عن استحقاق .وتغير حال الجنود ودبت بينهم روح التنافس إلى الأفضل. ولم يمضِ شهر واحد حتى صارت الفصيلة الثانية مختلفة عن بقية الفصائل في شخصيتها وحتى في زيها فقد ميز الجنود ملبسهم بعلامة سوداء رفيعة من الجلد تركب أسفل الزرار الثاني من جاكت الأفرول دليلاً على الفصيلة الثانية.

بمرور الوقت تفوقت الفصيلة الثانية في كل مسابقات الفصائل وصارت ذات سمعة طيبة مما أدى إلى أن تم تكليف الفصيلة بتنظيم بيان عملي عن موضوع «الفصيلة في الهجوم على مبنى » ومعنى ذلك أن تقوم الفصيلة والقوات التي تلحق عليها بتمثيل طريقة الهجوم أمام المشاهدين من بقية الوحدات . والبيان العملي هو صورة عملية عن موقف قتال حقيقي ولكن بدون استعمال طلقات حقيقية وكأنه فيلم سينمائي لكن على الطبيعة وتشاهد البشر الحقيقيين في أعمالهم وأدوارهم والبيان أقرب وصفاً للعمل المسرحي.

عرضت الفصيلة بيانها بقدرة تفوق الوصف وأظهرت من الإبتكارات مالم يتوقعه أحد وبدت في طريقتها في الأداء أنها تنفذ أمراً واحداً ولكن بتفكير أربعين عقلاً . وعلق العقيد طلعت في نهاية عرض البيان فقال مصفقاً بحرارة : «**إمتياز لكل الجنود وامتياز لقائد الفصيلة ... وهذا هو ما أريد أن يكون عليه مستوى الأداء لكل جنود اللواء** » .

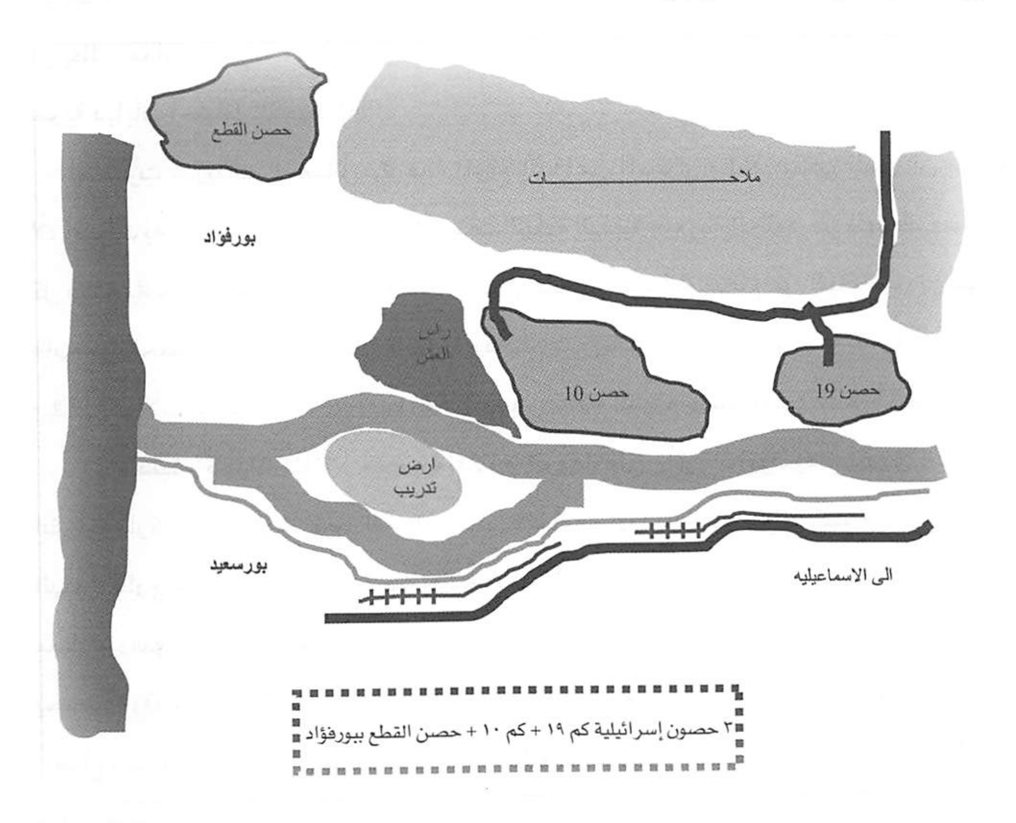
## ( ٩) حركة تغيير :

بعد مرور فترة زمنية قصيرة حدثت تغييرات في الضباط وأيضاً في أماكن الوحدات .انتقل النقيب إبراهيم هيبة وجاء مكانه النقيب مجدي الروبي قائد للسرية وانضم إلى السرية مجموعة من الضباط الجدد وصار لكل فصيلة قائد وقائد ثاني الفصيلة وتعين الملازم أول مجدي ناشد قائد الفصيلة الأولى ومعه الملازم ثاني رؤوف عمر وبقي الملازم ثاني محمد قائد الفصيلة الثانية ومعه الملازم ثاني إسماعيل الزرقا أما الفصيلة الثالثة فتعين قائدها الملازم أول احتياط محمد عبد المعطي ومعه الملازم أول احتياط زكريا . وفور تنفيذ تنقلات الضباط غيرت السرية موقعها

من مدرسة الفاتح إلى الموقع الدفاعي غرب قناة السويس عند تقريباً علامة الكيلو متر ١٩ على طريق بورسعيد الإسماعيلية وكان هذا الموقع يقع في مواجهة أحد حصون إسرائيل والذي أطلق عليه «**لاهتزانيت** » بالعبرية . وقامت السرية بدخول الموقع الجديد ليلاً بدلاً من سرية أخرى غادرت الموقع في نفس الوقت . وما أن طلعت أول خيوط الصباح ورأى المصريون الجنود الصهاينة إلا وبدأت الشتائم وتعالى الصياح والصراخ بين المصريين والإسرائيليين وكان هذا رد فعل طبيعي للجنود المصريين عندما رأوا الإسرائيليين لأول مرة وهم يلبسون أفرولاتهم ذات اللون الزيتي . نادى الملازم محمد الرقيب فتحي بدير وأبلغه أن يمر على جنود فصيلته ويخبرهم أن يستمروا في توجيه الشتائم والسخرية إلى الإسرائيليين ولا يتوقفوا أبداً إلا بعد أن يتوقف الإسرائيليون أولاً ! وكأنها حرب بالكلمات ويريد أن تكون الكلمة الأخيرة للجنود المصريين وأن يتغلب الجنود المصريون على الإسرائيليين ولو في معركة «**شتائم** ».

ظهرت وعلى مرئى البصر ولأول مرة تحصينات خط بارليف . عرض قناة السويس أمام الموقع الدفاعي حوالي ١٨٠ متراً وبدأ الحصن قاتماً برماله الرمادية المرتفعة وأسلاكه الشائكة وجنود العدو في أبراج المراقبة وكأنه هما جثم على صدر كل جندي من جنود السرية . أقامت القوات المصرية دفاعاتها غرب قناة السويس منذ توقف القتال عام ٦٧وتقريباً على طول الضفة الغربية للقناة . وفي الموقع الدفاعي كم ١٩ يوجد برج من الحديد بارتفاع ٢٠ متراً أقامته وحدات الاستطلاع لمراقبة وتجميع معلومات عن مايدور داخل حصن العدو على الجانب الشرقي للقناة والبرج يطل بشكل جيد وكاشف للحصن . وتناوب الجنود وفي لهفة الصعود إلى قمة البرج لمشاهدة شكل الحصن من الداخل وملاحظة علاقة الحصن بالأرض المحيطة به ثم انتظمت نقطة خدمة ٢٤ ساعة في أعلى البرج لمراقبة تحركات الإسرائيليين داخل الحصن أو خارجه فقد كان البرج يكشف كل العمق ولمسافات بعيدة . وتناوب كل جنود السرية في هذه الخدمة حتى صار جميعهم يحفظون كل ما بالحصن من تكوينات وحتى التحركات اليومية سواء داخل الحصن أو من يأتى إليه أو من يغادره. يمر خلف الحصن مباشرة طريق عرضي يتجهه إلى العمق وهو طريق صناعي ضيق بعرض ٤ أمتار فقط أنشأه الإسرائيليون بعد عمل ردم صناعي مرتفع عن سطح الأرض ومكسي طبقات بلاستك لأنه يخترق أرض ملاحات . ويؤدي هذا الطريق إلى حصن العدو في أقصى الغرب أمام علامة كم ١٠تجاه جنوب بورسعيد وبذلك فهو الطريق الوحيد لكلا الحصنين

والمستعمل للذهاب شرقاً إلى العمق الداخلى إلى سيناء وهو طريق النجدة للحصنين عند دفع الإحتياطي من العمق أو طريق الإنسحاب أو الإخلاء للخلف. والطريق يخترق ملاحات على جانبية ترتفع المياه بها بمتوسط حوالي ٩٠ سم وهي أرض تغرز فيها أي عربة أو دبابة إذا جنحت عن الطريق ولايمكن للأفراد السير فيها لما يحدث من غوص عميق لقدم السائر فيها ودرجة كثافة الملح بها من أعلى درجات التركيز.




كان موقع دفاع السرية بعرض حوالي ٤٠٠ متر وبعمق بسيط هو المنطقة المحصورة بين ضفة غرب القناة وبين الحد اليمين لطريق الاسماعيلية بورسعيد الأسفلتي ويقطع هذا العمق كل من ترعة الإسماعيلية الحلوة وخط سكة حديد قديم ومعطل واصل بين الإسماعيلية وبورسعيد والمنطقة الدفاعية تغطيها أشجار كثيفة ومزروعات عشوائية على الترعة مما جعلها منطقة ناموس متوحش لايكاد الظلام يحل حتى تلتف أسراب الناموس الزنانة حول كل إنسان حي وتدمم كل

ماهو مكشوف من جسمه وكثيراً ماتنال غرضها حتى من فوق الملابس والشيء الوحيد الذي كان يمثل وقاية من هذا الناموس هو هذا التطعيم الذي يتحصن به الجنود كل فترة زمنية للوقاية.

تسلم قائد السرية عند دخوله بوحدته إلى الموقع الدفاعي بيان معلومات عن تقديرات المخابرات الحربية المصرية عن قوة الحصن الإسرائيلي وكانت بين ١-٢ فصيلة مشاة إسرائيلي تدعمها ٣ دبابات و٣ عربات نصف جنزير وفصيلة هاون وفصيلة رشاشات متوسطة ويمكن لقائد الحصن أن يطلب معاونة بضربة مدفعية من العمق أو ضربة جوية ويتمركزعلى مسافه ٣-٦ كيلو مترات سرية دبابات احتياط للنجدة له.

اقتصرت تدريبات الفصائل في هذا الموقع الدفاعي المصري والذي يمكن للعدو أن يتسمع لأي أصوات به على المعلومات النظرية وتدريبات اللياقة البدنية ومعرفة الجنود عن ظهر قلب بواجب كل منهم في حالتي الهجوم وعبور القناة واقتحام الحصن أو حالة الدفاع عن الموقع ضد أي هجوم قادم من الحصن وبعض التكتيكات الفردية وكانت التدريبات تتم في خداع وتعميه كاملة عن اليهود وفي ظلال الأشجار فقط مما كان يحيرهم رغم مراقبتهم للموقع بتلسكوبات ذات قوة تكبير .

ذات صباح تحرك الملازم محمد والملازم الزرقا على رأس الجنود وهم بكامل أسلحتهم الفردية تاركين ٣ منهم في نقط الحراسة على القناة وساروا بالجنود حوالي كيلو متر إلى أقصى اليمين خارج حدود دفاعات الفصيلة وتنبه الإسرائيليون في الحصن المقابل لهذا السلوك الغير معتاد و رفعوا درجة الاستعداد واتخذ الجنود في الحصن أماكنهم للقتال وهم يراقبون ما الذي يحدث؟. وقف الضباط مع الجنود وتحدثوا معهم قليلاً وبعد ذلك إذا بخمسة منهم يرتكزون في أوضاع رمي ويطلقون نيران فردية على الضفة البعيدة للقناة وأحدث الصوت المفاجىء للطلقات صدى صوت حاداً مميزاً فوق سطح مياه القناة . حدد كل منهم علامة أرضية أو حجراً على الساتر الترابي الموجود شرق القناة وبدأ الرمي لإختبار مدى دقة ضبط بندقيته وهكذا توالي الجنود كل في دوره. وانقضى قرابة نصف ساعة وإذا بسيارة جيب بها قائد الكتيبة الذي نزل منها بهدوء يراقب هذا التصرف فتقدم إليه الملازم محمد وأدى التحية العسكرية قائلاً : «**تمام يافندم ... الحمدلله السلاح تقريباً أغلبه مضبوط**».. وكان محمد يتحدث بجدية وسرور جعلت من المقدم رضا يرد عليه بقوله « **هذا تدريب فيه جرأة وقد يثير مشكلة مع القيادة ولكني سوف أؤويد تصرفك**

**الجريء »** .وصارت فيما بعد هذه المنطقة ميدان رماية لبقية الفصائل وعلى مسمع ومرئي من جنود العدو ومستهدفين أي علامات على الساتر الترابي للتنشين عليها .

يلاصق مباشرة للموقع الدفاعي المصري وعلى الجانبين حقل ألغام محاطاً بأسلاك شائكة . وذات ليلة سمعت الجنود صوت إنفجار داخل حقل الألغام وأجمعت التفسيرات على أن سبب الإنفجار غالباً دخول كلب إلى الحقل وأنفجار لغم فيه .ذهب الملازم محمد إلى مقر الملازم أول مجدي ناشد وأخبره عن رغبته في تفتيش حقل الألغام مع ضوء الصبح لمعرفة السبب وراء الإنفجار وإجابة مجدي قائلاً : **«هيا نذهب سوياً »** .اقترب الإثنان من حقل الألغام وبدءا في السير بداخله بحذر وكانت المفاجأة أن وجدا رجلاً يحتضر بآنات عبرية يرتدي مايوه سباحة ويحتضن كرة مائية من الجلد الأصفر التي تمزقت و قطرها حوالي ٧٥ سم وقاما بهدوء بحمله والخروج به من بين الألغام وتم إخلائه وهو يلفظ الأنفاس إلى القيادة لإنقاذه والتحري عنه . وعندما فتحا الكرة المطاطة بحذر وجدا بداخلها مسدساً مكتوب عليه بالعبرية وطلقات ودفتر وأقلام وبوصلة وجلباب وطاقية ونعال مما يشير إلى أن المصاب عنصر من عناصر العدو لجمع معلومات وسبح ليلاً عبر القناة ولكنه دخل بالخطأ إلى حقل الألغام في ظلمة الليل.

كان ضباط الفصائل يتناوبون الليل فيما بينهم ليكون دائماً أحد الضباط في موقع كل فصيلة متيقظاً ومنتعشاً تحسباً لأي عمل عدائي طبقاً للخطة الدفاعية. وفي ليلة تحدث الملازم محمد مع الملازم الزرقا عن رغبته في تدريب جنود الفصيلة على الجرأة وأفصح له عن فكرته في تدريب الجنود أن يعبروا سراً في ظلمة الليل مياه القناة سباحة ويصلوا إلى شرق القناة ويمتطوا سواتر التراب ويتحركوا في الأراضي المجاورة والقريبة من الحصون ويقضون ولو خمس دقائق داخل قطاعات العدو ثم يعودون وهذا من المؤكد يكسر الرهبة التي صورتها الدعاية الصهيونية بعد ٦٧. وأشار الزرقا بأنها فكرة ممتازة ولكن فيها مخاطرة وتحتاج موافقة على الأقل من قائد السرية. تحرك الإثنان إلى مقر النقيب الروبي وطرحا عليه الفكرة وأطال الروبي التفكير مشعلاً سيجارة تلو السيجارة وكوب الشاي بين أصابعه وأخيراً أجاب وهو يبتسم فقال : **«ده كلام ناس فعلاً عاوزة تحارب بجد وأنا موافق جداً عليه بس لي شرطان .. أن يكون ضابط منكم مع كل مجموعة تعبر ويضمن لها التأمين الكامل والشرط الثاني أن يتم ذلك سراً وكأنه يتم بدون علمي أو**

**بدون موافقة قائد السرية» . وضحك كل من محمد والزرقا فقد كان كل تخوفهما أن يرفض فتصبح الفكرة «مخالفة لأمر عسكري» .**

مرَّ شهر وفجأة بدت حركة نشطة غير طبيعية من عناصر أجهزة المخابرات الحربية والأمن لتجميع معلومات عن الأحداث في جبهة القتال وزاد التركيز في منطقة بورسعيد العسكرية وعندما تجلت الأمور بعض الشيء يبدو أن القيادة الإسرائيلية وجهت إتهاماً للقيادة المصرية باختطاف جندي إسرائيلي ويبدو أن كل العمليات الخاصة السرية والتي نفذتها القوات المصرية في هذه الفترة لم يكن من نتائجها خطف الجندي المزعوم بل كانت فقط لتجميع بعض المعلومات في صمت الليل. والحقيقة أن تصادف وجود جندي إسرائيلي بعيداً عن حصنه كانت مجموعة من الجند بالفصيلة الثانية قد قتلته أثناء عبورها الليلي وقاموا بدفنه وتم تكتم الحدث عند ذلك .

وصلت جرأة الجنود ومهاراتهم أنهم ينفذون سراً أمر قائد الفصيلة الثانية بإستخراج ألغام مضادة للدبابات من حقول الألغام الإسرائيلية شرق القناة ويعودون بها سباحة ويقوموا بتخزينها في غرفة خاصة داخل الموقع الدفاعي المصري حيث يعاد تجهيزها لاستعمالها في صيد الأسماك من مياه قناة السويس . كان لغماً واحداً كافياً لاستخراج كمية من الأسماك تتغذى عليها كل السرية لمدة أربعة أيام .

في صباح أحد الأيام الإدارية وكانت مخصصة للراحة من التدريب وإعطاء فرصة للجنود لغسل ملابسهم وكيها والاستحمام وأحياناً يسمح لبعض من الجنود بالذهاب إلى بورسعيد سواء للفسحة أو التسوق . واليوم الإداري يكون به نسبة كبيرة من الإسترخاء وتصادف أن كان لدى الحصن الإسرائيلي في هذا اليوم زيارة نسائية حيث وصل الحصن في العاشرة صباحاً أتوبيس كبير كل ما به من الإناث . وظهرت الإناث أعلى الحصن ينظرن على الدفاعات المصرية وبرفقتهن الجنود الإسرائيليين وبعد فترة غابوا كلهم داخل الحصن .حوالي الساعة الواحدة ظهراً صعد أعلى الحصن الإسرائيلي من أقصى اليسار جندي وبرفقته فتاة ثم نادى على الجنود المصريين : «**يامصري ... خليك صاحي في الحراسة ... عندك من ده**» ويقصد الفتاة الملاصقة له .

وكان من ضمن الحراسة في الدفاعات المصرية الجندي طه عزب في اليمين وأربعة آخرون على المواجهة على القناة وأنهالت الشتائم من الجندي طه على الإسرائيلي والفتاة .

**الإسرائيلي : «خليك أنت مشغول في الحراسة ... وأنا مشغول بحاجة تانية»** وبدأ الإسرائيلي يخلع ملابس الفتاة ويعريها ويداعب ثدييها .

**الإسرائيلي : «عندك من ده ... ده أقوى من القنابل »**

**طه عزب : « لا ... وحياة أمك ... لكن عندي من ده »** .... وفتح النيران من الرشاش الخفيف متواصلة إلى أن سقط الإسرائيلي والفتاة وكسر صوت الطلقات وصداها الصمت والترقب والحذر الذي كان مستمراً لشهور بين الموقعين ورفع الحصن الإسرائيلي درجة الاستعداد واحتل الجنود الخنادق العلوية .اندفع الملازم محمد وكان وراءه الرقيب فتحي بدير تجاه مكان وجود طه عزب لإستجلاء مايحدث وأمر قائد الفصيلة طه عزب بالهدوء وتفريغ الرشاش والعودة إلى قاعة المحاضرات لعمل نظافة للسلاح وأكد عليه ألا يتحدث عن ماجرى مع أي أحد آخر يلقاه وأكد عليه إن سأله أي أحد من ضباط الموقع يقول له «أمرني الضابط محمد بعدم الحديث» . راقب الملازم محمد وبجواره الرقيب فتحي الجنود الإسرائيليين الذين سحبوا الجندي والفتاة المصابين وعادوا بعد قليل إلى حالتهم العادية . يبدو أن قليل من جنود الموقع المصري سمع صوت الطلقات ولم يعره اهتماماً لإنشغالهم بعملهم الإداري وكان أغلبهم داخل أماكن النوم وهي محفورة تحت الأرض وربما لاتصلها الأصوات .وانتهى الأمر دون أي تعليق من هنا أو هناك فأحيانا كثيرة الظروف تخدم أصحاب الحق.

## ( ١٠ ) مشروع تدريب :

قامت السرية بإخلاء الموقع الدفاعي وتوجهت إلى أحد مناطق التدريب البعيدة عن عيون العدو. والمنطقة مجهزة بما يشبه الحال في علاقة قناة السويس بكل من الحصن الإسرائيلي والموقع الدفاعي المصري . أرض تشبه تماماً الواقع عند كم ١٩. وقضت السرية وقتاً طويلاً في التدريب المكثف وتكلفت بتنفيذ عدة أدوار متنوعة من القتال وبالتالي تدربت الفصائل الثلاث على أعمال كثيرة دفاعية وهجومية . وأختيرت الفصيلة الثانية في نهاية المشروع التدريبي لكي تلعب دوراً جديداً عليها وهي أن تمثل بجنودها وضباطها مايعرف «بدور العدو الإسرائيلي» وتتولى تنفيذ أعمال العدو المعاكسة في التدريب وبرع جنود الفصيلة في تنفيذ الدور الجديد مما أرهق كل

الوحدات التي شاركت في المشروع التدريبي . تدربت كل فصيلة بمفردها على واجب القتال على مايشبه الحصن الإسرائيلي وتدربت الفصائل مجتمعة على نفس الواجب ولكن بتنسيق الأدوار فيما بينها . قضت الفصيلة الثانية وقتاً أطول في التدريب عن بقية الفصائل مما جعل الجنود في البداية يتذمرون ولكن مع مرور الوقت أدرك الجنود مدى حرص قائد الفصيلة على اتقان كل جندي للمهارات القتالية بدقة عالية وتصنيف جنود الفصيلة طبقاً لدرجة مهارة كل منهم مما جعل الوقت يمر سريعاً والكل في تنافس بغرض أن يكون هو الأفضل . ومهارات القتال شكلها واحد لكن تختلف في درجه الإتقان . والإتقان العالي يؤدي في القتال الحقيقي إلى سرعة إنجاز المهمة وتأكيد النجاح وزيادة الخسائر في العدو ومنع الإصابات لجنودنا ولا يلحظ الفرق الكبير بين درجات الاتقان إلا عين درجت بالفطرة على ملاحظة ذلك . كان لابد أن ينتهي التدريب بالرماية واستعدت كل الوحدات الفرعية المشتركة في مشروع التدريب للتنافس والحصول على أعلى النتائج فيما بينهم . وفاجئت الفصيلة الثانية كل الوحدات بتفوق كبير في نتائج الرماية وآثار هذا التفوق الاستغراب بين الجميع من ضباط وصف وجنود لأن الكل في نفس الظروف ومسلحين بنفس نوعية البنادق ويرمون بنفس نوع الذخيرة فما هو السر ؟؟

وبنهاية التدريب صارت كل الفصائل على علم كامل بواجباتها القتالية إذا ما أختيرت أي منها ضمن وحدات الهجوم على الحصن في حالة الحرب . وتحركت الوحدات عائدة من منطقة التدريب إلى أماكن دفاعاتها لكن سرية النقيب الروبي توجهت صوب مدينة بورسعيد و اتخذت موقعاً دفاعياً جديداً على ساحل البحر الأبيض .

أتاح الموقع الجديد نوعاً من الإسترخاء النوعي نظراً لعدم وجود جنود إسرائيليين أمام أعين الجنود المصريين وكان الموقع مترامي الأطراف مما جعل الفصائل تتخذ دفاعات على مسافات كبيرة وأيضاً تتباعد الفواصل الخالية فيما بينها وأضاف دخول الشتاء على الجنود وهم في مواجهة هذا البحر البارد الشعور بالتقوقع بحثاً عن الدفىء وكان يسلى أوقاتهم الحكايات والذكريات فيما بينهم ومع أطواف من أكواب الشاي.

عندما غادرت الفصيلة الثانية موقعها الدفاعي السابق سلمت مخزن الألغام والتي كانت تستعملها في استجلاب وجبات من أسماك قناة السويس . وموقع الفصيلة الحالي على الساحل

تقع بداخله بوابة الصيادين حيث يمر منها صيادو بورسعيد ذهاباً وإياباً كل يوم للصيد وعددهم بالمئات وهي المنفذ الوحيد من البحر إلى داخل المدينة وتولت الفصيلة مسؤولية الإشراف على تنظيم دخول وخروج الصيادين كواجب أمني. والتقى الملازم محمد بشيخ الصيادين المعلم دراز أبو العربي لترتيب طريقةإجراءات العمل على البوابة وتأمين دخول الصيادين من البحر إلى المدينة. ومرت أربعة أيام وعاد شيخ الصيادين ليبلغ قائد الفصيلة برغبة الصيادين عن طيب خاطر منهم في أن يهدي كل منهم شيئاً من صيده إلى الجنود فأتصل الملازم محمد بالقيادة للحصول على موافقتها على ذلك .وكان مايهديه الصيادون من صيدهم اليومي للفصيلة وفيراً بحيث يكفي الكل .

يتوسط موقع السرية مبنى ضخم لفندق مهجور وبه أجزاء مهدمة من أثر ضربات جوية وتوجد أيضاً خنادق دفاعية في العراء وفي مواجهة مياه البحر واتاح مبنى الفندق فرصة التفكير في تدريب الجنود على أعمال القتال في المباني وفي العراء والأرض المفتوحة وأيضاً في مواجهة هجوم من مياه البحر. وبدأت تهب عواصف ترابية شديدة مستمرة طوال اليوم وتجمع ضباط السرية وتناقشوا فيما بينهم حول إستغلال مثل هذه العواصف والتي تختفي معها أصوات الطلقات وإمكانية تدريب الجنود على مهام قتالية متنوعة وحقيقية في داخل موقع الدفاع بمعنى أن يرمي الجندي طلقات حقيقية طبقا للموقف . ووافق النقيب الروبي على الفكرة وأمر أن يصاحب كل جندي ضابطاً لتوجيه أدائه وتقييمه أيضاً وكان عدد الضباط ستة .وتم تجهيز الموقع الدفاعي للتدريب في حالة إن هبت العواصف مرة ثانية . و أتاحت العاصفة فرصة تنفيذ هذا التدريب المبتكر والجريء وظن الجميع أن أصوات الطلقات لن يسمعها أحد وسط أصوات الرياح. لكن القيادة علمت بمايحدث ربما من خلال عناصر الأمن وسرعان ماحضر قائد اللواء العقيد مسلم وبصحبته المقدم مجلع وتفقدوا طريقة تنفيذ التدريب ودون أي اعتراض منهم على مايحدث مما شجع الضباط على الاستمرار في التنفيذ ثم قفلوا عائدين وأصوات الطلقات الحية تدوي ويرتد صدى الصوت في جنبات المنازل المجاورة.

أضيف إلى السرية واجب هجومي جديد صارت تعمل ضمن وحدات الاحتياطي لصد أي اختراق إسرائيلي يحدث من أي إتجاه من اتجاهات البحر وعلى طول شواطىء مدينة بورسعيد

. وبدأت السرية نوعاً جديداً من التدريب من خلال التحرك السريع مخترقة شوارع بورسعيد بين المنازل الصامتة الخالية من سكانها وافتراض لسيناريوهات هجوم للعدو وأعمال صد لهذه الهجمات. وكان منظر المساكن الخالية والنوافذ المغلقة أشبه بالقبور ذات الطوابق وكثيراً ماتناقش الجنود فيما بينهم مستنكرين أن يهجر السكان المدينة الخالدة وهم الذين وقفوا من قبل في مواجهة الطائرات الإنجليزية والفرنسية والجنود المظليين الهابطين منها في معارك عام ١٩٥٦. وكان الجنود يتساءلون فيما بينها في كل تدريب ينطلقون فيه داخل الشوارع وبين المنازل عن السبب الذي دفع بأهالي بورسعيد هذه المرة إلى مغادرتها؟ هل تغير رجالها بآخرين أم أن الأجيال اختلفت كثيراً بين ٥٦ وبين ٦٧؟ ولكن أجمع الجنود دائماً على عدم رضاهم بما حدث من أهالي المدينة الخالدة هذه المرة لأن التاريخ أبداً لاينسى.

تتوسط قهوة «**السلكاوي**» مدينة بورسعيد وكانت تمثل مكاناً للجنود من حين لآخر يشعرهم بأنهم في راحة من متطلبات الحياة العسكرية حيث يجلسون يتناولون المشروبات ويتعارفون فيما بينهم نظراً لتعدد تخصصات الوحدات بين البحرية والمشاة والمدفعية والدفاع الجوي والإشارة والمهندسين والصاعقة والحرب الكيماوية وأجهزة المخابرات وكل له دوره داخل بورسعيد أو بورفؤاد أو على أطراف المدينة. وكان صاحب القهوة الأستاذ سيد السلكاوي يرتدي طول الوقت بدلة أنيقة وهو طويل القامة أبيض الوجه وعيناه زرقاء وكان يعرف أسماء كل الجنود الذين يزورون القهوة ويتعامل معهم كأبناء له. وكما صارت قهوة السلكاوي مكاناً خاصاً للجنود صارت كافتيريا «**الجيانولا** » محببة للضباط وهي تقع في منطقة مساكن المدينة الارستقراطية. وهي قريبة من سينما ماجستي و التي يذهب إليها الجميع فهي السينما الوحيدة التي تعرض أفلاماً . ومع ندرة المدنيين من أهالي المدينة فقد كانت أسر المدنيين تكاد تكون معروفة بدقة للعسكريين مما سهل حالات زواج أضفت على مناخ المدينة نوعاً من الفرح النادر . كانت تسود بين الأهالي المدنيين القليلين جداً والمستبقين بأوامر عسكرية لتشغيل المرافق الحيوية ببورسعيد حب فطري للعسكريين واحترام كبير لهم وكان هذا منعكس تماماً على حب العسكريين لأهل المدينة ولم يذكر أبداً موقف أو حادث عرضي يدل على التعارض بين الجانبين .



بورسعيد الخالدة بيوتها خالية.

## (١١) رجال الفصيلة الثانية :

كل منهم انحنى يوماً واغترف غرفة بكفة من مياه النيل وشربها . أغلبهم في عمر الشباب ومتوسط الأعمار ٢٠ عاماً وبينهم فقط ستة من المستبقين في الخدمة بالأمر العسكري بعد ٦٧ وتجاوزت أعمارهم الثلاثين لأنهم كانوا من الإحتياط الذي تم استدعاؤه للحرب ومن ساعتها لم تصدر أي أوامر لهم بإنهاء الخدمة العسكرية وثلاث من المتطوعين وهم رقيب الفصيلة وعريف الجماعة الثالثة وعريف الجماعة الأولى أما عريف الجماعة الثانية فكان مجند وترقى من جندي إلى عريف . الجنود يمثلون خريطة مصر فقد اجتمعوا من كل جغرافيتها فمنهم من جاء من الريف ومنهم ابن المدينة ومنهم ابن القرية ومنهم من جاء من النائي القصي في عمق الصحراء ومنهم من سكن ساحل البحر فهي فصيلة جغرافية من جنود مشاة وكان هذا التنوع دافعاً ممتازاً على التناغم فيما بينهم وتوفير المناخ الذي يبعث الفكاهة من تناقض العادات واللهجات مثلما تتنوع آلات الموسيقى لكنها تخرج لحناً جميلاً .

**فتحي بدير:** ( استشهد في معارك العمق )

شاب دمث الخلق ريفي من إحدى قرى محافظة المنوفية وهو متطوع وعلى درجة عريف لكنه يتولى وظيفة رقيب الفصيلة ومتزوج منذ أربعة أشهر ولديه حساسية مفرطة تجاه جنود الفصيلة فلا يقبل أي مساس بأحد منهم من شخص خارجي ولكنه قاسي في تعامله معهم وخاصة عند الخطأ وهو لايحب أن يرى واحداً منهم في وضع المسائلة. كان الجنود يحبونه ويستجيبون لأوامره بسرعة وهو ذكي يفهم كل جندي جيداً. والجنود قبل تجنيدهم تتنوع خبراتهم في الحياة بتنوع ماكانوا يمارسونه من عمل : طالب – مزارع- نجار- مصور- بناء – قهوجي – ترزي – مدرس- ميكانيكي –كهربائي – حلواني – عامل ملهى – سائق- بائع – موظف بنك – موظف بورصة – غنام – جزار... إلى آخره. ونجح فتحي في أن تحقق الفصيلة تكاملاً في خدمة أفرادها لبعضهم البعض عن طيب خاطر وحب وتوظيف هذه الخبرات لمصلحة الفصيلة أينما حلت وفي كل وقت وإستغلال أقل المواد المتاحة في تحقيق مناخ ذي مزاج خاص لمكان الإيواء والنوم لأفراد الفصيلة.

**فوزي عبد المقصود :**

متطوع حديثاً وهو الأصغر سناً بين الجميع حوالي ١٧ سنة ولايزال على درجة وكيل عريف وتم تعينه قائد الجماعة الثالثة ويربي شارباً كبيراً يبتلع كل وجهه ويتحدث محاولا تضخيم صوته ويحب جداً استعمال السلطة في كل الأوقات وفي كل المواقف وخبرته لاتزال في البداية وكان نحيل الجسم وكان جنود جماعته دائما يتحينون الفرصة للكيد له في مقابل تسلطه عليهم بطريقة مبالغ فيها لحداثة خبرته العسكرية .

**أحمد الحسيني :** ( قطعت ساقه بلغم أرضي إسرائيلي بعد وقف القتال)

متطوع انضم على قوة الفصيلة بعد أن رفضته بقية الفصائل لكثرة مشاكله و إثارته للشغب وهو لديه الإحساس بعدم الإنتماء وكأنما جاء تطوعه رغماً عنه ولكن تغيرت معه الحال عند انضمامه للفصيلة الثانية ووجد بين جنودها روحاً متميزة شجعته على الانسجام والتآلف وتولى قيادة الجماعة الأولى .

## محمد شاهين :

أسمر وطويل ونحيل الجسم وكان الجنود يطلقون عليه «سقراط» فهو دائماً يبدأ حديثه بالأسئلة ومنتسب في السنة النهائية بكلية الآداب وهو هادئ الطبع ولكنه متصلب الرأي جداً ويميل إلى الجدل الطويل لكي يرجح رأيه ولديه حب تحمل المسؤولية وكان هذا سبباً في تعيينه عريفاً ليقود الجماعة الثانية وتميز باستمرار بإيجاد حلول ممتازة للمشاكل في المواقف الصعبة.

## صلاح عبد السميع :

مجند ومستبقي بعد ٦٧ وعمره يقترب من الأربعين وكان يعمل مديراً لبنك ولديه قوة جسمانية غير عادية وهو من اللون الشمسي طويل القامة قوي الشكيمة وماكر وحديثه ينم عن رجل خبير ومتمرس في أساليب التلاعب المالية وأدعى أنه متزوج من جنية حتى يعامل معاملة خاصة ويترك بعيداً عن حضور التدريب وهو من سكان القاهرة واعتمد عليه الجنود في محو أميتهم وكان يمارس تعليم الجنود القراءة والكتابة عن حب حقيقي ورغبته أن يكون المقاتل مثقفاً وخاصة جنود الفصيلة التي ينتمي إليها.

## فتحي طلعت :

من أهل الصعيد وقصير القامة وحاد الكلمات ولديه قدرة لانهاية لها في توجيه النقد فهو لايعرف إلا السلوك السليم ولايقبل الخطأ بتاتا وكان من الصعب عليه الضحك أو الابتسام فهو يعتبر ذلك تقليل من صفات الرجال وكانت وظيفته موجهاً للغة العربية في ضواحي الصعيد ويندر أن تراه هادئاً فهو دائماً غاضباً متذمراً يسير مندفعاً ساخطاً من سلوك الآخرين.

## عبد الله الصغير :

عامل في أحد ملاهي شارع الهرم خفيف الظل قصير القامة مملوء بالسخرية من أي شيء ويكون مفتاحاً للضحك عندما تتأزم الأمور وفي الظروف الصعبة . له دائماً مشاكل مع زملائه بسبب تهكمه عليهم وكانت الحياة العسكرية مشقة كبيرة له وكان يردد بإستمرار « أن من يعيشون حياة الملاهي الليلية هم بعيدون تماماً عن الوطنية ولايعرفون عنها شيئاً ولكنهم خبراء في فهم النساء » .

## الشيخ إبراهيم :

طيب القلب وحلو الطباع يحب الجميع وهم يحبونه ودائم الإبتسام بملئ الوجه حتى قبل أن تتكلم معه وكأنك أبلغته بخبر سار وكل كلماته وردوده تحمل عمقاً دينياً مثل «إن شاء الرحمن» ، «إن الله غالب علىأمره» ، «كله بأمر الله» ، « الله هو المطلع» ، « وما تشاءون إلا أن يشاء الله» وكان معروفاً بسرعة تقديم الشاي لأى شخصٍ يقترب من مكان نومه وكأنه دخل في حدود مضيفته.

## عبد الله فرج :

ميكانيكي من أبناء مدينة السويس دائم الكلام ومقبل جداً على الحياة ومرح ومتعاون إلى أبعد الحدود وعينه تراقب عن بعد كل من يحتاج المساعدة فيسارع إليه . تهدّم بيته بضربة طيران إسرائيلي وكان دائماً يلقى النكات محاوراً الطيار الإسرائيلي الذي هدم بيته وأطلق عليه اسم «الأعور » ومن يتحدث معه يشعر بسرعة وكأنه صديقه منذ زمن طويل .

## فوزي جعوان :

من بلطيم ويعمل مصوراً ويمتلك استوديو تصوير في بلدته ويحمل معه دائماً الكاميرا وبتصريح من الأمن بعدأن تلقى تلقينا من ضابط الأمن بهذا الخصوص وكان يقوم بتصوير الجنود ويطبع الصور في داخل بورسعيد كلما تمكن من الحصول على تصريح بالفسحة . هو مبدع في طريقة تفكيره ويحب مجادلة الأمور وهو مسلي إلى أبعد الحدود لأنه ينسج بخياله قصصاً وروايات يدلل بها على أفكاره وكأنه قضى كل طفولته في الإستماع إلى الحكاوي ولديه قدرة فطرية على سرعة التودد للآخرين.

## قطب النادي :

أسمر وملامح وجهه كبيرة رغم أن جسمه نحيل وقصير . ودائماً تدل أولى تعبيراته عن الغباء ولكنه في حقيقة الأمر فطن وحريص جداً وهو نموذج لشخص غريب الأطوار أحياناً يضحك ومن أعماق قلبه في مواقف قد لاتتطلب الضحك وكأنه يرى مالا يراه الآخرون من حوله وكثيراً مايظنه الجنود أبله وأحياناً أخرى يجدوه في مكر الثعلب وله طاقة كبيرة على تحمل العمل المتواصل ومن

الصعب أن تحصل منه على إجابة مفهومة لأي سؤال تطرحه عليه؟ وله ميزة خاصة وهي أن الخوذة العسكرية لاتستقر أبداً فوق رأسه معتدلة وإنما مائلة على أحد الجوانب .

## طه عزب :

مزارع قصير القامة مفتول العضلات متدفق الطاقة والحيوية ومتزوج من أربعة زوجات وكان في البداية دائم المرض بعدم القدرة على الجري إلى أن أصدر الطبيب محمد البلك أمراً بعدم بقائه في الفصيلة أكثر من أسبوعين يقطعهما بأجازة إجبارية وألا يصاب بما يعرف « بالتسقيط» من فرط طاقته الجنسية . كثير الضحك ولسانه ناقداً ساخراً ولا يفوّت أي فرصة إلا ويحاول أن يحولها إلى موقف ضاحك وأطلق عليه الجنود «الفلاح الفصيح» لأنه كان دائما يحب أن يتحاور مع الضباط في الاجتماعات الكبيرة . لديه موهبة في تقليد الآخرين وعندما يضحك يجر الآخرين إلى الضحك من فرط إستغراقه فيه .

## علي مرسي :

نوبي أسمر نحيف لكنه كالسيف صلب وهو صعيدي مرح وكان هو وطه عزب يمثلان دائماً طرفين متشاكسين يلعبان دوراً اجتماعياً في إيجاد مشاكل تكفي لشغل وقت فراغ الجنود ويحب اللعب بعصا التحطيب وماهراً جداً وقام بتعليم التحطيب لكل بقية الجنود .

## عادل عنتر :

له بنية المصارع وتقاطيع وجهه جامدة لاتظهر أي انفعال وعيناه غائرتان وبهما حول خفيف وله فم عريض تملئه أسنانه المتفاوته ويخفي غضبه ولكنه لابد من أن يرده على من أغضبه وكان عمله المدني خفيراً ليلياً وهو عمل أمني وكانت من هواياته التعدي بالضرب على الآخرين بشرط أن لايستطيع أحد أن يبرهن على أنه الفاعل فهو يتصيد فريسته في وقت ومكان بمهارة بعيداً عن أعين وأسماع الآخرين .

## السيد ساعي :

أطلق عليه الجنود اسم «أبو البطل » وهو رجل طويل القامة وفي نفس الوقت آلة بشرية ويمكنه

أن يقوم بحفر خندق لكل جماعته ودون كلل أو توقف في مقابل أن يبتاعوا له سجائر وهو قليل الكلام جداً وعندما يتكلم كأنه يرى العالم من خلف زجاج ويدرك أن الأمور تسير بقدرها وكان يعمل بائع دخان ومغسلاً في قرية صغيرة.

**تاضروس اقلاديوس :** (شهيد العبور الوحيد في السرية كلها فقد أصيب أثناء العبور وغرق )

المسيحي الوحيد بين الجنود وأختلاف الدين لايمثل أبداً شيئاً بين المصريين . وهو من أبناء الصعيد وعلى خلق حميد وآدب جم وكان يتميز بحبه الشديد أن تكون ملابسه دائماً مكوية وعندما كان يرغب في الإفصاح عن رأيه بين الجنود فيقدمه واحد ويقول «سكوت ... سوف نستمع الآن لكلمة من أبينا تاضروس» .

## إسماعيل المرسي:

من أبناء الإسكندرية ولكنته الإسكندرانية صارخة في التفرد وهو من النوع الهزاز الذي يصعب عليه أن يقف ساكناً دون أن يتحرك أو حتى دون أن تذهب يداه هنا وهناك في كل الاتجاهات ولذلك كان أصعب وقت يمر عليه عندما يكون واقفاً داخل الصف انتباه وكان يجيد الطهي وعمل طاهياً في مطعم أسماك وهو ينفذ أي عمل بأقل جهد ممكن وكان يحاول أن يبتعد عن التدريب بأن يكون طاهياً في مطبخ السرية وبرع في إعداد وجبات السمك بكل تنوعها وتفوق في تحضير السمك البوري وتحويله إلى «الفسيخ».

## محمد عبد الرحيم :

هو جندي مصاب بالبلاهة وكل تصرفاته غير متزنة ولايمكنه أن ينطق الكلمات وأطلق عليه الجنود لفظ «المبروك» وحاولت الوحدة مرات متكررة عرضه على اللجنة الطبية لاستبعاده من الخدمة العسكرية .لايستطيع أن يسير ضمن الطابور في خطوات منتظمة لكنه يحرك ساقه اليسرى مع زراعه اليسرى واليمنى مع اليمنى وهذا غريب جداً ولا يمكنه أن يعقد رباط حذائه. ونقل من قوة السرية بعد بدأ الحرب بأسبوع واحد وبعد أربعة شهور من نقله سرت شائعة قوية تقول إنه كان «من المخابرات»؟؟.

## جاد المولى :

رجل على شكل حصان أسود تراه العين هكذا أشبه مايكون بالحصان عندما يقف على قدميه الخلفيتين وحتى مشيته وكأنه يصارع الهواء من حوله ويحب أن يأكل السمك بدون طهي وهو سباح ماهر وغطاس قدير ويمكنه أن يصطاد بعض أنواع الأسماك بيديه العاريتين وكان يترأس مجموعة الجنود التي تتولى عملية صيد الأسماك من قناة السويس بالألغام الإسرائيلية وله دراية بصيد السمك الصغير «الشبار» من البحيرات الملحية وأيضاً يعرف طريقة جمع «الباك لويز» وصيد « الكابوريا » .

## سعدون مسعد :

كان تجسيداً اسماً وشكلاً لشخصية مسعد في أوبريت صلاح جاهين «الليلة الكبيرة» وجهه دقيق القسمات جداً وكأنه لوحة بريشة رسام وهو من سكان خان الخليلي ولديه معتقدات قوية عن السحر والجان والزار وكان يعمل في نقش التحف النحاسية الفرعونية وكان يجيد عدة لغات يتعامل بها مع الأجانب زوار حي خان الخليلي . وكثيراً ماكان يحدث الجنود عن الرسم بطريقه «عم- حب» على أنها طريقة فرعونية متميزة تتوارثها أسرته فقط كسر من أسرارها وتحتفظ أفراد الأسرة بالوحات المرسومة على جدران منازلهم فهي لاتعرض للبيع ويقوم الرسام برسم اللوحة من خلال طقوس خاصة يسيطر عليها العقل الباطن والرسومات لها طابع علاجي لبعض الأمراض العضال.

## إسماعيل العربي:

من حي كرموز في الإسكندرية ويعمل سائقاً على سيارة نقل تجر مقطورة تنقل الأخشاب من ميناء الإسكندرية إلى شتى محافظات مصر وهو مشاغب رغم أنفه ولايمكن لأحد أن يجاريه في « القافيه » وكان ملف خدمته ممتلئ بالعقوبات لكثرة تشاجره مع ضباط الصف وهو يكره الانضباط وأفراد الشرطة العسكرية وكان يسوق أحد العربات الزيل المخصصة للعمل مع الفصيلة وكان معروفاً عنه الكرم ولايحب الأكل الميري فهو دائماً مايشتري طعامه من خارج الوحدة ونادراً مايتناول الوجبات المطبوخة بمطبخ السرية .

## فتحي مهران :

مظهره وحمرة الوجه وهندمة الشارب الأصفر الصغير لايدل أبداً إنه من أبناء صعيد مصر . ورقته البالغة وحبه الجم للنظافة جعلته يبحث دائماً على أن يكون في مناخ خاص جميل ولو بأقل الممكن وكان الوحيد الذي يضع لوحتين لرسومات عن الطبيعة خلف مرقده ولكن الحرب أكدت أن له قلب مقاتل ميت .

## عطا عبد الرحيم :

هو نموذج لما يعرفه حضر مصر عن الرجل الصعيدي . ثعلب ماكر شديد المراس لا نهاية لغضبه إن لفظ أحد له لفظ فيه إهانة ويهوى جداً الأسلحه وله ولع بكل أنواعها وكان يحب أن يدعوه أفراد طاقم المدفع الماكينة ليقوم معهم بتنظيفه وقد أخبر الجنود بأنه يمتلك عدة أنواع من الأسلحة في بيته بالصعيد .

## غريب ندا :

لحام وسمكري من أبناء مدينة السويس واستشهد له أخان في أحداث ٦٧ قصير عريض الصدر وله رأس ضخم وجبهة عريضة ولم يكن يبتسم أبداً وكان دائم السب واللعن في الصهاينة وعندما انضم إلى الفصيلة لأول مرة كانت لديه رغبة ملحة أن يتسلح بالقاذف المضاد للدبابات (ر ب ج).

## عبد العزيز حسن :

هو أشبه بشخصيات ميكي ماوس وكان يعمل كومبارس في أحد فرق المسرح وأطلق عليه الجنود لقب «بلوتو» ويجيد تقليد الشخصيات وكان ممتلئاً بالوطنية وكان محباً جداً للقيادة وتولى السلطة وكثيراً ما ألف مواقف ثنائية «اسكتشات» وكان يسمعها لليهود في الحصن المواجه صباحاً ومساءً كلها عن البخل والجبن ونقد سلوكيات اليهود عندما كانوا يعيشون بين المصريين قبل إرتحالهم لإسرائيل .

## محمود النرد :

كسول الحركة جداً ويهوى السهر ويتناوب الخدمة الليلية كثيراً مكان الآخرين وكان يعمل

سائقاً لعربته النصف نقل وهو ماهر في إصلاح السيارات ومن سكان مدينة مرسى مطروح و هو رامٍ ماهرٍ بالفطرة ويحب الصيد .

## فاروق العرباوي :

يقول إن بلدته تسمى دنطيط وكان لايعرف كيف ينطق اسم البلدة فلديه لعثمة في النطق وهو قوي البنية فارع الطول وكانت وظيفته المدنية طعمجي ولديه سرعة عجيبة في تعلم أي مهارة وهو الأول دائماً في تدريب قذف القنابل لمسافات بعيدة أو الدقة في إسقاطها.

## إبراهيم رشدان :

كان يعمل بائع فسيخ وكانت شهرته في الفصيلة «الزفر» وكان أبوي الحديث وقد تجاوز عمره الثلاثين وهو من مدينة دمياط ولديه بفطرته خبرة بالنجارة وإصلاح الأثاث الخشبي أو تصنيعه.

## سعيد إبراهيم :

من مدينة طنطا ويتقن الأعمال الكتابية فهو في الأصل موظف في بورصة الإسكندرية ولكن له ولع بتاريخ المشايخ ورواياته عن السيد البدوي لا نهاية لها ومعلوماته عميقة عن الطرق الدينية والصوفية.

## حسين :

هو أحدث جندي متطوع انضم إلى الفصيلة قبل الحرب بأربعة شهور وكان جندياً مثالياً في إطاعة الأوامر وحب التعلم والمعرفة والتعاون مع الآخرين وتعلم الرماية بسرعة وبرع فيها وكان من ضمن الفريق الذي يمثل الفصيلة في المسابقات وأصبح ضمن فريق رماية اللواء .(تم اتهامه في اغتيال الرئيس أنور السادات عام ٨١ وكان قد انتقل من الفصيلة بداية عام ١٩٧٥ ).

وهناك مجموعة أخرى من الجنود الذين يتم إلحاقهم لمعاونة الفصيلة في أعمالها وهم من أسلحة المهندسين العسكريين والرشاشات المتوسطة والمدافع المضادة للدبابات وقاذفات اللهب وكان يتم تبديلهم بصفة دورية .

## ( ١٢ ) مناخ التعايش بين الجنود :

سرت بين الجنود روح التنافس الفردي وصار كل جندي يرغب في أن يكون الأفضل في مهارات القتال أو الرماية أو المظهر العسكري أو اللياقة البدنية أو السلوك اليومي وتناغموا جميعاً في الأداء الجماعي وتنفيذ المهام التدريبية التي تكلف بها الفصيلة . وتميزت فترة بقاء الفصيلة في موقعها الدفاعي على ساحل البحر الأبيض بعدة أشياء منها رفع مستوى السباحة عندما حرص قائد الفصيلة على أن يعتاد الجنود التدريب على سباحة المسافات والفرصة مواتية لهم كل يوم . وصار الجنود يتفننون في طريقة طهي الأسماك وجلسات الأكل على الشاطىء بعد أن صنعوا لهم مظلة كبيرة يمكنهم التجمع والجلوس في ظلها . وكان هناك نظام خاص بالأجازات حيث يبقى الجندي في الوحدة حوالي ٤٠ يوماً وبعدها يمنح أجازة حوالي أسبوع ونفس النظام كان يسري بين الضباط حيث يتناوب الملازم محمد والملازم الزرقا فيما بينهما الأجازة وصارت الفصيلة هي دار الجميع .أشرف الجندي علي مرسى على تنظيم مسابقات التحطيب بالعصا بين الجنود بعد إنتهاء وقت التدريب وكانت من الجلسات المسلية عندما يتحلق الجنود في دائرة ويتناوب ضرب العصا كل اثنين حسب الدور ويمر عليهم الشيخ إبراهيم باكواب الشاي الساخن .كما تولى الجندي صلاح مسؤولية محو الأمية في الفصيلة خلال زمن ٥٠ يوماً كهدف له وتفنن وابتكر لكي يحقق مهمته بنجاح. وكانت تدور نقاشات حرة بين الجنود بلا أية قيود على الرأي فقد تعمد الضباط تشجيع الجنود على ذلك ما دام التدريب قد انتهى . يقضي الجنود يوم الجمعة في الأعمال الخاصة بغسل الملابس والراحة من الأعمال العسكرية ولكن فقط الحراسة تبقى بالدور على الجميع وحسب التوقيتات . وكان يستمتع الجميع بجلسة عصر الجمعة وأطلق عليها اسم « **مناقشة الفكرة**» عندما يجلس الجنود والضباط معا ويجتهد كل منهم في عرض فكرة جديدة للمناقشة . وفي أحد الجلسات عرض إبراهيم رشدان فكرة عن تغيير طريقة تحرك جماعة المشاة عندما تهاجم وقام الجميع بمناقشة أوجه الفرق والاختلاف عن الطريقة التي تدربوا عليها وثبت بالمناقشة على جلستين أن الفكرة متطورة وتولى الضباط عرضها على القيادة التي عرضتها على المستوى الأعلى وهكذا وصولاً إلى وزير الدفاع وجاء الرد بعد فترة من الزمن يقول إن الفكرة ممتازة ولكن الأمر سوف يتطلب وقتاً لتغيير جذري في عقيدة القتال لوحدات المشاة وأرسلت مكافأة مالية من القيادة قدرها ٢٠٠ جنيهاً

باسم الجندي إبراهيم رشدان . وفي جلسة أخرى تحدث الجندي فاروق العرباوي عن رمي القنبلة اليدوية الهجومية وكان متفوقاً في رميها عن بقية الجنود وعرض أن القنبلة عندما ترتطم بسطح الأرض وتنفجر فإن أي ساتر موجود على الأرض ومرتفع عنها قليلاً يقي من شظاياها وتصبح عديمة الأثر وكانت فكرته الجديدة أن يتعلم الجنود طريقة أخرى في قذف القنبلة بحيث تنفجر على ارتفاع ٢٥٠سم من سطح الأرض وبذلك تصيب شظاياها أي من يختبىء خلف السواتر. وقضى الجنود الأسبوع التالي في تدريب خاص إضافي للوصول إلى هذه المهارة واستعملوا أولاً القنابل الصامتة الهيكلية إلى أن وصلوا إلى طريقة ناجحة ثم جربوها بقنابل حية على أشكال من الخشب .وانتقلت هذه الفكرة لتنفذها بقية الفصائل بالسرية الأولى.

وكان الجنود يتبادلون في سمرهم خبرات عمل كل منهم المدنية قبل التجنيد . وكان دائماً هناك أسئلة توجه إلى سعيد إبراهيم حول وظيفته والتي لايعرف عنها أحد أي شيء في بورصة الإسكندرية وكان دائماً يردد أنها وظيفة الشطارة ورزق الهبل على المجانين ولايعمل بها إلا الأثرياء والذين لديهم أموال لاحصر لها ولايبكون عليها عند الخسارة ويقول إن عمل البورصة فيها أرباح وأيضاً فيها خسارة ولكنها مثل لعبة القمار لأن من يكسب ومن يخسر كلاهما جالس في مكانه ولم يتحرك ولم يتعب أو ينتج شيئاً . وعرض محمد شاهين فكرة استخدمها الضباط في تعميق المناقشة حيث استمرت ثماني جلسات عندما انتقد نظام الجامعة المصرية وتقدم بفكرته أن تسمى «**جامعة الصحراء**» ويكون هدفها الأساسي محدداً بتعمير مناطق صحراوية بعينها لأنه ليس من المعقول أن يظل سكان مصر محبوسين على ضفاف النيل .وكانت الفكرة أن كليات الجامعة تعد طلابها وطالباتها لوظائف مرتبطة بتعمير الصحراء مبتعدين بالتدرج عن النيل ومستفيدين من مياه النيل بشق فروع منه وباحثين أيضاً عن مياه الآبار على أن يرتبط أعداد خريجي الكليات بتصميم مدينة جديدة مثلاً ويكون الخريجون من عام واحد مسؤولين عن إدارة هذه المدينة فالمهندسون للتخطيط الهندسي والإنشاء والزراعيون لشق الترع والإستصلاح الزراعي والتجاريون لإقامة بنك والفنيون لتنفيذ أعمال البنية التحتية وخريجو الإدارة لتصميم وإدارة مجموعات العمل وخريجو الطب لإقامة مستشفى وهكذا تكون الكليات متغيرة في مناهجها بحثاً عن مطالب تعمير الصحاري من وظائف .وعمق الضباط مناقشة هذه الفكرة عندما طلبوا من الجنود أن يمثل كل منهم مديراً

لكلية ويتقدم بفكرة عن منهاج التعليم والتدريب لكليته ومجموعة أخرى من الجنود مثلت الإدارة التي تمثل المدينة الجديدة وتتقدم بطلباتها من الخبرات المتنوعة اللازمة لتعمير المدينة.

وفكرة «**كلمة الربط** » كانت للجندي المتطوع فوزي عبد المقصود ووضح معنى الفكرة أن كل موظف في جهة عمل حكومية يتعامل مع الجمهور في تنفيذ بعض المصالح عليه أن يخبر الشخص الذي أمامه بالخطوة التالية ويقول له مثلاً : «الآن توجه إلى الدور الرابع واختم الخطاب بختم المصلحة» ويقول الموظف الذي قام بوضع ختم المصلحة «هكذا يكون خطابك جاهزاً ويمكنك المغادرة الآن » ورغم أنها كلمات قليلة لكنها توفر الكثير من الوقت والجهد ولاتترك مجالاً لمن يطلب الخدمة ان يضيع وقته أو يخطأ .

وعرض إسماعيل العربي فكرة أطلق عليها «**دائرة الخدمة**» وقصده منها أن تقسم الأحياء إلى دوائر خدمة وكل دائرة لها رقم يميزها عن الأخرى وتمثل كل دائرة ٤-٦ منازل أو عمارات وسكان كل عمارة يختارون فيما بينهم واحداً فقط ينوب عنهم وهذا العدد المختار يكون له صلاحية الاتفاق على تنفيذ الأعمال التي تخدم السكان من نظافة وتجميل وتنظيم وحل أي مصاعب واتصال بالجهات الرسمية وتتأسس هذه الفكرة على أن الناس عندما يكون بينهم تعارف شخصي يرتفع مستوى اهتمامهم ببعض وتعاونهم . ويكون ترقيم الدوائر بغرض سرعة تحديد موقع كل دائرة وذلك لتقييم أنجح الدوائر وأنشطها وعمل منافسات فيما بينها يطلقها جهاز متصل بكل محافظ وبرئاسة الجمهورية . وعرض فتحي طلعت وهو يعمل في التدريس فكرة «**مكتبة الزواج**» وكانت ترمي إلى أن يهتم المجتمع بأن يكون العريس في كل حالة زواج مسؤول عن إعداد مكتبة للقراءة ضمن أثاث الزوجية ويضمنها حد أدنى من الكتب : كتاب ديني – أحاديث نبوية – أسس علم نفس – القانون الدستوري – كود القانون المدني والأحوال الشخصية – قانون المهنة المنتمي إلها الزوج والزوجة – كتاب عن تربية الطفل – كتاب عن الطبخ . وتكون المكتبة نواة في المنزل لتعزيز قيمة القراءة للأبناء ومنح وقت للقراءة على اعتبار أن القراءة أهم وسائل تنمية الإبتكار والإبداع . ويتحول هذا الاهتمام إلى عرفٍ اجتماعي مع مرور الوقت .وعند مناقشة هذه الفكرة تفرعت عنها فكرة أخرى تخص سكان العمارات ذات الطوابق المرتفعة والتي قد يسكن العمارة الواحدة ٣٠ - ٤٠ أسرة وهي فكرة «**مكتبة العمارة**» حيث تدفع كل شقة مبلغاً رمزياً شهرياً بما يسمح بشراء

٢-٣ كتب شهرياً لتكون في متناول الجميع لقرائتها وتجمع الكتب في مكتبة صغيرة يمكن تخصيص مكان لها فوق سطح العمارة .

وعرض الملازم محمد مناقشة فكرة «القسم» مع الجنود فهو يتذكر القسم الذي تلاه عند تخرجه من الكلية الحربية : « **أقسم بالله العظيم أن أعمل لأكون جديراً بشرف الإنتماء إلى القوات المسلحة وأن أحافظ على حدود بلادي وأن أطيع رؤسائي وانفذ المهام في البر والبحر والجو وأحافظ على سلاحي ولا أتركه قط حتى أذوق الموت** » . ولكنه لايعلم إن كان هناك قسم مشابه لكل كلية من الكليات المدنية الأخرى مثل الآداب والتجارة والطب والحقوق والزراعة والهندسة وبقية الكليات ولم يكن من بين جنود الفصيلة إلا ثلاثة من حملة الشهادات الجامعية من كلية التجارة وكلية العلوم ولم يستطع أحد منهم أن يؤكد أو ينفي وجود قسم بكليته يتلوه الخريجون . وفكرة القسم تحمل معنى أن هناك دائماً مايذكر ضمير الفرد حول دوره ومسؤوليته وتلفت إنتباه الشباب مبكراً وهم في سن الجامعة إلى قيمة الحفاظ على القسم أو خيانة القسم ومن الأمور المنطقية أن يتعلم الأفراد في كل المجتمع هذه القيمة في مقتبل العمر وخاصة أن الجميع يعلم مثلاً أن الوزراء يقسمون قسماً خاصاً عند تولي مناصبهم وحتى رئيس الجمهورية يتلو قسماً خاصاً مغلظاً ليحافظ على النظام الجمهوري ويصونه من أي شائبة أو ذلٍ أو هوى وألا يقترب ليكون نظاماً ملكياً . وعندما يعتاد الموظفون أن يكرروا القسم «أمام رؤسائهم » عند كل ترقية فإن في ذلك تذكره للضمائر ومراجعتها لما قد تكون غفلت عنه . ولماذا لاندرب الضمائر كما ندرب العقول بالدورات التعليمية والدراسات بين مستويات الترقي من وظيفة إلى أخرى؟ .

وتمتع جنود الفصيلة الثانية بمناقشة عشرات الأفكار في جلسات تملىء وقت الفراغ . وكانت تدريباتهم المتعلقة بالعمل كإحتياطي ضمن السرية لصد أي هجمات معادية داخل بورسعيد تجري في أي وقت من النهار أو الليل . وعند تنفيذ هذه التدريبات كان الجنود ينتقلون طبقاً للمهام تقريباً في كل نواحي المدينة وبين مساكنها وهي صامتة وخاوية على عروشها وأحياناً يتسلق الجنود أسطح المنازل أو يتفرقون في الطرقات أو يتخذون أوضاع قتال في أماكن خاصة جدا من البيوت مثل البالكونات التي يتسللون لها من سلالم العمارات ومن سقفها نزولاً بالحبال وكانت أصداء

الأصوات أثناء التدريب تدوي وتتردد في جنبات المساكن العالية الشاغرة وكأنها أنين منها على من هجرها من سكانها وفرّ بعيداً ؟

تعود الجنود إنه إذا تم رفع درجة الإستعداد للتدريب المفاجىء قبل وقت الفجر بدقائق فإن ذلك يعني لهم أن المقدم رضا محي الدين قائد الكتيبة من المحتمل أن يتوجه إلى أجازته بعد أن يمر على كل الجنود في مواقعهم ويراجع معهم المهام ومع ضوء الصبح تنطلق سيارته الجيب صوب القاهرة لقضاء أجازته الشهرية.

وبسبب تمركز الوحدات داخل مدينة بورسعيد تنوعت مهام التدريب بين تدريبات القتال وبين المسابقات وخاصة الرماية وكان لنشاط كرة القدم مزاق شهي للجميع من القادة والضباط الصغار والجنود . كان الضباط يتلاقون من الوحدات الفرعية داخل ملعب استاد بورسعيد ويكونون فريقين للعب وكان العقيد طلعت مسلم من هواة المشاهدة وكان دائماً يحث مهاجمي الفريق ضد الآخر الذي يحرس مرماه العقيد مصطفى العباسي رئيس الأركان لكي يسجلوا فيه الأهداف . وبعد فترة من التدريب على كرة القدم بدأت القيادة في تنظيم دوري على كأس الوحدات وبدأت كل وحدة في إختيار فريقها وتجهيزه جدياً ونشط خريجي كليات ومعاهد التربية البدنية من الضباط والجنود في إظهار قدراتهم على تدريب الفرق وإعداد اللاعبين مهارياً للمباريات.

أعلن المقدم رضا محي الدين على لاعبي فريقه إن من يسجل هدفاً سيمنح عنه أجازة ٧ أيام إضافية فوق أجازته الدورية . وكانت أغلب فرق الكرة تتشكل من١١ لاعباً أساسياً و٣ لاعبين احتياطي وكان الأكثرية في تشكيل الفرق من الجنود . وزادت المارايات اشتعالاً وتكون لكل فريق جمهور من جنود وحدته يسانده ويشجعه وصارت أيام المباريات متنفساً رائعاً ويحضر للمشاهدة الكثير سواء من العاملين في بورسعيد أو بورفؤاد . وحدثت واقعه شجار وخلاف حاد بسبب أهم أحد مباريات كرة القدم وكانت على لقاء نهاية الكأس وفي هذه المباراة سجل الملازم محمد أربعة أهداف . وبعد المباراة أكد عليه المقدم رضا بأنه عند كلمته وأنه سيمنحه ٢٨ يوماً أجازة إضافية فوق أجازته الدورية بمعدل ٧أيام مقابل كل هدف. وقبل أن يحين موعد الأجازة توجه الملازم محمد ليؤكد حقه فيها وقابل المقدم وجيه علم الدين المسؤول عن الأجازات وكان قد انضم منذ أيام قليلة على الكتيبة. وما أن علم منه أنه يريد أجازة لمده ٣٥ يوماً حتى هاج وثار وتلفظ بألفاظ

أخرجته عن صوابه ونبهت كلماته الجميع وكان أغلب الضباط قد دخلوا إلى صالة الطعام المجاورة فقد حان موعد تناول الغداء .كان المقدم رضا قد استقر في كرسيه وسط صالة طعام الضباط ووصلت لأذنيه الكلمات الغاضبة . لحظات ودخل بقية الضباط واستقر كل في مكانه وتكلم المقدم وجيه معلقاً غاضباً وقال « **يعنى إيه أجازة ٢٨ يوماً وعليهم سبعة؟ – دي مش عسكرية – ده في قانون ريكا** » وأثارت الكلمات ضحكات مكتومة لبعض الضباط وتلاشت عندما أكفهر وجه المقدم رضا ولكنه ألتزم الصمت وبدأ الجميع يتناول الطعام في ترقب . مضت دقائق ثم توقف المقدم رضا عن تناول الطعام ثم قال موجهاً كلامه للضباط : «**ماذا لو أمرت أحدكم بإسقاط طائرة إسرائيلية فأسقطها ؟؟**» وردد الجميع في صوت واحد : «هذا مذهل ....«شيء رائع »..... «ده يكون حلم » وعندما صمت الجميع قال لهم المقدم رضا : «**الذي آمره أن يسجل هدفاً ويسجله سوف آمرة أن يسقط طائرة وسيسقطها إن شاء الله** » . وأصر المقدم رضا على قراره ومنح الملازم محمد هذه الأجازة التي من الممكن أن تكون قد صارت إحدى الحكاوي بين العسكريين في كل مدينة بورسعيد.

صدرت أوامر إلى الفصيلة الثانية بالتوجه إلى منطقة تدريب خاصة تبعد مئات الكيلو مترات عن بورسعيد لكي تنضم مع فصائل أخرى لتنفيذ تدريبات متخصصة في أعمال الاستطلاع وتجميع المعلومات وهي أعمال كلها تدخل ضمن تدريبات شاقة على إعتبار أن الغرض منها رفع قدرة المقاتل للتوغل في الأراضي المعادية والاعتماد على الذات في تدبير كل الاحتياجات مع توخي درجات عالية من الحذر والحيطة حتى لايكشفه أحد ويتضمن التدريب التعلم على استعمال أجهزة فنية ذات مواصفات معدلة بمعرفة الفنيين العسكريين . تلاقى الملازم محمد مع الملازم رفعت الجعيدي والذي حضر هو أيضاً ومعه فصيلته للاشتراك في هذا النوع من التدريب ولم يكن قد رآه منذ وصولهما معا لمدينة بورسعيد أول مرة . تذكر الإثنان الأيام التي خلت وهم طلبة في الكلية الحربية وكم تختلف كثيراً عما خبره كل منهم من حياة الواقع العملي مع الجنود بالوحدات العسكرية . مرّت الأيام والفصائل تزاول التدريبات الخاصة على أعمال الاستطلاع وأقتربت فترة التدريب من نهايتها حيث تجري مسابقات تقييم وأختبار بين كل الفصائل المشتركة وكان عددها سبعة فصائل وعادت الفصيلة الثانية من هذا التدريب بعدأن حصلت على المركز الأول .

كان لدى كل من الملازم محمد والملازم الزرقا أحساساً قوياً بأنهما في سباق مع الزمن ويريدان إعداد جنود الفصيلة إعداداً خاصاً لكنهم مضطران لتنفيذ برامج التدريب التي تصل إليهما من المستوى الأعلى ولذا توجها معا إلى مقر النقيب الروبي قائد السرية وتحدثا معه في هذا الأمر وكان الروبي مرناً ومتفهماً ووافقهما على أن يصمما برنامجهما التدريبي كيفما يشاءان على أن يكونا ملتزمين بحضور التدريب الجماعي المشترك سواء على مستوى السرية أو المستوى الأعلى من ذلك وحضور المسابقات والإختبارات وأكد لهما أن عليهما ووحدهما تقع مسؤولية النجاح في القتال إذا ما صدرت الأوامر لفصيلتهما ؟

عاد الضابطان وقضيا ليلة كاملة في مناقشة بينهما حول الطريقة الأفضل التي يجب ان تكون عليها مهارات الجنود وبدأت الأفكار متشعبة ورويداً رويداً استقرت في رأسيهما المعاني حول الصياغة الموجزة التالية كعقيدة قتال خاصة : **« أنا اقاتل لفرصة واحدة وكالبرق »** . وما أن وصل محمد والزرقا معا إلى هذا المعنى المختصر والذي جاء بعد نقاش استهلك كل ساعات الليل فطلب محمد من الرزقا والذي كان يتقن جمال الخط اليدوي أن يكتب هذه العبارة وبخطه العريض على عشر ورقات بالحبر الشيني الأسود قطعت بعرض ٢٥سم وبطول ٧٠ سم وصدر الأمر للرقيب فتحي بدير أن تعلق هذه القصاصات في عدة أماكن يراها الجنود بوضوح وصارت هذه العبارة المكونة من خمس كلمات فقط منذ ذلك الصباح شعاراً يردده الجنود بصوت جهوري ثلاث مرات عند دخول قائد الفصيلة وتسلمه الطابور صباحاً أو مساءً بل تعدى الأمر ذلك عندما أمر قائد الفصيلة الجنود أن يكرر كل منهم الشعار في كل مرة يخرج أو يدخل إلى الصف وصارت الفصيلة أشبه بخلية النحل والتي تسمع لها طنين.

تقابل الملازم محمد منذ أن تسلم عمله بعد التخرج مع كثير من الضباط الذين اشتركوا وشاهدوا أحداث ٦٧ وكان يراقبهم بدقة محاولا تفهم سلوكياتهم وأفعالهم ومواقفهم وردود أفعالهم وأحياناً كثيرة كان يستعلم منهم عما فعلوه هم في هذه الحرب ولكنه كان يوماً بعد الآخر يزداد اقتناعه بمدى كفائتهم وعمق علومهم العسكرية ومقدرتهم على القيادة وكان هذا يحيره عندما يحاول معرفة الأسباب وراء ماحدث في ٦٧ .

## ( ١٣ ) الزيارة الخاصة :

وردت إشارة تحدد تواجد الملازم محمد للمثول عند قائد اللواء في توقيت عصراً فكان عليه

أن يتواجد بمدرسة اشتوم الجميل قبل الموعد وحاول هو والآخرون من ضباط السرية استجلاء السبب قبل أن يذهب ولكن لم يكن هناك شيء يمكن أن يفسر السبب . أبلغ المقدم وهيب الملازم محمد بأن العقيد طلعت ينتظره في مكتبه فتوجه إلى هناك على الفور وطرق الباب ودخل مؤدياً التحية العسكرية وبادره العقيد طلعت بالوقوف من جلسته ثم الخروج وأشار له أن يتبعه حتى ركبا السيارة الجيب وأمر السائق بالتوجه إلى ساحل البحر وصارت السيارة مخترقة الشوارع مقتربة من الشاطىء ثم أمر السائق بالتوقف ومغادرة السيارة وأمره بالانتظار لحين عودتهما وطلب من الملازم محمد أن يتولى القيادة بدلاً من السائق. بسرعة اتخذ محمد مكانه وبدأ يقود السيارة بهدوء ويصغى لأنه أدرك أن هناك أمراً هاماً سوف يسمعه من العقيد طلعت.

وابتسم العقيد طلعت ابتسامته المعروفة عنه فهي تملىء كل وجهه وسأل محمد قائلاً : هل يمكنك استنتاج سبب تواجدي معك الآن بمفردنا ؟ فأجاب محمد بالنفي لكنه أكد أنه لابد أن يكون أمراً هاماً . واستطرد العقيد طلعت قائلاً : أنت طلبت أن تعمل في وحدات الصاعقة عند أول مقابلة بيننا ؟ ورد محمد مؤيداً ذلك ومبتسماً وكأنه ظن أن العقيد طلعت سوف ينفذ وعده له . لكن العقيد طلعت سأله : ولماذا كنت تريد أن تنتقل للعمل مع وحدات الصاعقة؟ وأجاب محمد : لأن وحدات الصاعقة تنفذ مهاماً خطرة وتقاتل العدو في أماكن متعددة .

طلعت : « ماهو رأيك عن الحصن الإسرائيلي عند الكيلو متر١٩ وأنت سبق أن عايشته فترة من الزمن ؟ »

محمد : « هو عار ثقيل على صدري كنت أشعر به كلما نظرت إليه أو تذكرته وتمنيت لو هاجمته وبدون أوامر وقضيت على كل من فيه وإزلته من على الأرض» ورد عليه العقيد طلعت :

**«لا – سوف تهاجمه ولكن بأوامر - أنا من هذه اللحظة أكلفك بمسؤوليتك عن مهاجمة الحصن ومعك فصيلتك المشاة والإستيلاء عليه – لكن هذا الأمر يعتبر سري للغاية لايعلمه سواك ولكن عليك أن تجهز رجالك وتدربهم على اقتحام الحصن وتدميره في أى وقت يصدر لك الأمر بذلك وتوقع صدور الأمر إليك فجأة فكن مستعداً».**

عاد محمد من القيادة سيراً على الأقدام يكرر في نفسه : «هذا سري للغاية .. هذا سري للغاية » ولكنه أدرك إنه تم اختيار فصيلته لهذه المهمة القتالية نظراً للكفاءة العالية التي يتحلى بها

الجنود . وهذه السرية للغاية تتطلب منه خداع الجميع بعيداً عن معرفة حقيقة هذه المهمة ولكن كيف و بمايجيب ضباط السرية عن أسئلتهم له عن سبب استدعائه للقيادة فالفضول سوف يلح عليهم جميعاً وعلى رأسهم قائد السرية بالطبع؟

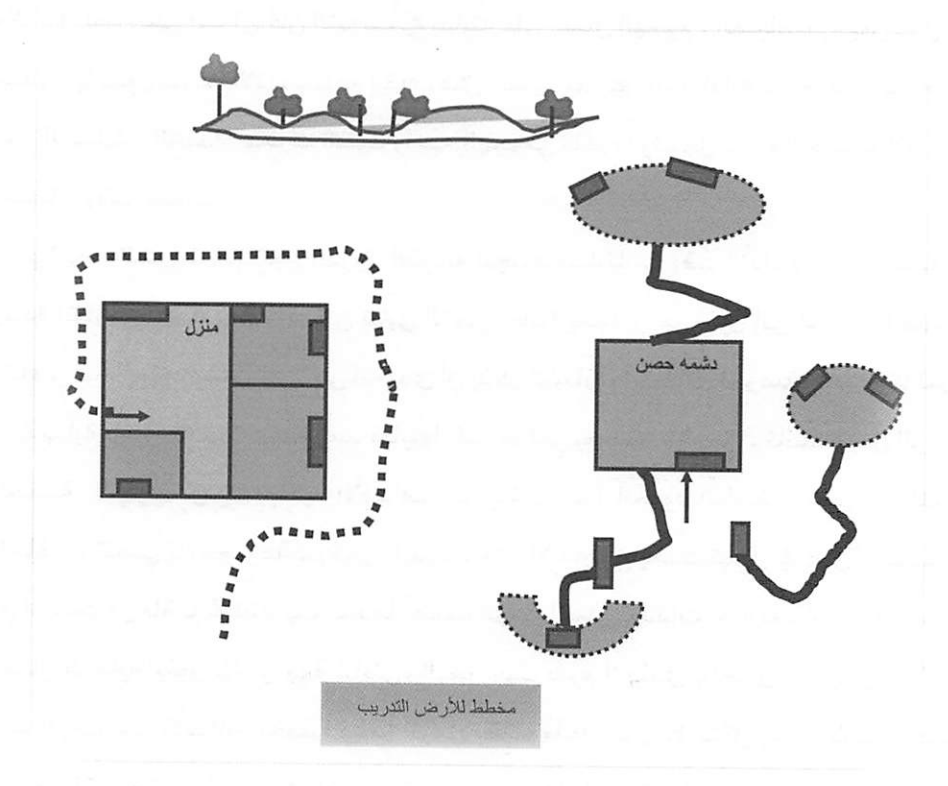
في نفس الليلة تحدث محمد مع الملازم الزرقا وسأله : هل تظن أن فصيلتنا وبسبب كفائتها قد تكون هي المنتقاة لاقتحام الحصن لاهتزانيت؟ وأجابه الزرقا أن هذا هو المؤكد في رأيه وفي إحساسه الداخلي ثم سأله الزرقا :هل كان هذا الموضوع هو سبب الاستدعاء اليوم؟؟ ورد محمد بأن السبب هو رغبته السابقة في أن ينتقل للعمل في وحدات الصاعقة ولكنه قرر أمام العقيد طلعت في هذا اللقاء أن رغبته الحالية هي البقاء في الفصيلة الثانية؟

في اليوم التالي وعندما اجتمع الضباط في المساء عند النقيب الروبي تكررت الأسئلة منهم عن سبب الاستدعاء وأجاب محمد إنه كان قد أفصح عن رغبته في النقل إلى وحدات الصاعقة في أول لقاء مع العقيد طلعت وقد استدعاه ليعيد عليه السؤال؟ وانقضت الليلة بين الضباط في فكاهات ونكات حول الفروق بين طبيعة عمل تخصصات القوات المسلحة من مشاة ومدرعات ودفاع جوي وبحرية والإشارة وطيران ومدفعية وحرب كيماوية وصاعقة واستطلاع ومن أهم مايميز المصريين هي مقدرتهم على إبتكار النكتة وعلى الاستمرار في الضحك وحمد محمد الله أن الأسئلة توقفت وتاهت بين النكت وبقي الأمر سراً للغاية .

أضاف الملازم محمد على وقت البرنامج اليومي للتدريب ساعة أخرى وخصصها لما سماه «**القتال الجاف**» وكان هو والزرقا قد رسما على الأرض منطقتين واحدة منهما تمثل أحد الدشم المعروفة في الحصن الإسرائيلي وعلى الجانب الآخر رسم يمثل الطابق الأول لأحد المنازل وكانت هناك مسافة ١٠٠متر تفصل بين المنطقتين والفاصل على شكل طريق مستقيم وفي نهايته وعلى مسافة ٥٠ متراً وضعت خمس أشكال من الخشب ملونة باللون الزيتي تمثل جنود اسرائيل في أوضاع رمي . وكل منطقة من المنطقتين مشابهة تماماً في أبعادها للأبعاد الحقيقية ولاتختلف إلا أنها فقط رسوم على الأرض لكن بدون الارتفاعات . تحدد في الرسم المداخل والمخارج والجدران . وأمر قائد الفصيلة الرقيب فتحي برسم الحدود بالجير الأبيض مع وضع أعلام صغيرة توضح معالم كل رسم . وفي كل تدريب ينقسم الجنود إلى مجموعتين واحدة منهما للعمل على الدشمة

والثانية للعمل على المنزل وكان التدريب في بدايته على أعمال الهجوم . الضباط يراقبون عمل كل جندي ويقيسون سرعة الأداء بساعة إيقاف فكل جندي يبدأ في تنفيذ آدائه بعد صدور إشارة من أحد الضباط . الجندي يتحرك لتنفيذ واجبه الهجومي منفرداً وتسجل عنه ملاحظات الأداء مع احتساب وقت التنفيذ .

ولاحظ الضباط كم تكون الفروق الفردية للجنود متباينة في وقت الأداء ولاحظوا أيضاً أن زيادة اتقان مهارة الأداء تؤدي إلى تقليل الزمن وكانوا يحددون من حين إلى آخر زمناً قياسياً يتنافس فيه الجنود وصولا له . على الجندي أن يذكر الشعار « **أنا اقاتل لفرصة واحدة وكا لبرق** » في بداية دخوله لتنفيذ مهمته وعند نهايتها كشرط لكي يحسب له الزمن . كانت أشكال الرماية الخمسة للعدو تمثل في البداية الأهداف التي ينفذ عليها الجنود الطريقة الجديدة «**القتال الجاف**» . تقضي كل مجموعة فترة من التدريب حتى الاتقان ثم يحدث تبديل في عمل المجموعتين ثم أضيفت مرحلة ثالثة للتدريب عندما أضيف الرمي الفعلي بطلقات حية بعد أن تم تغير مكان أشكال الرماية ليكون في مواجهة شاطىء البحر حيث يقوم الجندي بالجري السريع وصولاً إلى خط الرمي على الأشكال الخمسة ويبدأ الرمي بطلقة واحدة على كل شكل وعند الإنتهاء يصيح بالشعار لكي يحتسب له الزمن وإن نسي تعتبر محاولة فاشلة . يقف الرقيب فتحي بديرعند خط الرمي لمراقبة أصبع الجندي في كل مرة يسحب التتك ( زناد البندقية ) في المرات الخمس ويقيم ذلك من خمس درجات وهو يراقب أيضاً عدة تفصيلات فنية أخرى تدخل ضمن التقييم .يسلح جنود الفصيلة بسلاح رئيسي هو البندقية الآلية والتي يمكن الإطلاق منها بدفعات آلية ولكن ضباط الفصيلة حددوا «**الطلقة القاتلة**» ليكون أسلوب الرمي . وكان قصدهم من ذلك أن لا مكان للرمي دفعات آلية لأن الطلقات تكون متباعدة ولكن تكون البندقية على وضع الرمي الفردي والجندي عندما يرمي طلقة واحدة تكون هي «**الطلقة القاتلة**» لأنها إما تصيب العدو في الرأس أو في القلب وعندما يرمي الجندي خمس طلقات فمعنى ذلك بالحساب خمسة قتلى للعدو وأن رمي طلقة واحدة فإنها تعني قتيل واحد.. وبدأت التدريبات سهلة بدون أي أسلحة أو معدات فقط يرتدي الجندي ملابس اللياقة البدنية وتدريجيا تدريجياً يرتدي الجنود الملابس حتى صار كل جندي ينفذ التدريب بكامل تسليحه وأدواته للقتال والمعدات للوقاية الكيماوية.

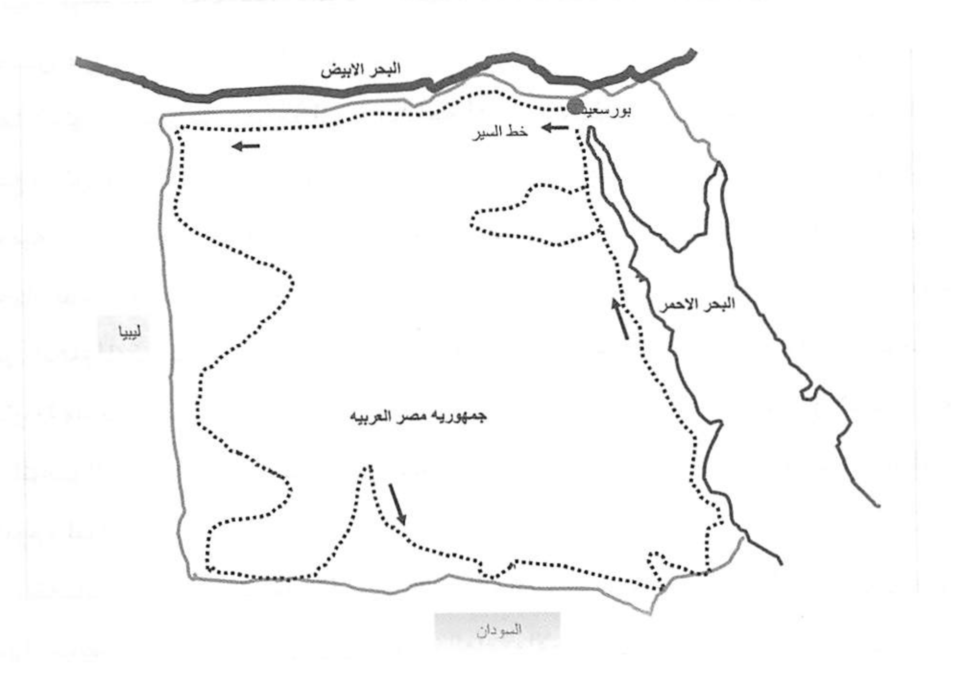



مخطط للأرض التدريب

## (١٤) فصيلة المغامرة :

أطلق الفريق رئيس الأركان مسابقة من نوع خاص تحت اسم « فصيلة المغامرة» وكانت بغرض تحقيق عدة أهداف تدريبية للضباط والوحدات الصغرى الفصائل وأهمها تنشيط تدريب الفصائل على كافة مستويات القوات المسلحة . على كل قطاع عسكري أن يرشح فصيلة تمثله في هذه المسابقة التي تستمر حوالي ٦٠ يوماً . يختار من كل الوحدات أفضل عشرين فصيلة فقط لدخول المسابقة . ورشح العقيد طلعت الفصيلة الثانية عن القطاع العسكري وكان على قائد الفصيلة أن يقوم بتحرير نموذج معلومات وبيانات مفصل عن جنوده ومستويات ونتائج الفصيلة في التدريب والمسابقات التي سبق لها الإشتراك فيها . تحددت المهمة التسابقية التي خصصت للفصيلة الثانية أن تتحرك من بورسعيد متجهة إلى نهاية الحدود الغربية مع ليبيا ثم منها تتجه جنوباً صوب نقطة محددة على الحدود الجنوبية مع السودان ومنها تتوجه بالسير عرضياً إلى الالتقاء بنقطة محددة على ساحل البحر الأحمر ثم تتابع سيرها شمالاً وصولاً مرة أخرى إلى بورسعيد . تستعمل الفصيلة في مهمتها

ثلاث عربات زيل كبيرة ومقطورة مطبخ ويرافقها ميكانيكي وكهربائي وتتضمن التجهيزات أسلحة وزخائر ومعدات وثلاث خيام وجهاز اتصال لاسلكي بالقيادة وآخر عند الضرورة بالقوات الجوية ومن أهم واجبات التسابق تحديد الأماكن التي يتوقعها قائد الفصيلة لكي يقوم العدو بتنفيذ عمليات خاصة عليها مع ذكر المبررات وجانب آخر من الواجبات يتعلق بالاتصال بالمدنيين وترسيخ الشعور عندهم بأن القوات المسلحة على درجة عالية من الاستعداد للقتال والتعرف على الشعور الحقيقي لأفراد الشعب تجاه القوات المسلحة. ولابد أن تمر الفصيلة أثناء تحركها على أماكن قيادية محددة لمراجعة المهام والتنسيق حول أي مطالب تحتاجها بموجب تصريح مرور خاص من مكتب رئيس الأركان .




وكانت هذه هي أهم الخطوط العامة للمسابقة وغادرت الفصيلة الثانية قيادتها انطلاقاً للمسابقة وكان في وداع الجنود العقيد طلعت والمقدم عماد الدين عليوه قائد الكتيبة الجديد والنقيب مجدي الروبي قائد السرية .

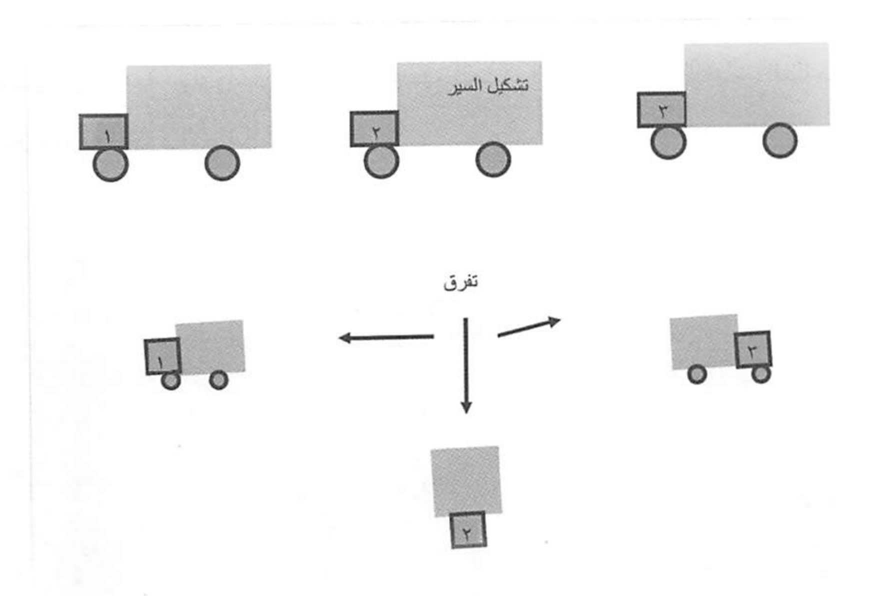
كان الملازم محمد ومعه الملازم إسماعيل الزرقا قد أمضيا وقتاً في إعداد خط السير على

مجموعة من الخرائط وكان هذا الأمر يتطلب دراسة متعمقة لطبيعة الأرض وطبيعة السكان وتحديد أماكن التوقف وتفصيلات أخرى تتصل بأفكارهما حول طريقة الفوز في هذه المسابقة والتي يمرون فيها تقريباً على كل أنحاء الجمهورية. ومن أهم مافطن إليه الضابطان أن يعمل الجندي فوزي جعوان كمصور مرافق ليسجل أحداث المغامرة أولا بأول وتكون الصور الحقيقية خير دليل عند عرض التقرير النهائي للمسابقة وأكدا على فوزي أن يدبر كل مايحتاجه من أفلام طوال الستين يوماً فقد قررا أن يستفيدا بكل المدة مادامت السرعة لم تكن محلاً للتقييم . وكانت لهما في البداية خطة عامة حول تنفيذ المهمة على أن يغيرا مايرونه ضروري فيما بعد وطبقاً لطبيعة المواقف التي يواجهوها . وتضمنت الخطة الأولية تفصيلات أكاديمية عرضت على القيادة وتصدق عليها ولكن كانت هناك خطة بديلة اعتبرها الملازم محمد هي الأهم عملياً ولم يفصح عنها لإحتوائها على أمور غير معتادة . ومن أهم أهداف الخطة الأولية توثيق الرحلة بصور نادرة ورفع مستوى تدريب الجنود في الرماية واستعمال القنابل الحقيقية ولكن مثلا من ضمن الأهداف الخفية إشراك الجنود في مواقف تدريب فعلية وعلى أفراد أحياء (بدلاً من الأشكال الخشبية ) وإجبار بعض الوحدات النائية الخاملة على أن تعيد وتجدد نشاطها ويقظتها وأيضاً إبراز أهمية عمل الدفاع المدني في القطاعات المدنية. وكان العمل خلال الرحلة إما أن يكون سيراً بين الصحاري والأودية والتعرف على طبيعة تكوينات الأرض أو المرور داخل مناطق آهلة بالسكان والاتصال بهم أو التوقف للتدريب أو المرور في مناطق عسكرية تتمركز بها وحدات متنوعة أو التوقف للطعام والنوم والعمل الإداري .

الفصائل التي ترشحت لهذه المسابقة كانت قد أنجزت بنجاح عدة مسابقات عسكرية ومن بينها مسابقات تضمنت عدة أنواع من المعارف العامة والاجتماعية مما جعل هذه الفصائل جاهزة عند الاتصال بالسكان المحليين أن تعطي صورة ممتازة عن وعي الجنود ونضجهم بما يعيد الثقة والإطمئنان مرة أخرى بين الشعب عن القوات المسلحة وأفرادها والتي قد اهتزت من جراء ٦٧ .

تحركت الفصيلة الثانية سعت ٨٠٠ صباحاً لتنفيذ مهمتها كفصيلة مغامرة وكانت مسافات السير طويلة وكان لكل جندي مهمته أثناء السير ومن الأعمال الجماعية التي تحتاج خطة خاصة تعرض السير لطيران معادي أو كمين وكان قائد الفصيلة بين حين وآخر يعطي الإشارة المتفق

عليها لكل حالة ويبدأ الجميع على الفور في تنفيذ الخطوات للخروج من الموقف المعادي بنجاح وسرعة وكانت أهم المهام هي المسؤول عنها السائقون الثلاث لكي يحمي كل سائق سيارته سليمة من الإصابة في كل موقف قتال تدريبي.




وكانت هذه التدريبات المفاجئة أثناء السير تكسر الملل وترفع من مهارات الجنود. وكان الجندي إسماعيل المرسي عليه أن يكون جاهزاً عقب كل موقف تدريبي ليقوم بتوزيع دور من أكواب الشاي على الجنود أثناء تكملة السير ويبدو أنها هي المكافأة على نجاح موقف التدريب.

وحرص قائد الفصيلة على تنفيذ طابور الهتاف باسم مصر « تحيا جمهورية مصر العربية - تحيا جمهورية مصر العربية - تحى جمهورية مصر العربية» في موعده أينما كانت الفصيلة . وكان فوزي جعوان نشطاً باستمرار بالكاميرا لتسجيل كل حركة لها معنى وهو يقول دائماً لبقية الجنودأن الصورة الواحدة تكفي للتعبير عن صفحة كاملة من الكلمات المنمقة وكان عادل عنتر يحرص دائماً أن يكون في كل الصور فهو نرجسي جداً.

كان السير في أي وقت نهاراً أو ليلاً وفي كل حالة يحدد الضباط هدفاً تدريبياً مختلفاً وعندما اقتربت الساعة من الحادية عشر ليلاً دفع الملازم محمد الملازم الزرقا بسيارته إلى الأمام

لاستطلاع وانتخاب مكان قضاء الليلة الأولى ثم توقفت السيارات وقفز الجنود منها كل إلى دوره في إعداد مكان النوم وتثبيت الخيام وإعداد وجبة ساخنة للعشاء وتنظيم الحراسة الليلية . اختار الزرقا مكاناً يبعد أمتاراً قليلة من ساحل البحر لكي يمكن للجنود الاستحمام بالماء المالح ثم بقليل من مياه الشرب وطبقاً للطريقة التي حددها رئيس الأركان في دليل الجندي لتوضح كيف يستحم الجندي بزمزامية مياه واحدة. وتناول الجميع العشاء الأول وكان من العدس الساخن وقطع من الجبن ومربة الجزر الأصفر .



طابور الهتاف باسم مصر في موعده أينما كانت الفصيلة.

ايقظ الشيخ إبراهيم الجنود لصلاة الفجر ثم أنهوا طابور اللياقة مع هواء البحر المنعش وتناولوا الإفطار وعاودوا السير . كان أسلوب السير يتغير بما يناسب طبيعة المكان فعند السير في أماكن نائية تنفذ الفصيلة أسلوب السير للقتال وعند الاقتراب من مناطق السكان أو عند المرور بين الأهالي يتغير إلى أسلوب الاستعراض العسكري الذي يلهب حماس المدنيين وكان تفاعلهم بالتصفيق والهتاف «الله أكبر» . وكان اختيار وقفات للراحة بالقرب من التجمعات المدنية بغرض إجراء حوارات بين الجنود والأهالي وتسجيل صور تذكارية . وعند الاقتراب من عروس البحر الأبيض الإسكندرية فكر الزرقا في زيارة المستشفى العسكري ولذا عرجت السيارات على أحد

المستودعات العسكرية التموينية وطلب قائد الفصيلة من قائد المستودع تسليمه مجموعة من الهدايا لمرضى المستشفى وزار الجنود المستشفى العسكري وبعدها مستشفى مدني وقدموا هدايا للمرضى وتحدثوا معهم عن دور القوات المسلحة في الوقت الحاضر . اقترح فتحي رقيب الفصيلة إعطاء فرصة للجنود للاسترخاء على أحد الشواطىء وقضاء بعض الوقت مع المصيفين .وافق قائد الفصيلة واختار شاطىء المندرة وكان قريباً من قصر المنتزة وفاجأ الجنود جميع من كانوا على الشاطىء بسرعة إقامة خيمة وكانت كبيرة بالنسبة لما يجاورها من شماسي ودخل الجنود الخيمة وخرجوا منها بلباس البحر. كثير من الجنود لم يكن قد زار الإسكندرية وكانت هذه فرصتهم الأولى . أمضى الجنود حوالي ثلاث ساعات في مرح وحوار مع المصيفين وتناولوا وجبة غذاء جاهزة سريعة تم شرائها من أحد محلات الفطائر المواجهة للشاطىء وعقب الغداء قام الجنود وبشكل جماعي بعمل عرض كيوك سول قتالي آثار إنتباه الجمهور الذي تجمع حولهم متفاعلاً مع صيحاتهم عند أداء كل حركة ثم فضوا خيمتهم و تابعت الفصيلة سيرها متجهة إلى الغرب وجمهور من المصيفين يلوحون لهم مودعين. تكونت مجموعة «رصد الأفكار» من كل من محمد شاهين وعبد العزيز حسن وفتحي طلعت وكان واجبها تلخيص الأفكار التي تعرض أثناء الحوار بين الجنود والأهالي في أي موقع يحدث فيه التقاء معهم وتحليل الحوار. حان موعد طابور هتاف المساء فتوقفت السيارات في أحد الميادين المكتظة بالسكان وعلى الفور تجمع الجنود لتحية المساء وسط الناس وعندما ارتفع العلم على ساري فوق السيارة هتف قائد الفصيلة :«تحيا جمهورية مصر العربية» فإذا بكل المصريين الواقفين بالجوار يكررون الهتاف مع الجنود وصدى الصوت يرتد من جدران المباني القريبة . وأنهت الفصيلة الهتاف وتابعت السير وكانت قد اقتربت في سيرها من مغادرة الإسكندرية في إتجاه الغرب بحذاء ساحل البحرالأبيض. وماهي إلا ساعات حتى توقف السير للمبيت .

يتميز الطريق الساحلي بإنعدام حركة السيارات عليه وجمال مياه البحر على الجانب اليمين وعلى اليسار الأرض خالية وعلى مدى مرمى البصر . السير بصحبة هدوء الطبيعة وجمالها يريح النفس البشرية ويرخي الأعصاب ولذا صعد الضباط من كابينة السيارة يتمتعون بذلك الإسترخاء وسط جنودهم ويتناولون الشاي أثناء السير الهادىء ويتبادلون الحديث .

**الملازم محمد :** ماهو انطباعكم عن هذه المهمة ؟

**الجندي طه :** دي أجمل فسحة لي في حياتي. عمري ماخرجت بره الكفر بتاعنا إلا عند التجنيد.

**عبدالله الصغير :** كنت في جرة وطلعت برة ياطه ياعزب.

**طه :** طول عمري مع الأرض والفلاحة مش وسط الخمور والنسوان ياسي عبد الله.

**فتحي بدير :** احترم نفسك أنت وهو في الرد. اللفظ سعد.

**الملازم الزرقا :** ده كلام حر يافتحي . كل واحد يقول اللي هو عاوزه.

**علي مرسي :** مياه البحر رائعة لونها أخضر وفي مناطق يكون اللون أزرق سبحان الله .

**محمد شاهين :** مساحات كبيرة خالية من الأرض ونلاقي الناس تتزاحم في قرى ومدن صغيرة. لماذا لا ينتشرون هنا ويكونون قرى جديدة.

**فوزي :** لماذا قرى ؟ يكونون مدن أفضل وعلى طراز حديث؟

**محمد شاهين :** أصل القرية الناس بها قليلة العدد ويعرفون بعضهم وكلما كان الناس متعارفون زادت الأخلاق وتحسنت لأن كل منهم يريد أن يكون حسن المظهر أمام الآخرين . أما في المدينة يفقد الناس تعارفهم وتنحدر الأخلاق إلى الأسفل .

**فوزي :** إذا أمكننا داخل المدينة أن نقسمها إلى قرى صغيرة فهل تظن أن الأخلاق تعود إلى سموها؟

**غريب :** هل تعلمون أن الإسرائيليين عندما خططوا لإنشاء تل أبيب حرصوا أن تكون مدينة للقتال قبل أن تكون للمعيشة فالمنازل لها اتجاهات رمي وتغطى بعضها البعض كما الحال في خنادق الدفاع .

**عادل عنتر :** أنت عمال أنت - وهو تتكلم عن الأخلاق. طب مش تسألوا أولاً من أين لهم المياه للشرب؟

**طه عزب :** من مياه البحر بعدما يبخرون منها الملح .المياه للشرب والملح للأكل .

وصاح الزرقا «**أزرق ٤** » .... وكرر الجنود النداء وسارعت كل سيارة إلى اتجاه وقفز الجنود أثناء السير متباعدين عن بعضهم إلى أوضاع وقاية من الطيران واتخذت الرشاشات المتوسطة دورها الإيجابي لإبعاد الطيران المنخفض وهكذا قضى الجنود حوالي عشرين دقيقة في السيناريو

التدريبي لأن «أزرق ٤» كانت تعني التعرض لطيران معادي من جهة الغرب. بإنتهاء التدريب عاودت الفصيلة تحركهاحتى ظهرت على مسافة حوالي ٤٠٠ متر ملامح لمحطة كهرباء وكان لاتزال في الأفق خيوط بسيطة من ضوء النهار تنازع خطوط الظلام الهابطة .أمر الملازم محمد الملازم الزرقا أن يقوم بعملية إغارة على عمال المحطة واختطاف كل من فيها وأسرهم وإيقاف تشغيل المحطة وإحضارهم إلى مقر قيادة الفصيلة وأن تتم الإغارة بالأسلوب الصامت . وتوقف الزرقا قليلاً مستوضحاً ومندهشاً ولكن كان وجه الملازم محمد معبراً عن ضرورة السرعة في تنفيذ العملية. تحرك الزرقا بمجموعته التي عينها وسرعان ما أتم الإغارة على المحطة وتوقف تشغيلها واقتيد كل عمالها إلى مقر قيادة الفصيلة. أمر قائد الفصيلة بتوزيع الأسرى على السيارات وتحركت الفصيلة على الفور والكل في حالة إستغراب . بعد سير مسافة ١٠ كيلو مترات أمر قائد الفصيلة بالتوقف وفك أيدى الأسرى وإنزالهم إلى الطريق وتركهم وتابع السير وكان من بينهم المهندس مدير المحطة الذي سرعان ما أخرج قلمه وأشعل ولاعته ليدون أرقام السيارات فإذا باللوحات المعدنية غير مثبتة ؟

ضحك الملازم محمد بعد أن اعتلى كابينة السيارة فانخرط الجنود في الضحك عدا بعض منهم ظل صامتاً وهنا قال لهم : «**الجميع الآن سوف يعرف عن الفصيلة الثانية والدفاع المدني سوف يراجع خطط الحراسة وخاصة عندما تنقطع الكهرباء لمدة ساعة أو أكثر عن مدينة الإسكندرية** » . ثم نظر إلى فوزي جعوان المصور والذي رد على نظرته قائلاً : «كل ماحدث تم تصويره ... أطمئن يافندم » .

بعد ساعات من السير تقدم فتحي بدير بسيارته لانتخاب مكان إقامة معسكر لقضاء الليلة واقتربت السيارات من ساحل البحر وبدأت إجراءات إقامة الخيام وطهو العشاء وكان لايزال يلف الجنود نوعاً من الصمت من جراء عملية الإغارة على محطة الكهرباء المدنية وكيف يكون رد الفعل من الجهات المسؤولة ؟

قبل موعد صلاة الفجر أيقظ صوت طلق ناري بعض الجنود وبعد قليل أكمل الشيخ إبراهيم إيقاظ الباقي ووسط لغط وجلبة اقترب فتحي بدير يدفع أمامه قطب النادي ممسكاً ببندقيته إلى خيمة قائد الفصيلة وكان يشاركه فيها عدد من الأفراد وصاح فتحي غاضباً :

« تمام يافندم... الجندي قطب على الصبح أطلق طلقة بالخطأ في الهواء »

وثار غضب الملازم محمد وأمر أن يكون العقاب أن يجري قطب خلف السيارات أثناء سيرها عقاباً له على هذا الإهمال . ولكن قطب رد قائلاً: **«إنني لست مهملاً ولكني أخرجت طلقة واحدة قاتلة»** وتنبه الجميع لمعرفة ماذا يقصد ؟؟ واستدرك قطب قائلاً انه إصطاد تيساً كان يتجول في ضوء الفجر . وقادهم قطب إلى مكان إصطياد التيس . وتحول العقاب إلى مكافأة لقطب وهي أن ينفرد وحده بأكل رأس التيس ونشط الجنود لأداء طابور اللياقة ثم انصرفوا في الإعداد لشواء هذه الوليمة التي جاءتهم على غير توقع وبدلا من الإفطار المعتاد . وبعد الإفطار تابعت الفصيلة سيرها حتى اقتربت من منطقة عسكرية فأمر قائد الفصيلة بالسير على الأقدام في مجموعات وحدد لها الإلتقاء على مسافة ٤٠ كم على طريق السير بعد أن تقوم المجموعات بتنفيذ مهامها المعلوماتية وتحركت السيارات شبه فارغة إلى مهام أخرى إدارية وفنية . وكانت نقطة الإلتقاء على البحر ولما وصلها الجنود وجدوا أشكال الرماية قد تم تثبيتها بحذاء الساحل وأدركوا أن أمامهم منافسة في الرمي اشعلت حماسهم وأزالت عنهم إرهاق السير . ومع بداية الرماية وارتفاع أصوات الطلقات ظهر شيخ مسن يتقدم بحرص من الناحية الأخرى للطريق الأسفلتي وأقبل مبتسماً ومبتهجاً وأدى التحية العسكرية على ملابسه المدنية البدوية بما يوحي للضباط أنه رجل سبق له العمل بالعسكرية .عرفهم بنفسه «أحمد الصاوي» ثم أعلن أنه يتحدى أي رامي من الجنود في دقة التصويب . وتقدم ينافسه الجندي صلاح عبد السميع وهو أكبر الجنود عمرا واستعد كلاهما للرمي وجاءت الرماية تدل على التعادل بينهما ومتقاربة جداً . ثم طلب الجندي فاروق العرباوي المنافسة مع الشيخ وكانت الرماية أيضاً متقاربة جداً. ثم اختار الشيخ للمنافسة فوزي عبد المقصود بعد أن سأل عن أي من الجنود هو الأصغر عمرا وعندما رمى الاثنان كانت أيضاً النتائج متعادلة واستغرب الشيخ وأعلن لقائد الفصيلة عن تعجبه لهذه النتائج التي حصل عليها الجنود ورد عليه الملازم الزرقا « **وماسبب تعجبك ؟** ».

فقال : « **أنا رامٍ سابق وكنت في فريق الرماية لجلالة ملك مصر وأرمٍ عن خبرة طويلة وتدريب . فكيف ومتى تعلم هؤلاء المجندون الرماية بهذه الكفاءة ؟** »

وأضاف الملازم محمد قائلاً : « والآن سوف ترمي في منافسة ضباط الفصيلة... هيا يا أبو السباع » واتخذ الثلاثة وضع الرمي الراقد وبعد أن أنهوا الرمي توجه الجنود إلى الأهداف

متدافعين في شغف لمشاهدة الطلقات الخمس لكل منهم وكانت طلقات الشيخ الصاوي تمثل وردة فالطلقات تكاد تكون متلاصقة أما المفاجأة الأخرى أن كلا من الضابطين قد أحدثاً بطلقاتها الخمس ثقباً واحداً موسعاً على هدفه .

استضاف الضباط الشيخ الصاوي للعشاء معهم وكان هناك جزء متبقٍ من لحم التيس وأعيدت تجهيزات الشواء في ضوء القمر وعلى مياه البحر الأبيض .

جلس الجميع يتناولون العشاء وكان الشيخ الصاوي حلو الحديث وممتلىء بالذكريات عن الأيام التي خلت فهو من مواليد ١٨٩٨ وكان يعمل ضمن حراس القصر الملكي ثم حارب ضمن القوات البريطانية التي اتجهت لملاقاة روميل الألماني حتى إنه حكى أنه شاهده مرة وجها لوجه في مفاوضات سرية وعمل بعد ذلك ضمن عناصر المقاومة المختفية التي أشرف عليها أحد الضباط الأحرار واستقر به المطاف أخيراً في ربوع الصحراء الغربية .

وجلس الشيخ وطلب من الجنود أن يستمعوا له وقال :

« لقد تجاوزت السبعين من عمري وأريد أن أحملكم رسالة هامة لكم ولأبنائكم من بعدكم. لقد عملت في العمل السري سنوات طويلة منذ أن كان عمري ١٥ عاماً وناهضنا الإنجليز وناهضنا من خانوا مصر وظنوا أن الإنجليز لهم الغلبة فصاروا إلى جانبهم وعلمتني السنوات الطويلة أن أهم ما يجب أن تحرصوا عليه بعد ثورة عبد الناصر هو حرية مصر وهذه الحرية أساسها شعب محارب ولايوجد أبداً أقوى من شعب يعشق الرماية فلا يمكن لأي قوة أن تحتل شعب رام فالشعب الرامي جيش منتصر باستمرار . وشعب اليابان بعد أن ألقيت عليه القنابل الذرية لم يكن لأي جيش أن يقهره لو كان شعباً رامياً لكن حكومته تكلمت نيابة عنه واستسلمت لأنها ركزت قوتها في جيشها وهو جيش الإمبراطور وليس في شعبها والجيش يمكن أن ينكسر في القتال أما الشعب المنتشر في كل ربوع مصر فمن يجرؤ على دخول أرضه إن كان شعباً رامياً ؟.

**محمد شاهين :** كم سنة يحتاجها الشعب ليتعلم الرماية ؟

**الشيخ :** أسرع مما تظن لو أن كل أب وأم علموا أولادهم وبناتهم الرماية منذ الصغر.

**شاهين :** مشكلتنا أن الكلام النظري سهل... كيف يكون التطبيق العملي لكلامك؟

**الشيخ :** هل هناك صعوبة في تعليم الرماية ببنادق الرش... وهل ترى أن هناك صعوبة لو

تبادلت عدة أسر بندقية واحدة لكي تعلم الصغار الرمي عليها ... يكفي أن يتعلم الطفل وهو صغير وتبقى معه مهارته مخزونة في ذاكرته وينميها بالتدريب مع الكبر التدريجي والرمي من الرش اقتصادي جداً وأي أسرة يمكنها ذلك بقروش قليلة.

**السيد ساعى :** أيام الملك كان ممنوع السلاح في البيوت وأيضاً هذه الأيام؟

**الشيخ :** الحاكم القوي لايحكم إلا شعب قوي وإن أراد أن يجعل شعبه قوياً لابد أن يسهل ويسرع من نشر الرماية ولكن الحاكم الضعيف يريد شعبه ضعيفاً لكي يسيطر عليه .

**شاهين :** القوانين المصرية عبث بها الإنجليز ومنعت مواد القانون حق الفرد في إقتناء السلاح وتعلم الرمي رغم أنها موجودة في كل قوانين ودساتير الغرب فهم حريصون على حق كل مواطن في إقتناء السلاح .

**الشيخ :** طبعاً الإنجليز اختاروا لبلادهم قوانين تقوي شعبهم ولكنها طبعاً لاتصلح لشعب مصر وإلا صار أيضاً قوياً ضدهم . والإسرائيليون حالياً عندما يبنون مدنهم ومساكنهم يهندسونها لتكون منازلاً للقتال ومدناً للقتال وعليكم بمشاهدة الصور لمنازلهم، ومدنهم، ومستوطناتهم لتدركوا ذلك . إسرائيل تكون شعباً مقاتل ليكون هو نفسه وكله الجيش وتكون كل المنازل والمدن وحدات عسكرية وتشكيلات عسكرية إذا اضطرت للدفاع داخل أراضيها.

وهنا شعر الشيخ بأنه أوضح فكرته وهب واقفاً وانتعل حذاءه لكي يغادر لكنه لمح ضوءاً خافتاً يلمع عن بعد وسارع بقوله «كنت أريد أن أحذركم أنكم على مقربة من حقل ألغام مطموس ... وأنا أرى من داخله ضوءاً الآن.. وأخشى أن يكون أحد الجنود قد دخله بالخطأ ؟» . وسارع فتحي بدير مقترباً قليلاً من الضوء ونادى محذراً حامله أن يثبت في مكانه لأنه في وسط حقل ألغام . وجاء الرد بصوت محمود النرد لاعنا حظه العثر الذي أدخله إلى الألغام. وصاح عليه الشيخ أن يثبت في مكانه حتى طلوع ضوء الفجر وكان الشيخ يمكنه السير في وسط الألغام فقد منحه الله القدرة على أن يشم رائحه اللغم في باطن الأرض وما أن انبلج الضوء حتى تحرك الشيخ في تعرجات ووصل إلى النرد وأمسك بيده وسار به خارجاً من الألغام .وكانت هذه القدرة الربانية التي حباها الله للشيخ هي سبب بقائه في هذه المنطقة من الصحراء ليعمل لدى الهيئات التي تكشف عن الألغام .

اقتربت السيارات من متحف العلمين وكانت مناسبة طريفة أن يرى الجنود بعضاً من آثار

الماضي العسكري ومعلومات غير كاملة وكأنها جمعت على استعجال . وقضت الفصيلة وقتاً في مشاهدة المعروضات التي تسحب المتفرج إلى زمن قديم يختلف كثيراً عن زمننا الحاضر. خرج الجنود من المتحف وساروا على الأقدام مقتربين من ساحل البحر حيث أجروا تدريباً حياً على قذف القنابل الحقيقية وكانت من النوع الدفاعي . طلب الجندي محمود النرد وهو من سكان مرسى مطروح وهي المحطة التالية على خط السير أن يقبل قائد الفصيلة عزومة غداء للجنود في بيته بمرسى مطروح وترك سيارته يسوقها الملازم الزرقا وتوجه هو إلى مطروح ليقوم بالإعداد للوليمة ويكون في استقبال الفصيلة اليوم التالي .

تبدو الأرض في هذه المنطقة مفتوحة مسطحة أمام البصر وخاصة التي تقع عكس اتجاه البحر وتتجه إلى الداخل وقرر قائد الفصيلة متابعة السير على اليابسة على الأقدام لكشف إلى أي مدى تظل الأرض مسطحة أمام البصر. وسارت الفصيلة حوالي ١٥ كيلو مترا عكس اتجاه البحر وبدأت الأرض رملية مرهقة ومن الصعب المتابعة فيها وتوقفت الفصيلة عندما ظهرت على الجانب اليسار ثلاث خيام للبدو. خرج رجلان وتقدما صوب جنود الفصيلة وألقيا السلام وأشار أكبرهما أن هذه الأراضي كلها كثبان رملية وصعبة السير وأن أحد الجيوش الجرارة قد دفن تحت هذه الرمال في سابق التاريخ . ولكن الملازم محمد لم يقنعه هذا الكلام وقرر التوغل قليلاً ربما يجد شيئاً جديداً أو معلماً متميزاً يمكن تصويره؟

سارت الفصيلة حوالي كيلو متر في غرود رملية بدأت تصعد بهم إلى الأعلى وصار الصعود مرهقاً وغير معتاد فتوقفت الفصيلة للراحة ودفع كل من حسين وفوزي عبد المقصود وعلي مرسي إلى الأمام لكي يصلوا إلى قمة الغرود ومنها يمكنهم تقصي حقيقة المنطقة الخلفية المستترة . شاهدوا من القمة مجموعة مباني لغرف صغيرة مهجورة تقع في الخلف وأجزاء منها مهدمة وتقدم باقي الجنود يرتقون القمة وأمر قائد الفصيلة أن تقترب مجموعة جنود بحرص من هذه المباني وتفتيشها وفجأة فتحت نيران من خلف هذه المباني واتخذ الجنود مواقع وقائية من الطلقات. لدى الجنود من خبرتهم التدريبية عقيدة «**الطلقة القاتلة**» ولذا فكل جندي يتأنى جيداً ويتحرى الدقة لكي يطلق نيران سلاحه . والموقف الآن غريب التفسير ولايمكن بالطبع توقع أن الطلقات التي أطلقت عليهم من إسرائيليين .أعطى قائد الفصيلة إشارته بالمناورة وتطويق مصدر الطلقات وفي أقل من

نصف دقيقة باغتت المجموعة من الخلف ثلاثة رجال مسلحون وأجبرتهم على إلقاء أسلحتهم وتم القبض عليهم وعند تفتيش الغرف المهجورة وجدت أن واحدة منها مكدسة بالمخدرات وأمر قائد الفصيلة بحرقها على الفور وتم تسليم الثلاثة وأسلحتهم إلى الشرطة العسكرية التي كانت تبعد ٣٠ كم خارج مطروح وعلى مشارف المدينة.أسرعت الفصيلة في السير حتى دخلت مشارف المدينة الصغيرة وقرر قائد الفصيلة أن يقضي الجنود ليلتهم داخل معسكر للقوات البحرية ليكونوا أكثر أماناً من ردود الأفعال التي توقعها من مهربي المخدرات وتم التنسيق مع قائد المعسكرٍ ليمدهم بمعلومات عن طبيعة الأرض عند الإتجاه و السير إلى السلوم . استغلت الفصيلة تواجدها داخل المعسكر في أعمال إدارية مع بعض الإسترخاء حتى يحين موعد الظهر ليتجه الجميع إلى عزومة الغداء في منزل محمود النرد داخل المدينة . استقبل الفصيلة عدد كبير من قبيلة النرد وفي مقدمتهم شيخها صايم درغام وكانت القبيلة قد ذبحت خمس غزالات وجملين وكانت مواقع الشوي يتطاير منها شرر الحطب وتنتشر سحب الدخان برائحة اللحوم المشوية . هي المرة الأولى لكل أفراد الفصيلة التي يتذوقون فيها لحم الغزال الشهي . وبعد الغداء وأثناء تناول الشاي ومشروب آخر عشبي مقوي نصح الشيخ درغام قائد الفصيلة أن يتجنب أثناء السير التالي بالسيارات الدخول إلى الأودية التي يقيم فيها البدو ولاداعي للاقتراب من خيامهم لأن بعضهم يريد الانتقام للخسارة التي نجمت من حرق المخدرات والتي كانت كميتها كبيرة وتقدر بثمن باهظ.

تحركت السيارات قرب وقت العصر وكانت الشمس بدأت في ميلها للغروب وحجبت بعض الغيوم أشعتها وكان شكل مياه البحر على البعد بديعاً ويتغير لونها بين الحين والآخر بين اللون الأزرق واللون الأخضر الصافي .ظهرت على يسار طريق السير ملامح معسكر على بعد يقرب من ٢ كيلو متر ولكن يبدو من الشكل الخارجي للمعسكر أنه يختلف بعض الشيء فكانت له أسوار مرتفعة من السلك الشائك ويغطي الأسلاك شباك تموية تحجب الرؤيا. قرر الملازم محمد الاقتراب لمعرفة ما وراء هذا الشكلّ غير المألوف وبدت لوحة قبل البوابة مكتوب عليها كلمة قف باللغة العربية والإنجليزية والفرنسية ولغة رابعة تعرف عليها الجندي سعدون مسعد على أنها لغة كوبية وفي أثناء اقتراب السيارة الأولى من البوابة خرجت من المعسكر سيارة نقل عسكرية ولكن صندوقها مغطى بالمشمع القماش وسارت على الجانب الآخر من الطريق وأمر قائد الفصيلة السيارة الخلفية

بالانتقال إلى الجهة المعاكسة لسد الطريق عليها وإيقافها .وفي هذه الحظة اندفع لخارج البوابة رائد بملابس الميدان وأشار لسيارة الفصيلة بالتوقف ونزل الملازم محمد والتقى معه وأخبره الرائد بالعودة إلى طريق السير موضحاً له أن المعسكر محظور دخوله لأي شخص إلا بتصريح من المخابرات الحربية وتجادل معه الملازم محمد وأبرز له تصريح رئيس الأركان الذي يمكنه من الدخول ولكن الرائد اعترض بشدة وبغضب وكان الجنود في السيارة الأولى قد قفزوا منها والتفوا حول عناصر أمن البوابة مما آثار نوعاً من الإرباك ولكن تراجع قائد الفصيلة لاقتناعه بأن الأمر لايستحق المجازفة لأنه واضح أنه معسكر استخباراتي وأمر الجنود بركوب السيارة وإفساح الطريق أمام العربة التي خرجت من المعسكر وكان الجندي سعدون مسعد في هذه الأثناء قد تبادل بعض الكلمات مع ركابها وعلم أنهم مهندسون وجنود من كوبا. عدلت السيارات الثلاثة وجهتها عائدة على الطريق المتجة إلى الحدود مع ليبيا ونادى الملازم الزرقا على فوزي جعوان والذي رد مبتسماً وقال : « **أخذت ٧ صور للمعسكر من الداخل من فتحه في الأسلاك دون أن يشعر بي أحد**».

اقتربت الفصيلة من هضبة السلوم وتوقف السير بالعربات واستبدل سيراً بالأقدام وقام الضباط بالشرح والتوضيح والتفسير الطبوغرافي للجنود عن تكوينات الهضبة والأراضي والمناطق التي تليها.

صارت نقطة تلاقي حدود مصر مع ليبيا على مرئى البصر وقرر قائد الفصيلة قضاء الليل قريباً من نقطة الحدود حيث توجد بوابة جمركية . طلب الضباط أن يتعرف كل أفراد الفصيلة على طبيعة العمل في مثل هذا الموقع الجمركي النادر الذي يبتعد عن مدينة السلوم. وبعد أن تم تجهيز موقع الإيواء سمح الضباط للجنود بقضاء بعض من الوقت في التعرف على المصريين العاملين بنقطة الحدود . في الصباح يبقى أن تبدأ الفصيلة بتعديل اتجاه سيرها إلى اتجاه الجنوب وكانت قد قطعت مايقرب من ٩٠٠ كيلو متر منذ أن بدأت سيرها بحذاء الساحل على البحر الأبيض ولكن هل تسير على الطريق الأسفلت التي حضرت عليه إلى أن تصل إلى التفرع الأسفلتي الذي يوصلها إلى جنوب مصر ولكنه يمر من خلال الدلتا وهي مناطق سكنية؟ واختار الضباط الطريق الصعب وهو السير في طرق غير ممهدة مخترقين المساحة التي توازي خط الحدودالوهمي بين مصر وليبيا بغرض التعرف على تضاريسها التي تبدو منذ اللحظة الأولى أنها صحاري جبلية ورملية بين

مرتفعات وأودية غير مأهولة من قبل . وقبل بدأ التحرك أجريت صيانة كاملة للسيارات تحسباً لتلافي أي أعطال في السير عبر الصحاري والتي تبدو على الخريطة خالية من أي مدن . صعد الضباط للجلوس برفقة الجنود أعلى السيارة وطلبوا من الشيخ إبراهيم دور من الشاي أثناء السير . وسأل طه عزب الشيخ إبراهيم إن كان ذهب من قبل إلى أداء فريضة الحج ؟

**الشيخ إبراهيم :** مبتسماً كعادته «ربنا يوعدنا وإياكم .. الحال على أده .. من أين تكاليف الحج ياسي طه ؟ »

**تاضرووس :** هل يمكن للمسيحي أن يذهب إلى الحج ؟ أم يمنع من ذلك ؟

**فتحي بدير :** الحج ركن من أركان الدين الإسلامي وأنا لا أعرف هل الدين المسيحي يطلب منكم الحج إلى مكة؟

**إبراهيم رشدان :** أنا ذهبت إلى الحج عام ١٩٦٢ وكانت دهشتي كبيرة عندما شاهدت هناك حجاج جاءوا من أندونيسيا ومن فرنسا ومن ألمانيا ومن أمريكا ولكنهم لايتكلمون اللغة العربية وهم مسلمون .

**فتحي مهران :** موسم الحج يتيح الفرصة للتعارف بين المسلمين من الدول الأخرى وأنا اتذكر أن جدي عندما سافر لأداء الفريضة تعرف على حاج كان قادماً من ألمانيا وتصادقا أثناء الحج وبعد إنتهاء الحج زاره جدي في ألمانيا بعد عام وزادت المعرفة بينهما ثم تزوج جدي من ابنته الألمانية لأنها كانت مسلمة .

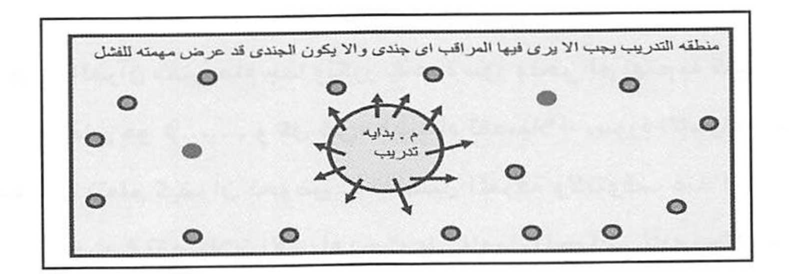
**الشيخ إبراهيم :** اللي أعرفه أن القرآن كتاب من الله لكل البشر ولم ينزل للمسلمين فقط وهو كان فيه مسلمون في مكة قبل نزول القرآن دا كلهم كانوا من عبدة الأصنام ولما كلف الله سيدنا محمد بتبليغ رسالة الإسلام كان بيدعو كفرة قريش .

**الزرقا :** لو تنبهت الحكومات العربية إلى أهمية موسم الحج لكانت عمدت إلى أن يتعرف الحجاج فيما بينهم بطريقة تسهل لهم استمرار العلاقات بعد الحج وتبادل الزيارات و تبادل التجارة والمصالح وتسهيل الزواج فيما بينهم وهذا يؤدي إلى التقارب الاجتماعي بين الدول العربية وهو مايقوي القومية العربية .

**شاهين :** الدعوة التي أطلقها الرئيس الراحل جمال للنهوض بالقومية العربية أزعجت الغرب

وأمريكا وإسرائيل وكانت هي السبب الخفي وراء حرب ١٩٥٦ ثم ٦٧ وأظن أن هذه الفكرة ومحاولة إحياء القومية العربية سوف تظل هدفاً لخطط ومؤامرات الدول الغربية وعلى رأسهم أمريكا في المستقبل بتحريك لمصالح إسرائيل.

توقفت الفصيلة لإجراء تدريب على التعايش والمقصود من ذلك أن يتعلم الجندي كيف يدبر احتياجاته من المياه والأكل وأن يختفي عن عيون الأعداء على إعتبار أنه ينفذ مهمة جمع معلومات في عمق إسرائيل . وقسمت الفصيلة إلى مجموعتين يتولى كل ضابط الإشراف على تدريب مجموعة . ويتم تحديد منطقة لبداية التدريب ومنطقة أخرى تسمى «أنت في إسرائيل الآن» ودور الضباط في هذا التدريب هو التحكيم على اعتبار الجندي الذي يمكن كشف مكانه إنه قد وقع في الأسر. وانصرف الجنود فرادا سيراً على الأقدام لتنفيذ التدريب على أن يتجمعوا بعد ٤٨ ساعة داخل منطقة البداية مرة أخرى . وكان التدريب يتطلب أن يتخلى الجندي عن كل أدواته ماعدا البندقية ومعها خمس طلقات وزمزمية مياه نصف مملوءة ويبقى هكذا حتى العودة بعد ٤٨ ساعة وتبقى السيارات في منطقة البداية. وبعد مرور الوقت المخصص بدأ الجنود في العودة وأغلبهم في حالة إعياء وكان أفضلهم حالة الجندي عادل عنتر فقد تمكن من إقتفاء أثر راعي غنم وغافله وتمكن من خطف عنزتين صغيرتين تناول واحدة منهما خلال ساعات التدريب وعاد بالآخرى . قضى الجنود بقية الوقت في الراحة وتناولوا العشاء ثم تحليل التدريب وأبدى الضباط ملاحظاتهم عن طريقة تصرف كل جندي من إيجابيات مفيدة أو سلبيات تعرضه للخطر وسرد كل جندي خبراته الجديدة من هذا التدريب وأي ملاحظات غريبة عن طبيعة الأرض في المنطقة التي تحرك فيها وقص عادل عنتر قصة احتياله على راعي الغنم وكيف استدرج صيده من بين القطيع . حان وقت النوم وهرع الجنود المرهقون وغطوا في ثبات عميق .



في الصباح الباكر وأثناء السير شاهد الجنود الكثير من الغزال يجري مبتعداً عن السيارات وبعض من الحيوانات الأخرى مثل الذئب والتيس والقط البرى والثعلب وبعض المناطق كانت تبدو بها الزواحف مثل الضب والورل والثعابين ولذا كان يتم اختيار مكان المبيت بدقة بالغة. لاتوجد أي مصادر للمياه سوى بعض الآبار الجوفية والمياه على أعماق بعيدة في باطن البئر. تتمركز حول كل بئرمجموعة صغيرة من البدو يقطنون الخيام .كانت بين حين وآخر تمر قوافل صغيرة من الجمال التي تجيد السير في الصحاري على بعد من طريق سير العربات وتتبع مسارب للسير بغريزتها التي هي أعلم بها وتقطع مسافات كبيرة عبر الصحراء وتسير سيراً هادئاً.

توقف السير في وادي تنمو فيه بعض نخلات وشجيرات صحراوية قليلة ومتبقى به آثار لمجموعة بدو غادرته قريباً وليس به مصدر مياه مما يؤكد أن المزروعات تنمو نتيجة لمياه الأمطار وانخفاض الوادي .كان السير يتوقف فقط لتناول الغداء. استعان الطاهي بمياه الجراكن المخزونة مع الجنود في الطهي وكانت الفصيلة قد أعادت استكمال احتياجاتها من أحد المستودعات العسكرية قبل الخروج من مرسى مطروح. وقد افترش الجنود الأرض تحت ظلال النخيل فكان أكثرهم يتجاذب الحديث وقليل منهم يشتركون في إعداد الطهي. وأوحت النخلات أن يسأل فوزي عبد المقصود لماذا لاتنتشر زراعة النخيل في مصر وهو من سكان قرية زراعية ويعرف أن زراعة النخيل قليلة حتى في قريته؟ رد الشيخ إبراهيم عليه مؤكداً أهمية سؤاله وأضاف أن الله ذكر في القرآن النخيل على أنها مصدر كبير للخير والرزق. ثم سأل قطب هل يمكن زراعة النخيل في مدينة مثل القاهرة أو الإسكندرية؟ وهل يمكن أن يقوم مشروع قومي في مصر بحيث تتضافر جهود الجميع لزرع نخلة لكل مولود ؟ وسخر منه عبد الله الصغير قائلاً : « يكفي أن يكون مشروع قومي ولكن لكل مولود بلحة » . وهنا قال الملازم محمد : **«الله ذكر في القرآن معنى هام جداً وتكرر في عدة سور ونحن لم نهتم به كثيراً رغم إنه سر التطور ...والمعنى هو ﴿...... و كل شيء فصلناه تفصيلا﴾ «سورة الإسراء آيه ١٢» وأظن أن المقصود أن نتعلم كيف أن نخوض في تفاصيل المعرفة ولانتوقف عند السطح»** وأضاف الزرقا : **«والبحث في تفصيلات الأشياء يحث على العمل الجماعي لأنه يحتاج جهوداً كثيرة**

متشعبة لايقدر عليها واحد بمفرده » وتدخل عبد العزيز فقال : « وإذا تعلمنا البحث في التفاصيل سوف تبرز لنا أهمية تراكم المعرفة . أي أن ما انتهى إليه باحث يبدأ منه الباحث التالي وما انتهى إليه الباحث التالي يبدأ منه الباحث الثالث وهكذا بدلا من أن يعمل كل واحد منفرداً» واقترب السيد ساعي مبتسما وهومعروف عنه أنه يهوى عمل الحفر نيابة عن زملائه فقال : « حفر الحفرة هو أصدق مثال على ماتقولونه! لو الفصيلة بتاعتنا ركزت جهدها لحفر حفرة واحدة . كل واحد يحفر إلى أن يتعب والتالي يكمل الحفر بعده وفي نفس الحفرة .هل تتخيلون كم سيكون في النهاية عمق الحفرة وربما نصل إلى المياه في باطن الأرض؟ أما لو حفر كل منا حفرة له وبعيداً عن الآخر فلن نحصل إلا على حفر سطحية ». وهنا وقف الملازم محمد مصفقاً بحرارة للسيد ساعي وتبعه الجنود في التصفيق . وقال الملازم الزرقا : «السيد ساعي قدّم لنا صورة رائعة وضحت كل ماكنا نقوله!!» واستطرد الملازم محمد قائلاً : « كلنا نعلم أن الجسم يصيبه المرض ليقلل من حيويته – وكذلك المجتمعات كلما نشطت وازدادت في حيوتها تعرضت للمرض مثلها مثل الجسم ويجب أن يكون هناك طبيب للمجتمع مثلما يوجد طبيب للبشر بل اعتقد أن طبيب المجتمع أهم من طبيب البشر» وانفعل فتحي بدير رقيب الفصيلة مؤيداً لرأي قائد الفصيلة وقال : «كلامك صح يافندم فلايجوز أن نتكلم عن تطوير المجتمع قبل أن نقضي على الأمراض التي أصابته» وضحك مقهقها عبد الله الصغير وقال : « إذاً نحتاج بناء مستشفى لعلاج أمراض المجتمع المصري». فرد عليه عادل «نحتاج وزيراً للصحة ووزيراً للأخلاق وربما يكون الأخير أهم لأن مرض الأخلاق يصيب المجتمع كله ويقضي عليه».

وكان الغداء قد تم تجهيزه فأقبل الجنود في تناوله ولايزال لديهم إحساس بالجوع من تدريب الأمس . استعد الجنود لمتابعة السير بالسيارات مخترقين الصحاري بغرب مصر تجاه الحدود مع السودان وقبل التحرك أخبرهم قائد الفصيلة أن على كل منهم أن يفكر ما أهم الأمراض الحالية التي تصيب المجتمع المصري لتكون موضوع المناقشة القادم في أول فرصة مناسبة أثناء التوقف للراحة.

كان على قائد الفصيلة أن يحقق اتصال لاسلكي مع قيادته طبقاً لجدول توقيتات معد سابقاً

ولكن يمكن لأي من الطرفين تحقيق اتصال خاص في حالات الضرورة أو الطوارىء . أثناء السير ورد اتصال من القيادة ورد عليه الملازم محمد . العقيد طلعت يستعلم عن اختطاف مجموعة مدنيين يعملون في أحد محطات الكهرباء ؟ ورد الملازم محمد برسالة مشفرة : «**من القرش ... إلى ... ٤٤٦٦... ن ع م ... ال ا ط ارات ... ص ف راء ... ن.. م.. خ..٣٣..٧٨..٠..**» وكان موجز المعنى أن ما حدث من فعل الفصيلة لتنشيط خمول الأمن المدني ولكن لن يذكر عنه شيئاً ضمن التقرير النهائي . وجاء الرد من القيادة مشفراً ومعناه : **ممتاز ... استمر ... انتهى.**

غير قائد الفصيلة خط السير قليلاً بغرض الاقتراب من التجمعات السكانية وهو يمر مجاوراً لمحافظات غرب مصر لإعادة تخزين مياه الشرب وبدأت الفصيلة تقترب من القرى الزراعية وتغير اللون الأصفر الصحراوي إلى اللون الأخضر الذي يملىء مرمى البصر من الأراضي الزراعية . وطلب فتحي بدير التوقف بأحد القرى لشراء بعض الخضراوات والفاكهة الطازجة وعرجت السيارات على أول قرية في خط السير وبدخول السيارات إلى الطريق الفرعي المؤدي للقرية بدأ الأهالي يخرجون من دورهم وكأنها في استقبال أو إستغراب . وكانت البيوت مبنية من الطين الأسود ومعرشة بفروع الشجر والحطب فيما عدا عدد قليل من المنازل مبنية بالطوب الأحمر وواجهتها ملونه بالأزرق السماوي أو الأصفر وتوقفت السيارة الأولى للسؤال عن مكان بيع الخضراوات بالقرية ولكن بسرعة تجمع عدد كبير من الفلاحين وأحاطوا بالسيارات وطلبوا من قائد الفصيلة قبول أن يتناول الجنود مشروباً خفيفاً تحية لدخولهم إلى القرية. نزل الجنود وتوجه الجميع إلى مكان المضيفة وسرعان أن حضر للترحيب بالجنود مجموعة من الرجال يبدو إنهم كبار العائلات بالقرية . كانت المقاعد من الخشب المتصل وعليه وسادات ومساند للظهر لينة من القطن وسرعان ما أدخلت على الجالسين صواني عليها أكواب من الشاي وأخرى عليها زجاجات خضراء من مشروب الليمون وأكواب حمراء من لون شربات الورد. وامتلأ المكان عن آخره من رجال القرية والشباب والصغار؟ وتبادل الجميع أحاديث جانبية على مجموعات إلى أن سأل أحد الرجال من كبار العمر قائلاً : «**لماذا أنتم هنا في هذه المناطق البعيدة عن جبهة القتال ؟**». وعم الصمت بين الجنود لأن الإجابة الآن تكون من واجب ضباط الفصيلة أولاً . وبدأ حوار..



الجنود مع أهل القرية

**الملازم محمد :** أنا الملازم محمد قائد الفصيلة وهذا الملازم الزرقا مساعدي وهذا الرقيب فتحي بدير رقيب الفصيلة .؟ ممكن أتشرف بحضرتك ؟

« **أنا الحاج مجاهد عمران وهذا الحاج صابر الشرنوبى وهذ الحاج محمد مسلمي**».

**الملازم محمد :** نشكركم جميعا ياحاج مجاهد على ترحيبكم بنا ... ونحن هنا الآن لكي نبلغكم تحيات وزير الدفاع وكل ضباط وجنود مصرونحمل لكم منه رسالة هامة .

**الحاج عمران :** مستغرباً ... «رسالة لنا نحن؟؟ » وأين هي ؟؟»

**الملازم محمد :** « رسالة شفهية ... أن جنود مصر يستعدون لتحرير الأرض المغتصبة.. وهذا سوف يحدث قريباً جداً ... ولن يطول الانتظار.. لأن الرجال الآن في قمة تدريباتهم ومهاراتهم القتالية وتشوقهم للانتصار.

**الحاج الشرنوبي :** «أنت بتتكلم مع ناس مثقفين . فأنا دكتور مهندس زراعي والحاج عمران دكتوراه في الطرق.. نحن نشعر بأن مصر لن تحارب أبداً في عهد الرئيس السادات . هو يبحث عن السلام ولا يتكلم إلا عن السلام ومن يريد السلام لايحارب ؟

**الملازم الزرقا :** نحن نتكلم عن القوات المسلحة . نحن جاهزون . انظر لهؤلاء الجنود . كلهم على درجة عالية من المهارة القتالية والقوة والرغبة في الانتصار. وهم درسوا العدو جيداً ويعرفون كل شيء عنه. ورسالتنا إليكم هي أننا سوف نحارب قريباً جداً إما النصر وإما الشهادة.

**الحاج عمران :** «لو كانت هناك نيه الحرب . كانت القوات الجوية وافقت على اختراعي ؟ تقدمت لهم باختراع لتركيبة جديدة من مادة الأسفلت لاتحتاج إلى صيانة لمدة ثلاثين سنة وتصلح لعمل ممرات للطائرات يصعب تعطيلها وكل أنواع الطرق السريعة سواء الطويلة أو القصيرة .»

**الملازم محمد :** «برجاء أعطني مذكرة عن اختراعك وسوف أسلمها بنفسي إلى مكتب رئيس الأركان »

**فتحي بدير :** «أريد أن أؤكد لك ياحاج شرنوبي شيئاً هاماً جداً . أنا حضرت ماحدث أثناء عام ٦٧ وكنت ضمن وحدة موجودة داخل صحراء سيناء . كنا على درجة عالية من القدرة على القتال ولكننا لم نحارب وكل ماطلب منا أن نترك مواقعنا ونعود إلى الخلف وأثناء عودتنا ونحن نسير في قوافل عسكرية كنا هدفاً سهلاً للطيران الإسرائيلي وتعرضنا لخسائر وبدون أي مواجهات عسكرية . أما حال الجنود الآن فهو مختلف كل الاختلاف عن ماكان في الماضي والوحدات الصغرى لديها مهام محددة وواضحه وأيضاً لديها الجرأة في أن تتخذ قراراتها».

**الحاج الشرنوبي :** «أرجو من الله أن يوفقكم . ونحن كلنا هنا نريد رد الشرف في معركة قريبة» .واستعد الضباط والجنود لمغادرة القرية وعندما علموا أن أهل القرية متوجهون إلى الحقول لجمع القطن قرر قائد الفصيلة أن تشترك الفصيلة في جمع القطن مع المزارعين . قضى الجنود ثلاث ساعات في جمع القطن من أحد الحقول وعندما تجمعوا استعدادا لركوب السيارات تقدم الحاج عمران من قائد الفصيلة وأبلغه أن أهل القرية قد أعدوا العشاء لرجال القوات المسلحة وأقسم عليه أن لايتركوا القرية إلا بعد تناوله . جلس الجميع إلى موائد الطعام وهي صواني نحاسية رصت على الأرض متجاورة وملئت بكل أصناف الطعام من الأرز والفراخ والبط ولحوم الأبقار وأطباق مطبوخة من الملوخية والفاصوليا والبطاطس وأنواع السلطة الخضراء وسلطة اللبن الرايب ثم الفطائر الريفية ومعها العسل الأبيض



جنود الفصيلة يجمعون القطن في أحد المزارع .

أثناء تناول الطعام همس فتحي بدير في أذن الملازم محمد بشيء ما جعله يتوقف عن الطعام وينهض وابتعد قليلاً يرافقة فتحي . تبعه فتحي وأخبره وهو متردد أن فوزي عبد المقصود يريده الآن وضروري أن يتحدث معه في أمر خصوصي ؟ فنادى الملازم محمد على فوزي عبد المقصود ليعرف منه ماهو الأمر الضروري الذي ترك تناول الطعام بسببه ؟ تقدم فوزي وتبدو عليه علامات القلق واقترب كثيراً من الملازم محمد وأبلغه بصوت لايكاد يسمعه بأنه تعرف على فتاة من بنات القرية وأعجب بها وأنه طلب يدها من أخيها الذي رد عليه إنهم قد جاءوا في زيارة غير متوقعة وأن الظروف غير مناسبة لهذا الطلب ؟ وفهم الملازم محمد من تعبيرات وانفعالات فوزي أنه وقع في الحب من أول نظرة . ابتسم الملازم محمد وعاد لمكان جلوسه بجوار الشيخ عمران وبدأ يكمل الطعام ثم تحدث مع الشيخ عمران عن فوزي وأنه يطلب يد إحدى بنات القرية .ودارت مشاورات سريعة بين الرجال وهم يتناولون طعامهم ثم علت البسمة على وجه فوزي فقد وافقت أسرة الفتاة على إعلان الخطوبة في الحال . تأخرت الفصيلة بعض الوقت لكي تحتفل بخطوبة فوزي مع أهل القرية وتناولوا الشربات ثم ركبوا سياراتهم معاودين متابعة السير وكان أهل القرية قد وضعوا

لهم في السيارات عدة أقفاص من الفاكهة والخضراوات الطازجة ولكن أصر قائد الفصيلة على دفع الثمن عنها.

يقود السيارة الأولى الملازم محمد وعلى يمينه الملازم الزرقا وتناقشا في اتاحة الفرصة لكل الجنود في تعلم السواقة مستفيدين من تلك المسافات الطويلة في السير في أماكن نائية وخالية واتفقا على برنامج لتنفيذ تلك الفكرة بتقسيم الجنود ثلاثة أقسام ويتدرب كل قسم تحت إشراف واحد من السائقين ويعطوا جائزة للسائق الأفضل في تعليم وتدريب مجموعته. الرقيب فتحي يباشر السيطرة على مرحلة التدريب الصامت أثناء كل توقف والتأكد من درجة اتقان الجندي لحركات ومهارات السائق قبل أن ينتقل للتدريب العملي . وهكذا حظى الجنود بفرصة تعلم مهارة جديدة إن لم تنفعهم فلن تضرهم واستقبل الجنود خبرتدريب السواقة بفرحة ورفعت معنوياتهم.

انتقى الضباط مكان المبيت في وادي يقع أمام أحد الجبال متوسط الارتفاع وقرروا أن يرمي الجنود رماية ليلية متخذين الجبل وارتفاعه كمصد خلفي لطلقات الرماية وتقدم الجندي عادل عنتر وبرفقته عطا عبدالرحيم لتفتيش الجبل وشرع باقي الجنود في إعداد ميدان الرمي .في الرمي الليلي يتعلم الجنود مهارة الاستفادة من الطلقات الكاشفة وهي نوعان طلقات كاشفة من نفس نوع الطلقات العادية ولكنها تسير في خط لامع مضئ يبين مكان التنشين ووقوع الرمي وهناك طلقات كاشفة من نوع آخر تطلق فوق منطقة الأهداف وتضيء السماء لعدة ثوانٍ خلالها يلمح الجندي شبح الهدف فيرمي عليه . فاز في الرماية الجندي عبدالله وقرر قائد الفصيلة مكافأته على فوزه أن يكون أول من يتعلم السواقة !

أثناء السير في أودية غرب مصر كثيراً ماكانت الفصيلة تكتشف الغام صدأة ظاهرة على سطح الأرض متناثرة على مساحات كبيرة مما يدل على احتمال وجود حقول لها ولكنها مطمورة تحت الأتربة وكان الضباط يضعون علامات على خرائطهم تفيد عن تفصيلات الأرض وعن الأماكن القريبة لحقول الألغام وكانت لديهم معلومات سابقة من دروس التاريخ العسكري التي درسوها في الكلية الحربية عن معارك الصحراء الغربية بين الألمان والحلفاء واتساع مساحات الأرض التي نظمت عليها الدفاعات في الحرب العالمية.

تابع الجنود تعلم السواقة أثناء التوقف وأثناء السير وهم يقطعون مسافات كبيرة من غرب مصر بالمسح والتفتيش متجهين صوب الحدود الجنوبية . وفي عصر يوم فاجأهم طلق ناري أصاب

بزاوية منفرجة زجاج السيارة الثانية وسبب به شرخا وسمع الجنود الموجودون في أعلى السيارة الصوت وحددوا اتجاهه بأن الطلقة قدمت من يسار خط السير وانتشرت السيارات واتخذ الجميع إجراءات مضادة لموقف كمين. وبعد تفتيش المنطقة المحيطة تأكد الضباط إنه مجرد طلق نارطائش وغير مقصود ولكن كان عليهم أن يتحروا من أين جاءهم . وكان المقذوف الذي اصطدم بالحافة المعدنية للزجاج واستقر فيها لطلقة مسدس أو رشاش من عيار ٩ مم . وبسرعة تحرك الملازم الزرقا ومعه مجموعة للبحث عن مصدر الطلقة وعلى مسافة حوالي ٢ كيلو متر وفي عمق الصحراء بدت تظهر بقايا حرق نفايات مما يدل على وجود من يعيش على بعد قريب . تقدمت المجموعة بحذر وزحفت إلى قمة إحدى الهضاب الصغيرة وفوجئت بوجود معسكر يقع في الخلف ويبدو من أول وهلة إنه يخص وحدات شبه عسكرية فاتصل الزرقا لاسلكيا وأبلغ المعلومات للملازم محمد الذي طلب منه مراقبة المعسكر دون الاقتراب منه ومحاولة تفسير سبب وجود المعسكر في هذه المنطقة النائية .وأثناء المراقبة خرجت من بوابة المعسكر مجموعة أفراد عددهم خمسة يقتادون رجلاً أبيض الشعر يرتدي زيا أزرق اللون كما في السجون . الخمسة يتناوبون الضرب على ظهر الرجل وعلى رأسه وأحدهم يمسك بيده سوطا ويلهبه به والرجل يصرخ واثنان منهما يحمل كل منهما جاروف. اتجهت المجموعة مبتعدة عن المعسكر واستمرت في سيرها صوب أحد التباب الصغيرة حيث توقفوا وزادوا الرجل ركلا بالأقدام ثم قيدوا يديه خلف ظهره وشرعوا في تغمية عينيه بوضع غطاء قماشي فوق رأسه. وعلى الفور أعطى الزرقا لرجاله إشارة هجوم صوبهم وانقضوا عليهم في سرعة خاطفة وارتبك الخمسة من المفاجئة وثبتوا في ذهول. كانت بقية الفصيلة قد تقدمت في هذه الأثناء بقيادة الملازم محمد وطوقت المكان في خفاء وهدوء وطلب محمد من الزرقا أن يلاقيه بالخمسة رجال، والرجل الأشيب في أسفل الهضبة ودون أن يتنبه أي فرد من قوة المعسكر بما يقع بالخارج . بسرعة تم استجواب الأفراد الخمسة وهم من الشرطة ويرتدون ملابس مدنية وكان واحد مسلحاً بمسدس . وعرّف الرجل ذو الشعر الأبيض نفسه بأنه الدكتور«إسماعيل عبيد» أستاذ جامعي وتم اعتقاله منذ ٩ أشهر ولا يعلم سبب لاعتقاله وأخبرهم أنهم كانوا سيقومون بقتله ودفنه كما فعلوا منذ أسبوع مع صديقه الأستاذ «صلاح الصيرفي» . ولما سأل الملازم محمد الشرطي الذي كان يحمل مسدساً هل صدر ضد الرجل حكماً بالإعدام

ولماذا كان يستعد لإعدامه بالرصاص؟ ولأن الإعدام بالرصاص لايحدث إلا للعسكريين . ارتبك ولم يعرف رداً ولكنه قال : إنها أوامر أصدرها « هاني بك» . وأخبرهم الدكتور إسماعيل أن هذا المعسكر بداخله ١١ رجلاً وكلهم أساتذة يعملون في الجامعات معتقلين بدون توجيه إتهام واضح لهم ويطلقون على هذا المعسكر اسم «**معسكر الدفنة**». بسرعة دار شريط الذكريات في ذهن الملازم محمد عن أحد المهندسين كان يسكن في المنزل المجاور لمنزله وكان دائما يتم القبض عليه قرب الفجر ويغيب فترة من الزمن ولا يمكن لأحد من أسرته أن يعلم أين ذهب وبعد رجوعه لايذكر أي شيء عماجرى معه لأي أحد ؟ قرر الملازم محمد وبدافع من الفضول أن يعرف حقيقة مايدور بداخل هذا المعسكر لكنه قرر أن يفعل ذلك من خلال هجوم حقيقي وبقدر مايستطيع الجنود دون إصابة أحد ومن خلال هجوم صامت . تم استجواب الخمسة عن تفصيلات المعسكر من الداخل وعدد الأفراد ومكان غرفة السلاح ومكان المعتقلين وكل المعلومات الهامة . تسلل الجنود في الظلام بحذرٍ ورشاقة واتخذ كل منهم مكانه طبقاً لخطة الهجوم وتم القبض بهدوء على أفراد المعسكر وسحبهم بعيداً إلى أحد الأطراف ثم فوجئ وعلى غير توقع ضباط المعسكر بانقضاض الملازم محمد والزرقا معا على غرفتهم وبسرعة البرق جردوهم من مسدسات كانت مثبتة في جانب كل منهم وكان الضباط يتسامرون مع بعضهم باسترخاء . أخبرهم الملازم محمد أنه تم القبض على كل الأفراد وهم الآن كضباط رهن القبض عليهم أيضاً وبدأ في استجوابهم وهم في حالة تعجب ودهشة ورعب ؟ وأغرب مادهش كل من الملازم محمد والزرقا أن تبين لهما أن الضباط في رتبة الملازم أول ليس لديهم أية معلومات أو سجلات للمعتقلين من المدنيين وكل مايحدث عند تسلمهم لهم هو توقيع واحد منهم على دفتر يحضره معه الضابط المنوط بتوصيلهم إلى المعسكر. وهم بدورهم يستجوبون المعتقلين ليعرفون منهم أسباب الاعتقال والتي لايعلمها المعتقلون وهكذا كأنها دائرة مفرغة خالية من اليقين . استعرض محمد والزرقا المعتقلين وتبين من الحوار معهم أنهم حتى لايعلمون أين هم الآن أو في أي مكان فقد جاءوا في عربات مقيدين ومعصوبي العيون؟ وتم القبض عليهم ليلاً من منازلهم وتعرضوا للضرب والإهانة في القاهرة وتم ترحيلهم إلى المعسكر دون أي استجواب أو اتهام . تعجب كل من الملازم محمد والزرقا من كل ما استمعا إليه وهما اللذان تربيا في الكلية

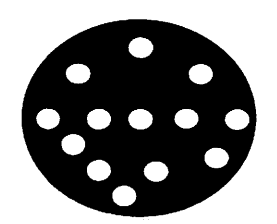
الحربية على عزة النفس العالية والكرامة ولم يتصور واحد منهما أن ما قيل أمامهم ممكن أن يحدث؟ أمر الملازم محمد كل المعتقلين أن يستعدوا بسرعة ليرحلوا معه إلى خارج المعسكر وأن يرتدوا ملابسهم المدنية وأمر بتقييد ضابطي المعسكر وباقي الأفراد واتلف كل وسائل الاتصال الموجودة في المعسكر وغادرت الفصيلة الثانية لاستكمال سيرها وحاولوا الإقتراب من إحدى التجمعات السكنية الصغيرة التي تقع على طريق واحة الفرافرة على بصيص من الضوء وانزلوا المدنيين متمنيين لهم أن يتمكنوا من العودة إلى منازلهم. ثم عدل قائد الفصيلة اتجاه السير مبتعداً للاقتراب بقدر المتاح من الحدود الغربية مع ليبيا والسير في خط موازٍ للحدود بغرض اكتشاف التضاريس وهي غاية في التوحش والهدوء فهي إمتداد لسلاسل جبلية مرتفعة تنحدر إلى أودية ثم كثبان رملية وكلها خالية إلا من صفير الرياح والأتربة التي تحملها ومن فرط التماثل بين الأرض صار اختيار مكان الإيواء مرتبط أكثر بموعد التوقف في الليل للراحة . مرّت فترات من السير المتواصل وفي أحد التوقفات بالنهار اقتربت الفصيلة من سفح الجبل وانتشر الجنود في ثنايا الجبل الممتد بهدف الصيد وكان شرط الصيد أن تعطى «طلقة واحدة لكل جندي» وجلس الضابطان أسفل الجبل مع السائقين في انتظار ما يحضره الجنود . بدأت الشمس في الإقتراب من الغروب وبدأ عودة الجنود ولم يتمكن من الصيد إلا جنديان فقط صاد واحد ورل صغير وصاد الآخر تيساً متوسطاً .

لكن الجنود عادوا من تسلقهم للجبل وكل منهم مبهور بقوة الطبيعة وشكل التضاريس ونقاء الهواء في أعلى الجبل . اقتربت الفصيلة في سيرها من مشارف الحدود الجنوبية المشتركة مع السودان ويقبع جبل العوينات الضخم متوغلاً في ليبيا ومصر والسودان وقرر قائد الفصيلة أن يبيت الجنود ليلة فوق قمة الجبل . وتم إعداد الترتيبات للصعود . وقمة الجبل تتعدى الألف متر في الإرتفاع والجبل صخري صلد والبقاء فوق قمة جبل من التجارب النادرة والهواء أعلى الجبل له تأثير ساحر على النفس البشرية من الصعب وصفه وفي هذا المساء في ليلة قمة الجبل ولأول مرة يتطرق الحديث إلى معنى الحرية للإنسان وتنافس الجميع في تذكر الكلمات التي تقيد حرية الإنسان ومنها القيد والبغي والعدوان والسلب وفقد القدرة والصراع والندرة والفاقة ومنع التعبير ومنع الرأى وفقد التأثير والسجن والنفي والتعذيب والتبذير في ثروات الأجيال التالية

بحجة النمو وتكدس الثروات لدى البعض وحجبها عن الآخرين والاستغلال والجبر والإذلال وامتهان الكرامة ثم أعيدت المنافسة بين الجميع لتذكر الكلمات المرادفة لمعنى الحرية ومنها التعبير والكتابة والرأي والتنقل والتجمع والتظاهر والنقد والتقاضي والابتكار والسفر بلا قيود والتملك وحق التنازل ....الخ.

مع بداية السير التالي في وقت الضحى كانت الفصيلة قدأنهت نصف سيرها تقريباً ويتبقى لها النصف حتى تعود إلى مقرها في بورسعيد مرة أخرى. وأمامهم الآن سيراً طويلاً لكي يقتربوا من عبق التاريخ الفرعوني في جنوب مصر حيث اتجاه السير الآن صوب مجرى النيل وتقع على اليمين الحدود مع السودان . والسير لا يتم على طرق ممهدة بل طرق طبيعية في أودية الجبال وأحياناً كثيرة تحدث السيارات التفافات لتفادي منطقة رمال غير صالحة لسير العربات أو أرض صخرية شديدة النتوءات . وأثناء سير الفصيلة ارتفع صراخ الجنود في سيارة المؤخرة ثم قفزوا منها عندما دوى صوت انفجار رهيب أسفل عجلات السيارة وارتفعت غمامة ترابية هائلة تحمل رائحة نفاذه من بطن الأرض وتوقفت بقية السيارات وانتشر الجنود في كل مكان. بعد انقشاع الغبار الكثيف وضحت الرؤية أمام الجنود وإذا بالسيارة الثالثة نصفها الأمامي ظاهر فوق الأرض والنصف الخلفي مختفي تماماً وساقط داخل حافة فوهة.اقترب الضباط بحذر لاستجلاء الأمر وبدت لأعين الجميع فجوة في الأرض ضخمة جداً ناتجة عن إنهيار في سطح الأرض ربما من تأثير مرور السيارة الأولى ثم السيارة الثانية ولحق الإنهيار بالجزء الخلفي للسيارة الثالثة وهبطت العجلات الخلفية وتعلق النصف الأمامي خارج الحفرة والباقي داخل الحفرة، حفرة ضخمة غير منتظمة واتساعها يزيد عن١٠٠ متر،الرائحة النفاذة المنبعثة منها أجبرت الجميع على الابتعاد وعندما خفت الرائحة بفعل الرياح اقترب الضباط من حافتها بحثا عن الحل لإخراج السيارة . والمفاجأةأن عمق الحفرة يزيد عن ١٠٠متر ولايزال ضباب الأتربة الخارج من عمقها لايمكن أحد من رؤية أي شيء ولذا وبسرعة قرر قائد الفصيلة ربط مقدمة السيارة في مؤخرة السيارة الثانية بالعمود المعدني وسحبها لإخراجها . وتوزع الجنود على الجانبين وأثناء تثبيت عمود السحب المعدني بين السيارتين لمح الضابط الزرقا شكلاً غريباً يقبع في عمق الحفرة . كرة سوداء معدنية ضخمة قطرها يزيد عن ٦٠ متراً ويصدر عنها

صوت أشبه بصوت الغليان المكتوم وعلى سطحها الظاهر من أعلى حوالي ١٣ ثقباً كل ثقب في حجم كشاف السيارة ويشع منها بطريقة متقطعة ومضات من الضوء الأصفر الذي يتحول إلى الأحمر .توقف الجنود عن عملهم وانتشروا حول حواف الحفرة مأخوذين بالمنظر الغريب أمامهم وبدأ يساور بعضهم الخوف من غرابة المنظر. تحرك الزرقا ملتفا حول حافة الحفرة لتحري هذا التكوين غير المألوف . والكل في حالة من الذهول وفجأة شعر بعض الجنود بتغير حاد في ضغط الهواء على آذانهم وصوت يتزايد ومع تزايد الصوت إذا بالسيارة المعلقة وعدد من الجنود القريبين منها يرتفعون رويداً رويداً في الهواء حتى صار الجنودعلى ارتفاع حوالي ٣ أمتار وصارت السيارة في الهواء وعلى وشك أن تسحب معها إلى الأعلى السيارة التي سوف تجرها ومع تحرك الزرقا من مكانه توقف الصوت. وبقي الجنود والسيارة معلقين في الهواء وصرخ بعض الجنود فزعاً وهم كما يبدو فاقدون لأي سيطرة على أجسامهم . تنبه الزرقا أنه ربما كان واقفا بزاوية لها علاقة ما بالجسم الغريب مما حدث عنه ماحدث وارتفعت الأشياء في الهواء فعاد بهدوء لمكانه السابق فإذا بالصوت والضغط يعودان ويزداد ارتفاع السيارة والجنود ثم خطا الزرقا قليلاً في الإتجاه العكسي للخلف فبدأ كل ماهو مرتفع في الهواء يعود بهدوء إلى الأسفل .استقر الجنود على الأرض فجروا مبتعدين عن الحفرة واستقرت السيارة في وضعها السابق وأمر الملازم محمد بسرعة سحب السيارة من داخل الحفرة ومجرد أن استقرت العجلات الخلفية لها فوق سطح الأرض سارع الجميع بالإبتعاد عن هذه الحفرة جرياً ثم تسلقوا السيارات التي تحركت بسرعة مجنونة وتوقفت السيارات على بعد حوالي ٥٠٠ متر وأمر قائد الفصيلة الجنود بالإصطفاف للتأكد من تواجدهم جميعاً ولما كان ماحدث غريباً ومفزعاً ولا تفسير له فقد لزم الجميع الصمت بغير المعتاد . وعندما سأل الملازم الزرقا الجندي فوزي جعوان إن كان قد صور هذا الجسم المعدني الغريب وأجابه جعوان كيف يمكنه التصوير وهو نفسه كان معلقاً في الهواء وهنا ضج الجميع في ضحك هستيري ربما كرد فعل للقلق المتولد من هذا الموقف وقرر الضباط متابعة السير بقدر مايمكن على الطرق الرئيسية الأسفلتية متجهين إلى أبوسمبل التي تبعد عنهم قرابة ٥٦٠ كيلو متراً لكي يشاهد الجنود الآثار الفرعونية.



واقعه لاتفسير لها !

مدينة أبو سمبل تقع على رأس مثلث تقريباً متساوي الأضلاع كل ضلع بطول حوالي ٤ كيلو مترات والضلع الرئيسي يطل على غرب بحيرة ناصر والنيل وهذا الضلع عبارة عن مجموعة جزر وخلجان متداخلة تنتشر على يابستها شبكة طرق أسفلتية وتمثل المراكب الصغيرة والمتوسطة وسيلة انتقال نيلية سريعة وهامة وبديعة . والمثلث يعج بالآثار والبيوت النوبية القديمة واقترح فيلسوف الفصيلة شاهين قائلاً عن المدينة : «هنا لابد من إقامة كلية آثار عالمية » تتيح الدراسة لكل عشاق التاريخ الفرعوني من كل أنحاء العالم. وترجل الجنود داخل المثلث تاركين السيارات لإجراء صيانة واندمجوا مع الأهالي وكانوا مبهورين لسماع التاريخ من أفواههم . كلما التقوا بواحد منهم تجمعوا حوله وأمطروه بالأسئلة وصارت «منطقة أبوسمبل» من أكثر الأماكن التي حقق فيها الجنود ضخ توعيتهم حول دور وكفاءة القوات المسلحة المصرية ومدى استعدادها للحرب القريبة والمؤكدة.

كان الجنود مشدوهين بما حولهم من آثار تدل على العظمة عندما أشار لهم رجل نوبي عجوز ثم دعاهم للدخول إلى أحد المعابد الفرعونية القديمة واستوقفهم أمام لوحة رائعة لرمسيس وعربته الحربية ذات العجلات ثم قال:

**النوبي :** أدرك الفراعنة كيف يسيطرون على عصرهم وعرفوا أن القوة هي المفتاح لذلك وعمدوا لإبتكار كل عناصر القوة من آلات الحرب ولكني أراكم ياجنود العصر الحديث تركبون

سيارات روسية وتتسلحون بأسلحة صنعت كلها في الخارج انظروا لأجدادكم الفراعنة صنعوا لأنفسهم كل شيء فماذا صنعتم أنتم لقوتكم ؟

صمت الجميع وداروا في أرجاء المعبد ثم تسللوا إلى الخارج وعينا العجوز ترقبهم في سخط .

في اليوم الثالث من تجوال الجنود في ضواحي أبو سمبل قرر الضباط التحول من النشاط السياحي إلى نشاط أعمال الاستطلاع القاسية واتفقا على تقسيم الفصيلة إلى قسمين ومجموعة إدارية تتولى التحرك بالثلاث سيارات حتى أسوان ومنها إلى مرسى علم. أما القسم الأول بقيادة الملازم محمد يقوم سيرا على الأقدام بمسح التضاريس في خط شبه مستقيم مخترقاً إلى حلايب واصلا حتى نقطة تلاقي الحدود الجنوبية مع السودان والقريبة من شاطىء البحر الأحمر وكانت مسافة السير المقاسة على الخريطة تتعدى ٥٧٠ كم . والقسم الثاني تحت قيادة الملازم الزرقا يسير في خط موازي للقسم الأول وعلى بعد ١٠كم إلى اليسار ويتلاقى القسمان على شواطىء البحر الأحمر وبعد تلاقي القسمين يتوجهان معا إلى مرسى علم وقدرت مسافتها من موقع التلاقي بحوالي ١٦٠ كم . وتم عمل كل الترتيبات والتجهيزات للسير على الأقدام مع تحديد طريقة الاتصال بين الثلاث مجموعات. احتاج الجنود أن يعبروا إلى الشرق من المجرى المائي وتم ترتيب كل اللازم مع الجهات المدنية المسؤولة بمدينة أبو سمبل وبواسطة قوارب شراعية قطعت بالمجموعتين مسافة تقارب ٤ كم في المياه النيلية وما أن وضع الجند أقدامها على اليابسة حتى بدأت تدريبات التعايش مع الأرض والطبيعة لعدة أيام .

لم يكن الجنود في القسمين يمكنهم قطع كل هذه المسافات بدون أن يمرض أحد منهم سواء من التعرض للشمس نهاراً أو البرد ليلاً أو بسبب الضغط والإرهاق المتولد عن العمل المتتالي ولكن يبدو أن الأثر النفسي والقوة النفسية من الأسلحة الجبارة في مقاومة كل عوامل الضعف البشري وتقويةه مناعة الجسم . وجنود الفصيلة الثانية سبق لهم منذ زمن ممارسة تدريبات «القوة الذاتية» وربما قضوا فيها مايقرب من ٤٠ يوما أثناء تواجدهم في موقعهم على الشاطىء في بورسعيد وتعلموا خلالها مجموعة من الأوامر الذهنية الصامتة التي تدفع وتحفز أجهزة الجسم لتعمل بكفاءة إضافية في المواقف الشديدة الصعوبة . وكان سير القسمين في أراضي عبارة عن أودية ضيقة يعقبها باستمرار تكوينات جبلية ممتدة والمعادلة الصعبة أمامهم هي السرعة في قطع

المسافات الوعرة من الجبال الممتدة للوصول إلى فرصة صيد أو منبع ماء. وصار كل جندي عبارة عن بطارية للشحن المعنوي مايلبس واحد أن يطلق شحنته على الجميع ويفتر إلا ويتبعه آخر بشحنة إضافية وهكذا الكل يشد أزر الكل. صعوبة الأرض وندرة المياه وخلو البشر كانوا دافعاً قوياً لإنجاز مسافات السير في زمن قياسي .

بعد تلاقي القسمين بدأت الفصيلة في معاودة السير مترجلين بمحاذاة ساحل البحر الأحمر بغرض اللحاق بالمجموعة الإدارية في مرسى علم .ومنطقة الساحل يسكنها على تباعد مجموعات بسيطة من البدو الذين يتنقلون على ظهور الجمال ولكن هذه المجموعات الصغيرة أضافت الحيوية مرة ثانية على الأرض . وبتلاقى كل الجنود مرة ثانية في مرسى علم قرر الضباط التوقف لمدة يومين للراحة عن أي عمل عسكري وساعدهم على ذلك وجود معسكر بحري أمكن به تخزين كل المعدات والأسلحة .وانقضى الوقت سريعاً في التجول الحر والإسترخاء وعاد الجنود في الليل استعدادا لمتابعة مهامهم العسكرية مع أول بزوغ للفجر عندما بدأ تحرك الثلاث سيارات معاً متجهين إلى الشمال صوب مدينة بورسعيد التي أصبحت على مسيرة ٩٨٠ كيلو متراً تقريباً .

بعد أن مرّت الفصيلة من خارج القصير دون أن تعرج على سكانها أقامت معسكرها على بعد ٥٠ كم بغرض أن تجري تدريباً على الرماية يجمع بين الرمي النهاري ثم الرمي الليلي بعد غروب الشمس وتم تجهيز ميدان الرمي قرب وقت العصر ووضعت أشكال الرمي صوب مياه البحر الأحمر . المنطقة تبدو خالية تماما من أي سكان ولكن مع بدايه الرمي وانطلاق الطلقات وصدى أصواتها على صفحة المياه ظهر ثلاثة من البدو قادمون من بعد ومن اتجاه السلاسل الجبلية غرب طريق الساحل واقتربوا في حذر وتوقفوا على مسافة بعيدة يشاهدون مايحدث . وأشار لهم قائد الفصيلة أن يقتربوا وأجلسهم لمشاهدة الجنود وهم يتدربون بالرمي وتلطف معهم في الحديث وعلم منهم أنهم يقيمون في مجموعة خيام في الوادي القريب وشيخهم اسمه « **الفرناوي** ». وبعد قليل استأذنوا في العودة إلى قبيلتهم ثم عادوا مرة ثانية بعد الغروب بدعوة من الشيخ الفرناوي لإستضافة كل الفصيلة لتناول العشاء . وانتهى الجنود من الرماية الليلية ثم توجه الجميع إلى الوادي سيرا لمقر قبيلة الشيخ الفرناوي الذي خرج من خيمته في استقبالهم . وانخرط الجميع في المعاونة في إعداد العشاء وقدم قائد الفصيلة هدية إلى الشيخ جوالين من الأرز الجاف وجوال

عدس أصفر. انتشر الجنود بين رجال القبيلة يتجاذبون الحديث خارج الخيام في جلسات أرضية على أصواف الغنم وتتراقص مع الهواء الأضواء الخافتة للمصابيح اليدوية وكان يجلس بداخل الخيمة الكبيرة الشيخ الفرناوي وضباط الفصيلة ورجلان من القبيلة والرقيب فتحي بدير. الشيخ الفرناوي رجل تعدى عمره الثمانين عاماً ورغم ذلك يبدو قوياً متناسق الجسم وخالي من أي مظاهر السمنة وبادر الشيخ مفتتحا الحديث قائلا:

**الفرناوي :** نحن من بني عسقيلة وهذه هي المرة الأولى التي يقترب من منطقتنا رجال من القوات المسلحة .

**قائد الفصيلة :** نحن نمر سريعاً من هنا وفي الصباح سوف نغادر المكان .

**الفرناوي :** لي ولد ترك القبيلة منذ ١٥ عاماً واتجه إلى الشمال .

**قائد الفصيلة :** إلى أين ذهب؟ إلى القاهرة أم الإسكندرية؟

**الفرناوي :** كان يريد السفر بالبحر إلى بلد تسمى إيطاليا . ومنذ أن ترك القبيلة لم يعد.

**قائد الفصيلة :** من الصعب معرفة أين هو الآن بعد كل هذه السنوات وربما يكون قد نجح في سفره عبر البحر الأبيض إلى إيطاليا. وما كان الدافع وسبب رغبته أن يسافر إلى هناك؟

**الفرناوي :** منذ عشرين عاماً جاءت إلى منطقتنا مجموعة من الإيطاليين وكانوا يقومون ببعض الأعمال داخل الجبل من حفر وتنقيب وبحث ولكنهم كانوا متكتمين ويعملون في سرية كبيرة وكانت قبيلتنا تبيع لهم المواد الغذائية التي نشتريها من مكان بعيد . وفي هذه الأثناء تعرف ولدي على فتاة صغيرة إيطالية في مثل سنة وهي ابنة أحد المهندسين وكانت تدعى « ماريتا » . وبعد أن أنهت المجموعة الإيطالية عملها رحلت وأعطت ماريتا عنوان لها في مدينة في إيطاليا إلى ولدي صامد الذي ظل متعلقا بالفتاة وبدى عليه القلق بعد رحيلها فترة من الوقت وصارحني بعزمه على السفر إلى إيطاليا وكان مولع بحب الفتاة وحب المغامرة .

**قائد الفصيلة :** طالما انقطعت الأخبار عن ولدك طوال هذه السنوات فأغلب الظن إنه استقر في إيطاليا . والغرب هم هكذا دائماً يبحثون عن مصالح لهم . فإن حضروا هم إلى بلادنا يكون بدافع البحث عن مصالحهم وأن دعونا إليهم فيكون السبب الأول أيضاً هو مصلحتهم .

**الفرناوي :** أعلم ذلك فقد علمتني التجارب إنه لا يأتي شخص إليك بغرض ما إلا كان له منه

صالح فيما عدا الرسل والأنبياء .إن خطيبه ولدي وهي فتاة من القبيلة لاتزال في انتظار رجوعه وتأبى أن تتزوج آخر بدلاً عنه.

وتحدث شيخ عجوز آخر اسمه شيباني وقال :

**شيباني :** لدينا يا ولدي أمر يسبب لنا كثيراً من المتاعب بين الحين والآخر؟

**قائد الفصيلة :** وما هو؟ .. أخبرني ربما يمكنني المعاونة.

**شيباني :** يقطن الجبل بعض الأشقياء وهم يهاجموننا من حين إلى آخر وهم مسلحون ويستولون منا على المواد الغذائية والأغنام تحت تهديد السلاح.

**قائد الفصيلة :** دعونا نرى كيف يمكننا معاونتكم في القضاء على متاعبكم ولكن نحتاج أحد شبابكم يصحب رجالنا لكي يدلهم على مكان هؤلاء الأشقياء عند منتصف هذه الليلة .

بعد إنتهاء تناول العشاء انصرف الجميع مودعين الشيخ الفرناوي ورجال قبيلته . وكانت الساعة تقترب من السادسة صباحاً عندما اصطفت السيارات الثلاثة استعداداً للتحرك ولكنهم في انتظار الرقيب فتحي بدير وستة من الجنود الذين صعدوا إلى الجبل عند منتصف الليل . لم يطل الانتظار وماهي إلا دقائق وظهرت مجموعة فتحي بدير وهم يقتربون وأمامهم أربعة رجال من أشقياء الجبل مربوطين مع بعضهم بحبل واحد بعد أن تم مهاجمتهم في أغوار الجبل وتجريدهم من أسلحتهم . وأمر قائد الفصيلة بتأخير التحرك واستدعى الشيخ الفرناوى الذي حضر ومعه بعض رجاله وتم كتابة مايشبه بلاغ من الشيخ الفرناوي عن جرائم الأشقياء ومحضر قبض عليهم بمعرفة قوات عسكرية وإثبات تواجد أسلحة معهم وإثبات التعرف عليهم من شيخ القبيلة ثم تحركت السيارات مصطحبة معها الأشقياء الأربعة وأسلحتهم إلى أن تم تسليمهم إلى أحد وحدات الشرطة العسكرية للتصرف معهم.

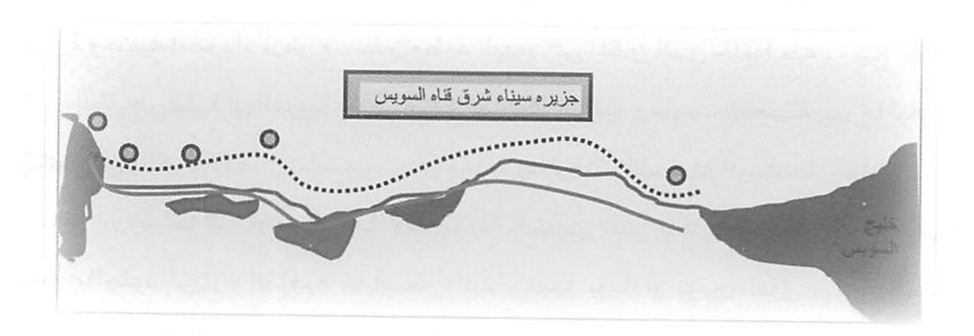
وأمضت الفصيلة عدة أيام في قطع المسافة بين الغردقة وحتى السويس وهي مسافة تتعدى ٤٠٠ كيلو متر ولم يكن السير في خط مستقيم وكثيراً ما كانت السيارات تتوغل إلى أقصى اليسار الجبلي ثم ترتد يميناً إلى الطريق الساحلي لقراءة تضاريس الأراض التي تمر بها . والغردقة تقع على المدخل الجنوبي لخليج السويس وهو الفرع الأيسر من فرعي البحر الأحمر وهو خليج بحري يصل اتساعه العرضي في بعض مناطق أكثر من ٦٠ كيلو مترا ولذا كان الضباط يدققون طبيعة

هذه المناطق لأن الأرض فيها تمثل الفرصة المثالية لعمليات خاصة يقوم بها العدو فأي مرفق حيوي أو تجمع سكاني صغير يكون منعزلاً عن الوحدات العسكرية القريبة يصير هدفاً يمكن تنفيذ أحد العمليات الخاصة عليه من ذات الطابع الدعائي الإعلامي التليفزيوني.

وأثناء السير لفت إنتباه قائد الفصيلة فجأة ظهور طريق فرعي أسفلتي ضيق يتجه يساراً وعلى غير العادة في هذه المنطقة فقرر الدخول في الطريق ومعرفة إلى أي شيء يؤدي. وبعد سير حوالي ١٠ كيلو مترات ظهر قصر غاية في البهاء المعماري ويعلو أرض مرتفعة تبتلع الطريق الموصل إليها وما أن اقتربت السيارة الأولى من مشارف القصر حتى خرج من البوابة الكبيرة المزدانة بنقوشات مذهبة ثلاثة من العرب وعلم منهم قائد الفصيلة أن القصر يملكه أمير خليجي وبادر الأمير الذي كان موجوداً بالقصر أن وجه الدعوة لكل الفصيلة لتناول العشاء على الطريقة الخليجية وأطلقوا عليها اسم «الكبسة» وكانت فرصة طيبة للتعرف على الأمير الذي كان يتحلى بحماس شديد لفكرة العروبة وحتمية استرداد أرض فلسطين وطرد اليهود إلى المكان الذي جاءوا منه . رسخ اللقاء مع الأمير الخليجي فكرة أن العروبة متأصلة في وجدان كل العرب. وعاودت الفصيلة سيرها ليلاً عقب الإنتهاء من «الكبسة» وصارت السويس على مقربة وقرر قائد الفصيلة المبيت خارجها.

وما أن وصلت السيارات إلى مشارف مدينة السويس حتى اتخذ الضباط قراراً بالإنعطاف يساراً بالجنود لزيارة القاهرة العاصمة والبقاء فيها يوماً أو يومين لعمل صيانة للسيارات ولاستكمالات إدارية من المستودعات العسكرية بالقاهرة . وتوجهت السيارات إلى أرض التدريب الخاصة بكلية ضباط الشرطة والموجودة في حي العباسية ونسق الملازم محمد مع ضابط مناوب كلية الشرطة وكان الملازم أحمد الفولي حول مبيت الفصيلة في أرض التدريب الموجودة في ساحة كبيرة خارج أسوار الكلية . وعلى الفور جهز الجنود خيامهم ومطبخهم الميداني . وبقيت الفصيلة لمدة يومين متتاليين وزار الجنود خلال بقائهم في القاهرة القلعة القديمة وأهرامات الجيزة وتسلق كل الجنود أعلى الأهرامات وزاروا برج القاهرة وملعب الإستاد الشهير بمدينة نصر والمتحف الزراعي وقبر الزعيم جمال عبد الناصر . وكانت هذه الوقفة في القاهرة تبدو أنها نقطة نهاية الاتصال بالحياة المدنية حيث ستتوجه الفصيلة مرة ثانية إلى مدينة السويس وتتابع سيرها المتأني بحذاء قناة السويس للدراسة والتعرف على التكتلات العسكرية للإسرائيليين التي أنشأوها على

الضفة الشرقية للقناة وأيضاً التعرف على الدفاعات المصرية على الضفة الغربية للقناة وحتى الوصول مرة ثانية إلى نقطة البداية في مدينة بورسعيد. والسير في هذا الخط هو يمثل سيرا داخل جبهة القتال المتوقف حيث يمر خط السير بكل الدفاعات المصرية على ضفة غرب قناة السويس وفي مواجهة حصون خط بارليف الإسرائيلي . وبوجود المواقع المصرية صار تحرك الفصيلة الثانية من السويس وحتى الوصول إلى بورسعيد بمعدل أسرع نظراً لعدم وجود مدنيين وكثرة الوحدات العسكرية والإجراءات الأمنية الصارمة وخصوصاً مايعرف بـــ «كلمة سر المرور الليلي » وهي جواز المرور من مكان إلى آخر فور هبوط الظلام .كان التوقف في هذه المناطق يكون بغرض مشاهدة فقط حصون العدو وتمييز التغير والاختلاف بين حصن وآخر وطبيعة السواتر الترابية ورصد ارتفاعاتها .

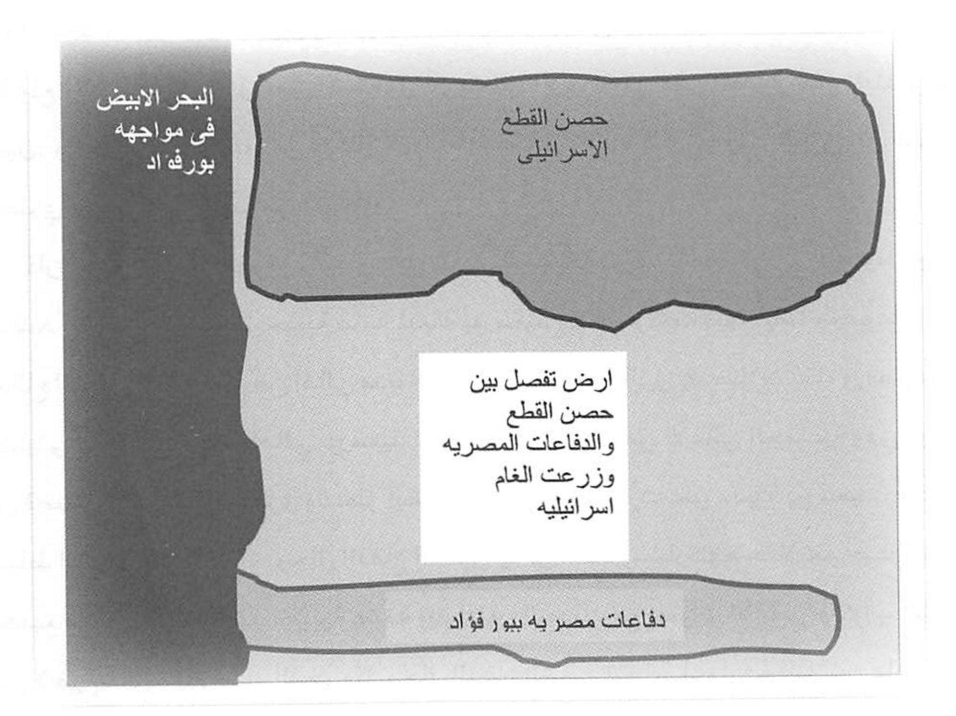



خطوط دفاعاتنا وخطوط متقطعة دفاعات إسرائيلية تنتهي بحصن القطع ببورفؤاد.

## (١٥) العودة والفوز :

في اليوم الثامن والخمسين من بداية مهمة المغامرة اتصل قائد الفصيلة الثانية بالقيادة ليبلغهم إنه في صباح الباكر سوف يصل مرة ثانية إلى نقطة البداية والنهاية أيضاً .واصطف الجنود عند وصولهم لمركز القيادة حيث استقبلهم كل من العقيد طلعت مسلم والعقيد مصطفى العباسي والمقدم عماد الدين عليوه قائد الكتيبة والنقيب مجدي الروبي قائد السرية وكان على ضباط الفصيلة أن يقدموا تقريرهم النهائي عن مهمتهم صباح اليوم التالي وتحدد للفصيلة

موقعها الدفاعي الجديد وكان في هذه المرة في مواجهة حصن إسرائيلي آخر يقبع بجزء منه مطلا على البحر الأبيض المتوسط والجزء الآخر يسيطر على الشاطىء المؤدي إلى بورفؤاد ويطلق عليه «حصن القطع».




وكانت المسافة الفاصلة بين الدفاعات المصرية وحصن القطع الإسرائيلي عبارة عن الشاطىء الرملي لجزء من البحر الأبيض المتوسط في مواجهته لبورفؤاد وملأتها إسرائيل بموانع الأسلاك والألغام وبأعلى الكثافات المتعارف عليها .

لم تمض إلا أيام قليلة على البقاء في الموقع الجديد حتى وردت إشارة تفيد فوز الفصيلة الثانية بالمركز الأول في مسابقة فصيلة المغامرة على مستوى القوات المسلحة . في اليوم التالي سحبت الفصيلة من موقعها مع بقية فصائل السرية إلى موقع آخر داخل مدينة بورسعيد لكي تعمل ضمن قوات الاحتياط لصد أي هجمات معادية مفاجأة وتعددت المهام لتشمل العمل في بورسعيد وبورفؤاد.

الفترة التي قضاها الجنود معا خلال دورتهم حول الأراضي المصرية زادت من الألفة بينهم وصارت لديهم قدرة عجيبة على التفاهم فيما بينهم وارتفعت قدراتهم التدريبية وخبراتهم العملية وتأثروا أيضاً بكل ماسمعوه من الحوارات مع المدنيين في كل مكان مروا به وكان من الواضح أن هناك سخطاً كبيراً بين المدنيين وشعور بالغصة في الحلق من الموقف في ٦٧ فلا أحد يقتنع أبداً بما وقع ولا يصدق أحد بل «**من المستحيل أن يتغلب الإسرائيلي على المصري ابن البلد وابن النيل**» والجميع على ترقب وأمل أن تثأر القوات المسلحة من العدو في أقرب وقت ممكن وكل الشعب المصري على بركان ملتهب من الانتظار.

كان الموقع الجديد للتمركز في جنوب بورسعيد في منطقة تعرف باسم «كوبري الرسوة» . وتقع في هذه المنطقة عدة مرافق حيوية هامة لمدينة بورسعيد ولذا تمركزت فيها أيضاً مجموعات من الدفاع الشعبي المدني وهم من أهالي مدينة بورسعيد ويسهرون الليل في حفلات غناء ورقص على موسيقى آلة السمسمية . وأهالي بورسعيد لديهم مخزون هائل من الأغاني الجماعية وهي عبارة عن قصص ذات معاني ومغزى وتسطر أيضاً أحداث تاريخية مرّت على مدينة بورسعيد . واعتاد ضباط السرية على الالتقاء برجال الدفاع الشعبي في كل مساء ومشاركتهم حفلاتهم حيث يجلس الجميع ملتفين حول مناضد خشبية عتيقة ويتبادلون الحديث مع أصوات الأغاني وأكواب الشاي التي لاتفرغ حتى ظهور ضوء الفجر وكل رجال الدفاع الشعبي تتجاوز أعمارهم الثلاثين عاماً .

وصلت إلى السرية إشارة تأمر بتواجد الملازم محمد قائد الفصيلة الثانية في تمام الساعة السادسة صباحاً على طريق بورسعيد الإسماعيلية وعند مدخل كوبري الرسوة حيث تمر عليه سيارة جيب من القيادة لاصطحابه في مأمورية . وفي السادسة تماما وصلت العربة الجيب يقودها العقيد طلعت فركب الملازم محمد في الكرسي اليمين وكان سائق السيارة يجلس في الخلف . أخبر العقيد طلعت الملازم محمد بأنهما متوجهان إلى منطقة حضور أول بيان عملي تجربة القيادة العامة لتوضيح الأسلوب الأمثل لطريقة عبور التشكيل المقاتل لقناة السويس واقتحام أحد الحصون الإسرائيلية وتنفيذ كل مراحل القتال حتى نهايتها . وبعد مسير حوالي ساعتين وصلت السيارة إلى المنطقة العسكرية المخصصة لإجراء البيان العملي .المشاهدون للبيان رصت لهم كراسي كتبت عليها الرتب العسكرية طبقا لأقدميات الجلوس وفوجىء الملازم محمدأن آخر صف من صفوف

الكراسي لاتزال مخصصة لرتبة العقيد فاضطر أن يبقى واقفاً خلف آخر صف ولاحظ أن كل الضباط الموجودون لمشاهدة البيان من رتبة اللواء والعميد والعقيد ولايوجد أبدا سواه الذي يضع رتبة الملازم ثانى . بعد لحظات ظهر الفريق رئيس الأركان ووقف الجميع يؤدون التحية العسكرية له ثم تحدث الفريق حوالي ١٥ دقيقة موضحاً الغرض من هذا البيان ثم أمر مدير البيان أن يعطى إشارة لكي يبدأ العرض أمام جمهور العسكريين.

أظهر البيان العديد من الأفكار الجديدة والترتيبات اللازمة خصيصاً لفكرة تأمين عبور الوحدات المقاتلة والأسلحة المرافقة والبيان معقد جداً رغم أنه تم في سلاسه وإنسياب . وبعد أن انتهى البيان فتح الفريق الشاذلي باب الأسئلة للحضور من الضباط المشاهدين وكانت ردوده على الأسئلة قاطعة وزكية وكثيراً ما كان يحيل الإجابات إلى رؤوساء الأفرع المتخصصين المتواجدين بجواره . وإذا بالملازم محمد هو بمفرده الواقف خلف كل الجلوس يطلب السؤال برفع يده. بدأ الكلام بتعريف نفسه على أنه الملازم ... وهنا تلفت الجميع تجاهه وبدرت همهمة صوتية وبادر الفريق بغضب موجها كلامه إلى مدير البيان متسائلا كيف يحضر هذا البيان ملازم في حين أن التعليمات الصادرة مسبقا أن يكون الحضور حتى رتبة العقيد فقط . ونتيجة لذلك فقد وجه الفريق الشاذلي اللوم الشفهي في الحال إلى العقيد طلعت مسلم ثم طلب من الملازم محمد أن يلقي السؤال .

**الملازم محمد :** لماذا لا تعبر الموجة الأولى على الأقل من قوات الاقتحام بقوارب يركب عليها موتور لسرعة العبور وتأكيد نجاح وصولها دون إصابات؟

**الفريق الشاذلي :** دي مسألة امكانيات وكان بودي أن يعبروا في طائرات هليكوبتر وليس في قوارب خشب ومجداف ثم إن التخطيط لذلك هو مسؤولية القيادة العامة .

**الملازم محمد :** لكن أنا الذي سأحارب وأرغب في العبور بنجاح لاقتحام الحصن وتدمير ما به وهذا يضمن نجاح باقي القوات التي ستقوم بالعبور لاحقا عليّ ونجاحي بسرعة يؤمن نجاحهم.

**الفريق الشاذلي :** سوف نفكر في ذلك وأرجو أن يكون بقية الملازمين على نفس الدرجة من الحماس والوعي.

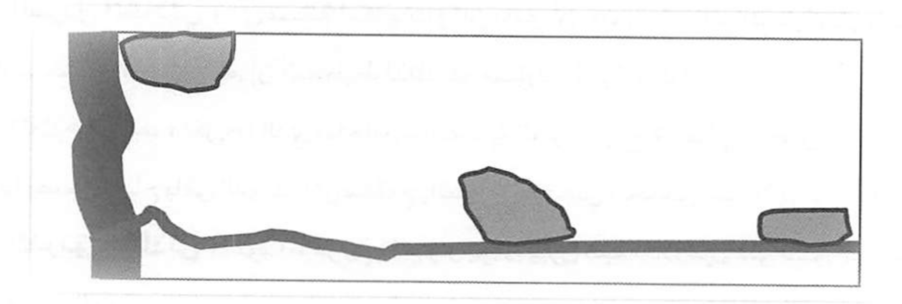
ثم طلب العقيد طلعت مسلم الكلمة برفع يده وسمح له الفريق الشاذلي :

**طلعت مسلم :** الملازم محمد هو قائد الفصيلة الثانية التي فازت بمسابقة فصيلة المغامرة على مستوى القوات المسلحة وقد أحضرته معي فربما يحظى بشرف اللقاء مع سيادتك .

**الفريق الشاذلي :** ادعو الجميع إلى التصفيق للملازم محمد فقد قدم تقريراً واعياً غاية في الدقة والروعة.

وطلب الشاذلي حضور الملازم محمد أمامه وصافحه بحرارة وهنا أوضح الملازم محمدأن الفصيلة كان يقودها معه أيضاً الملازم إسماعيل الزرقا . ثم بدأ الحضور في مغادرة منطقة البيان والعودة إلى وحداتهم.

أمضت السرية فترة زمنية من التدريب المكثف جداً حول التجديف والعبور وتم ذلك في منطقة القناة الداخلية في بورسعيد وهي فرع لقناة السويس وبعيداً عن عيون العدو. وكان الهدف من التدريبات تقوية عضلات الجنود المستعملة في التجديف وكان التدريب يتم باستعمال قوارب خشبية ثقيلة جداً وتستبدل في أحيان قليلة بقوارب مطاطية يتم نفخها باستعمال منفاخ يدفع بالقدم وكانت المعلومات لدى الجنود بأنه إذا تم العبور للقتال الحقيقي فسوف تستعمل فيه القوارب المطاطية .تلاقت في مكان التدريب عدة فصائل أخرى تتدرب على أعمال العبور وأعمال اقتحام الحصون نظرا لأنه كانت توجد حول بورسعيد ثلاثة حصون إسرائيلية . في أقصى الجنوب وأمام علامة الكيلو متر١٩ يوجد حصن وعند علامة الكيلو متر ١٠ يوجد حصن له مواجهة على القناة والجانب الشمالي له في مواجهة أرض رأس العش والحصن الثالث في منطقة القطع في مواجهة بورفؤاد .



حصن كم ١٩ ثم كم ١٠ ثم حصن القطع

تلاقى ضباط الفصائل أثناء تناول العشاء في وسط الظلام وكان عليهم تكملة التدريب ليلاً وحتى ساعات متأخرة وكل قائد فصيلة لديه الحرية التامة في تحديد متى تنتهي فصيلته من تدريبها لكي تغادر . وأثناء العشاء دار النقاش كما يلي :

**الملازم رفعت الجعيدي :** أهلي في الصعيد يدركون بحق قول الله تعالى : **﴿واعدوا لهم مااستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ﴾** « ٥٩ الأنفال» –لأن هذه الكلمات الربانية تطلب من الجميع أن يعدوا قوتهم أفراداً وجماعات ودول وكانت قوة الفرد في الماضي تحتاج أن يكون سيفه دائماً في خصره وأن يكون ماهراً في استعماله وكلما كان ماهراً زادت قوته . وفي عصرنا الحالي يجب استبدال السيف عند كل فرد بالبندقية أو الفرفر وأن يكون ماهراً في الرمي منه . وأنا أرى أن الدولة يجب أن تشجع أفراد الشعب وتحثهم على ذلك. فيكون لدينا جيش يتمثل في الأفراد العسكريين ولكن هناك بجانبه أيضاً الجيش المدني الأكبر عدداً وهو كل أفراد الشعب .لو عدد سكان مصر الآن ٦٠ مليوناً فيكون الجيش الحقيقي أكثر من ٥٠ مليوناً هم كل من تعدى عمره سن الــ ١٥ عاماً ويجيد الرمي ولا فرق بين الذكور والإناث .

**الملازم بشاى :** الحال في مصرمختلف منذ عصر المماليك .عندما كان الملك أو السلطان يخاف على ملكه من الشعب ولذلك كان يكوّن جيشاً يدفع له رواتبه ويشتري لهم الأسلحة ويجرد الشعب من أي سلاح .

**الملازم محمد :** نحن الآن في ظل نظام جمهوري ويحكم الرئيس السادات وهو واحد من أبناء الشعب وانتهى عصر الملوك من الخارج وعصر الإستعمار والمصلحة القومية تقتضي أن نكون الجيش الشعبي المدني .

**الملازم الزرقا :** الحكومة تستمد قوتها من الشعب والحكومة وحدها غير قادرة على منح القوة وإذا قامت حرب كبيرة فهناك فرق كبير بين الدولة التي لاتملك إلا جيشها وبين الدولة التي صار كل شعبها جيشاً .

**الملازم سالم الغيطي :** هل تعلمون أن القانون الحالي يجرم حمل السلاح بدون رخصة تصدر من وزارة الداخلية؟.

**الملازم فتح الله :** لكن المفروض أن الدستور يعطي الحق لكل مصري في إقتناء بندقية أو مسدس.

ثم توقف الحديث عندما انتهى وقت تناول العشاء وانصرف كل ضابط إلى قيادة فصيلته في تدريبها الليلي.

أجريت بعد ذلك دورات تدريبية مكثفة للضباط لدراسة كل المعلومات الممكنة عن العدو الإسرائيلي والتي تفيدهم في تمييز أسلحته ومعرفة قدرات العدو وطرق القتال التي يتبعها وكان من بين الضباط الموجودين ملازم أول عبد العزيز موافي وهو يتميز بقدرة غريبة وغير عادية في تجميع المعلومات وعقله أشبه بالمكتبة التي تحتوي على كل العلوم وكانت لديه مجموعة من الأفكار المثيرة للجدل وهو يرى أن نهضة الشعب المصري إن أرادت الحكومة ذلك ترتكز على ثلاث ركائز يجب تقديسها في المجتمع «الأم والمعلم والعبقري» فالأم والمعلم معا ينشآن الإنسان المصري الذي يتحرك على الأرض ويبنيها ويزرعها ويعمرها ولكي نضمن مستقبلنا لابد أن يكون حاضر الأم والمعلم متميزاً أما العبقري فهو ذلك الشخص الجوهرة التي يجب أن نكرس له كل الطاقات لاكتشافه أولا ثم الاستفادة من عقله وإبداعاته ثانيا لأن الفكر هو السر الخفي وراء كل جديد وتطور ونماء. ولقد عانى موافي في حياته الكثير من جحود الآخرين وغيرتهم منه وتكتلهم ضده ليس لشيء سوى أنه بالفعل نابغة ومبتكر جيد فهل هذا يعكس حقيقة تعامل المجتمع المصري مع العباقرة من أبنائه؟

وكان موافي يذكر دائما أن أكثر من ٨٠٪ من اختراعات العالم مسجلة بأسماء يهود فالشعب اليهودي سر قوته حالياً بسبب علمائه وابتكاراتهم المتواصلة ويبدو أن الرغبة في الإبتكار صارت عرفاً لدى اليهود رغم أن القدرة على الإبتكار ليست حكراً على شعب دون آخر.

## (١٦) تكثيف المعلومات وبناء المصاطب :

صدرت الأوامر بتكثيف مراقبة الضباط للحصون الإسرائيلية الثلاث كم١٩ – كم١٠ – القطع مما نتج عنه عمل جداول بتواجد الضباط في كل موقع دفاعي مصري يواجهه حصن إسرائيلي وكانت الفترة من الساعة ٦ صباحاً وحتى الرابعة عصراً يزدحم فيها الضباط فوق أبراج المراقبة والتي ترتفع ٢٠ متراً في الفضاء ومن لم يحن دوره بعد من الضباط ليعتلي البرج عليه أن يراقب من سطح الخنادق الدفاعية الأرضية . كان الغرض من ذلك أن يكون لدى كل الضباط في الوحدات العاملة في بورسعيد فكرة كاملة وتفصيلية عن الحصون الثلاثة ومايحدث فيها . تعدلت في النهاية

جداول المراقبة التي خططتها القيادة حيث تلازم الملازم أول مجدي ناشد مع الملازم محمد تحديداً في مراقبة مايحدث في الحصن الموجود عند علامة الكيلومتر ١٩ وتلازم أيضاً الملازم الزرقا والملازم رؤوف حسنين لنفس الغرض وربما فهم الضباط من ذلك أمر ما !

وفي صباح أحد الأيام نشطت فجأة حركة الضباط والجنود من المهندسين العسكريين وامتلأت مواقع الدفاعات المصرية بعربات نقل الرمال والحجارة والأسمنت والبلدوزارات وكان ذلك إذاناً ببدء إنشاء مصاطب مرتفعة تعلو عن ارتفاعات حصون العدو لكي تكشف كل العمق وكانت المصطبة تشبه تبة عالية لها جانب للصعود ومسطح علوي للثبات والوقوف عليه وجانب آخر للنزول والميول تناسب صعود أو نزول الدبابات والعربات والمعدات الثقيلة المجرورة . تصعد الدبابة أو المعدة وتستقر لحظات للإطلاق ثم النزول سريعاً حتى لاتصاب . وكانت عمليات إقامة هذه المصاطب عند بعض الضباط من ذوي الفراسة علامات لاقتراب الحرب مع إسرائيل . وفي نفس هذه الأيام حدثت حركه تنقلات بين الضباط وأبرز من انتقل في هذا التغيير هو العقيد طلعت مسلم الذي تولى قيادة أخرى في مكان آخر وحل مكانه في قيادة اللواء العقيد العباسي .

ذات صباح وصل الملازم أول مجدي والملازم محمد إلى الموقع الدفاعي المصري الموجود عند الكيلو متر ١٩ في مواجهة حصن « لاهتزانيت » الإسرائيلي وقدموا إليه سيرا من موقع تمركزهم بكوبري الرسوة وقابلوا النقيب صنام قائد الموقع وأخبروه أنهم سيقضون كل ساعات النهار جالسين في نقطة المراقبة العلوية ورد عليهم النقيب صنام بأنه سوف يرسل إليهم فوق البرج الشاي كل ساعة والغداء في وقت الغداء . وكان الصعود إلى أعلى البرج يتم بواسطة بكرة معلقة في نهاية البرج العلوية يتدلى منها طرفان من السلك الصلب العريض بكل منهما مسطح من الحديد يقف عليه الفرد و يشبه كفة الميزان ولكي يصعد أحد إلى أعلى يلزم أن يكون الآخر نازلا في الكفة المقابلة وقرب السطح توجد ثلاث درجات من سلم حديدي تؤدي إلى نقطة المراقبة وهي كشك بسيط من الخشب يتسع لثلاثة أفراد وبه أدوات للمراقبة وخط تليفون ميداني يتصل بقائد الموقع .

من نقطة المراقبة والتي ترتفع في السماء ٢٠ متراً يمكن للمراقب كشف جزء كبير من الحصن الإسرائيلي وكل الأرض الخلفية خارج الحصن حتى مدى البصر . والأرض الخلفية ليست سوى

ملاحات يخترقها طريق صناعي بعرض ٤ أمتار متجها إلى العمق وبعض من التباب متوسطة الارتفاع وتبتعد على أبعاد متفاوته .

اعتلى كل من مجدي ومحمد أعلى البرج وكانت السماء صافية والهواء نقي ومنعش فهو يوم حرارته معتدلة وجلسا يراقبان مايدور داخل الحصن الإسرائيلي من حركات يومية معتادة مثل دخول أو خروج بعض السيارات النصف جنزير وتحركات الجنود لأداء أعمالهم .والحصن ألوانه السائدة هي الرمادي القاتم ويجسم على سطح الأرض أشبه بالسرطان في غربته عنها لأن طبيعة الأرض المحيطة منبسطة سهلة تغلب عليها الملاحات في الجهة الخلفية ومياه القناة في الجهة الأمامية ولكن كتلة الحصن من رمال أو خراسانات أو قضبان حديد أو حجارة كلها قد أحضروها من مناطق أخرى فالحصن يبدو كجسم غريب تمت زراعته في المنطقة .في أقصى الخلف من الحصن توجد دشمة مكشوفة تماماً يراها أي مراقب من البرج ويمكن بتأملها معرفة طريقة بناء الدشمة بالتفصيل . هي عبارة عن باب حديدي سميك يغوص إلى الأسفل وأكيد أنه من الداخل يشتمل على أماكن النوم والمعيشة للإسرائيليين وتصعد من الباب خنادق إلى أعلى مكساة على الأجناب بألواح من الصاج ويعلو سطح الباب الحديدي عدة طبقات متتالية . الطبقة الأولى قضبان سكة حديد متراصة متعاكسة تعلوها طبقة من الكتل الخرسانية المتداخلة عن طريق بارات من الحديد وتعلوها طبقة من الشكاير البلاستك المقوى مملؤة بالرمال وهي على عدة صفوف وتعلوها طبقة أخرى من القضبان الحديدية المتعاكسة ثم أخيراً شبكة ضخمة من السلك المعدني والتي ملئت بالحجارة ذات الحجم المتوسط والتي تترك فراغات فيما بينها. جلس الضابطان في صمت وكل منهما مستغرق في تأمل هذه الأبنية المعقدة في تركيبها وصعد إليهم جندي ناولهم إبريق من الشاي الساخن ودار النقاش التالي بينهما بعد تأمل طويل للدشم داخل الحصن :

**مجدي بشاي :** اليهودي لايمكنه أبداً أن يتخلى عن أسلوبه الماكر سواء في معيشته أو حتى في حروبه ودائماً لديه شعور بالقلة والضعف ولذا يحاول أن يجسم ذاته ويقويها بالوهم والخداع. انظر إلى الاختلاف والفرق بين دفاعاتنا ودفاعاتهم . دفاعاتنا تقول نحن نحارب ودفاعاتهم تقول نحن نختبىء .

**محمد :** أنا لا أصدق أن كل هذه التحصينات في دشمهم بغرض أن يحاربوا منها. تحصينات مبالغ فيها .

**مجدي :** هم ماكرون . إذا هاجمناهم يمكنهم الدخول إلى داخل الدشم وغلق الأبواب الحديدية المصفحة ثم يطلبون ضرب الحصن بمدفعيتهم أو طيرانهم فنكون نحن في العراء وتحت التأثير المباشر لنيرانهم وهم في أمان الدشم.

**محمد :** من الناحية النظرية هذا يجوز ولكن أيضاً الحصن أشبه بالمصيدة لمن في داخل الدشم .

**مجدي :** أريد أن أسألك سؤالاً؟ هل الأوامر التي صدرت لنا نحن بأن نتابع مراقبة هذا الحصن تعني لك شيئا أو يمكنك ان تستنتج لها دلالة ؟

**محمد :** ربما يكلف أي منا بالهجوم على الحصن بفصيلته أو ربما نتقاسم نحن الاثنان الهجوم عليه معا بالفصيلتين وتكون مهمتنا القتالية مشتركة .

**مجدي :** لو هاجمت الحصن فصيلة واحدة تكون النسبة ١:١ ولو هاجمته فصيلتان تكون النسبة ١:٢ ولكن الأصح أن يكون الهجوم ١:٣ على الأقل في حالة حصن مثل هذا الذي أمامنا.

**محمد :** أنا لم يسبق لي أن حاربت ولا أعرف حقيقة مشاعر الحرب ولكن عندي شعور قوي بأن عشر مقاتلين ماهرون يمكنهم السيطرة على هذا الحصن .

**مجدي :** أما أنا فقد حضرت أحداث ٦٧ ويمكنني القول إننا لم نحارب ولكننا تعرضنا إلى ربكة عسكرية ومن خبرتي السابقة أقول لك أن الحرب تكشف معادن قلوب البشر ولكن الأغلبية من البشر يسيطر عليهم الخوف على حياتهم من الموت وتبقى نسبه قليلة جداً تجد نفسها مستمتعة مع القتال وكأنهم خلقوا للحرب.

**محمد :** أنت مسيحي يا مجدي ولا أعلم شيئاً عن عقيدتكم مع اليهود ولكن الدين الإسلامي يؤكد لنا أن حربنا مع إسرائيل ومن بعدها اليهود تجعل قتلانا شهداء إلى الجنة وقتلاهم إلى النار وهذا الاعتقاد يقوي عندنا تقبل الموت في الحرب بل التسابق والتنافس للظفر بالشهادة.

وقطع النقاش صوت قادم من الحصن الإسرائيلي عبر صفحة مياه القناة يتكلم العربية وبلكنة بدوية ويبدو أن المتحدث من اليهود الذين عاشوا في دولة عربية سابقا وهو ينادي على الموجودين

في برج المراقبة بعد أن صعد فوق أعلى الخنادق وبصحبته فتاة جندية ترتدي أوفرول لونه زيتي وأخذ يقبلها ويعريها .استوقف هذا التصرف محمد الذي علق عليه قائلاً : اليهودي بجانب طبع الجبن الذي فطر عليه يبدو أيضاً أنه فطر على أن يكون قوادا حتى لو أرتدى الزي العسكري واليهودية داعرة حتى لو ارتدت الزي العسكري .

خلال نفس الأسبوع عقدت القيادة تدريباً مع مجموعة من الضباط وتم إدخال تعديلات على المهام القتالية للوحدات فقد تحولت مهام كل الوحدات لتتضمن الدفاع والهجوم معا بعد العبور لقناة السويس واقتحام الحصون وبنهاية التدريب الذي استمر ثلاثة أيام صارت المهام القتالية الجديدة كاملة الوضوح وبدقة ورغم أن كثيراً من الوحدات لاتزال تتمركز بعيداً عن أماكن انطلاقاتها للهجوم وصار كل قائد فصيلة يعرف تماما واجباته القتالية في حالة الحرب. وكانت مهام القضاء على كل حصن من الحصون الثلاثة موزعة على أكثر من وحدة مقاتلة. صدرت الأوامر أن تتحرك السرية الأولى بقيادة مجدي الروبي من موقعها بجوار كوبري الرسوة إلى موقع جديد داخل بورسعيد يطل على ساحل البحر الأبيض المتوسط وعلى الفور نشطت التدريبات لمراجعة المهام القتالية الجديدة ولكن كلها في صورة تدريب صامت لماسوف يحدث وقد تحددت المهام بدقة وصارت السرية الأولى بقيادة النقيب مجدي الروبي مهمتها القضاء على الحصن الإسرائيلي «لاهتزانيت» عند الكيلو متر ١٩ وقسمت الواجبات القتالية بين الفصائل ليكون النصف اليمين من الحصن من مهام الفصيلة الثانية بقيادة الملازم محمد ويعاونه الملازم إسماعيل الزرقا أما النصف اليسار فمن مهمة الفصيلة الأولى بقيادة الملازم أول مجدي بشاي ويعاونه الملازم رؤوف حسنين والفصيلة الثالثة تعمل احتياطياً بقيادة الملازم أول احتياط محمد عبد المعطي ويعاونه الملازم أول احتياط زكريا. وصلت معدات قتالية جديدة و بسيطة لكنها ترفع من قدرة المقاتل وتم توزيعها على الجنود وأجرى التدريب عليها مرات عديدة لدرجة الاتقان الكامل عند استعمالها .

شهر رمضان له طابع خاص جداً في المجتمع المصري ويبدو أيضاً أن هذا التميز لهذا الشهر يكون أكثر تأثيراً على الجنود البعيدين عن منازلهم وأسرهم . وطبيعة وجود السرية وفصائلها في موقع دفاعي على الساحل البحري جعل من الأسماك شيئاً لابد من تواجده على موائد الإفطار الأرضية مع أذان صلاة المغرب . وكان جنود كل فصيلة تتجمع معا لتناول الإفطار وكل ضباط

السرية يتجمعون معا لتناول الإفطار في حجرة صغيرة . انضم على السرية في أول أيام رمضان عدد من الجنود كبار السن تحت إجراء الإستدعاء للتدريب وكانوا في غاية الغضب والتبرم بسبب أنهم تركوا منازلهم وعائلاتهم في أول أيام رمضان . وتم توزيعهم على الفصائل وبقوا في التدريب ثلاثة أيام ثم حصلوا على ترخيص بالإجازة ولم يصدقوا أنفسهم عندما علموا أنهم قد أنهوا بذلك هذا الإستدعاء وسرعان ماعادوا إلى تمضية شهر رمضان في منازلهم وبين أسرهم.



الجنود الذين تم استدعاؤهم في أول أيام رمضان مع قائد الفصيلة

## (١٧) تحرك على غير توقع :

يوم الجمعة هو يوم راحة من التدريب ويخصص للعمل الإداري وكان الاهتمام به غير المعتاد بسبب صيام رمضان وبعض الجنود يتوجهون إلى سوق مدينة بورسعيد لشراء بعض الخضر والفاكهة لتكون مائدة الإفطار أكثر ألواناً وتنوعاً. والجمعة كيوم إداري يناسب تبادل الجنود للعزومات فيما بينهم خلال إفطار رمضان ويحاولون الشعور بأنهم بين الأهل . وعقب صلاة العصر ينشط الجميع في التحضير للإفطار. قبل موعد الإفطار بحوالي ٣٠ دقيقة وكل الجنود

في أوج إنشغالهم بإعداد إفطار رمضان صدرت من قيادة السرية الإشارة الصوتية برفع درجة الإستعداد للقتال في الموقع واضطر الجنود لترك تحضيراتهم لتناول الإفطار وتجهز كل منهم بكامل معدات القتال وسرعان ما أصطف الجنود وأمامهم الضباط. تجمع الضباط وتناقشوا فيما بينهم وعلموا من النقيب الروبي أنه قد صدر إلى السرية أمر بالتحرك الفوري سيراً على الأقدام إلى الموقع الدفاعي في مواجهة الحصن «لاهتزانيت» وهي مسافة تزيد عن ثلاثين كيلومتراً من موقعهم الحالي وتشاور الضباط واتفق الجميع على تناول الإفطار بسرعة في غضون ٣٠ دقيقة وبعدها يتم التحرك مع ترك مجموعة مؤخرة ترتب وتنسق متروكات السرية لحين إستجلاء سبب هذا التحرك المفاجيء . تناول الجميع الإفطار على استعجال والأسئلة تدور بينهم وعليهم أيضاً مراعاة ترتيبات تناول وجبة السحور فور وصولهم إلى الموقع الجديد . قام الضباط بالتفتيش على معدات قتال كل جندي والذخيرة المتنوعة والقنابل المختلفة ثم بدأوا التحرك على الفور مخترقين شوارع المدينة وهم يتبادلون فيما بينهم أغاني السير وأغاني الحرب وكانت الأصوات تتردد في جنبات المساكن . أثناء السير تبادل الضباط الآراء فيما بينهم بحثا عن السبب من هذا التحرك وخصوصا أن النقيب الروبي أقسم للضباط أنه لايعلم شيئا عن السبب وقد حاول استيضاح الأمر من المقدم عماد قائد الكتيبة الذي رد عليه قائلاً : « **نفذ الأمر الآن .. وسوف تصلك فيما بعد أوامر أخرى توضيحية** » . غلب على الجنود أثناء السير روح الفكاهة وابتكار الأغاني وتعدت إلى إلقاء النكت في حلكة الليل وصمته إلا من أصوات خطواتهم وأصوات جر وسحب الأسلحة الثقيلة . كانت خطواتهم في البداية نشطة تدك الأرض تحتهم ومالبست أن ضعفت بسبب الأحمال التي على ظهورهم ومثبتة تقريباً في كل أجزاء الجسم .

بعد زمن من السير ليلاً وصلت الفصائل إلى الطريق الخلفي للموقع الدفاعي أمام علامة الكيلومتر ١٠ ولاحظوا أن هناك تحركات غير معتادة داخل الموقع في هذا الوقت من الليل وتوجه النقيب الروبي لمقابلة قائد الموقع وهو النقيب عابدين في محاولة لإستجلاء واستنتاج ماذا يحدث وأخبره النقيب عابدين أنه دخل بسريته منذ يومين إلى هذا الموقع ودخله مشتركا مع الوحدات التي تتمركز به والآن تغادر الموقع الوحدات التي حل محلها وهذا كل ما في الأمر وليس في ذلك أي غموض له فهو تغيير وحدات بوحدات أخرى كالمعتاد.

تابعت الفصائل سيرها بدرجة أقل من النشاط وبقي أمامها حوالي ٩ كيلومترات لكي تصل إلى هدفها . بعد منتصف الليل دخلت مقدمة الفصيلة الثانية إلى الموقع الدفاعي وأفادت عناصر المقدمة أن الموقع خال تماماً من أي قوات فالوحدات التي كانت بالموقع قد غادرته . وتوالت بقية فصائل السرية في اتخاذ أوضاعها وكانت الفصيلة الثانية في أقصى اليمين والفصيلة الأولى في أقصى اليسار والفصيلة الثالثة في الخلف . تواجد أحد ضباط الصف من الوحدات التي غادرت الموقع حيث قام بتسليم المخازن وبها معدات قتال جديدة وهامة إلى النقيب الروبي وتم التعرف على مابها من أصناف على أضواء فوانيس الإضاءة الميدانية وسلمه أيضاً ظرفاً مغلقاً بالشمع الأحمر وطلب منه أن يقرأ مابه فور أن يتسلمه . وفضه النقيب الروبي ليقرأه وكان مكتوباً داخل الظرف كلمات تقول :

**«يتم تسليم الجنود كامل الأصناف الموجودة في المخازن قبل سعت ٩٠٠باكر السبت ٦ أكتوبر١٩٧٣ – وتختبر القوارب المطاطية في صمت وسرية كاملة بين سعت ٩٣٠ – سعت ١٠٠٠ – يمر عليك ضابط عمليات سعت ١٢٠٠ تكون في انتظاره».** والتوقيع لقائد الكتيبة المقدم عماد الدين عليوة.

انشغل الجنود في ترتيباتهم بحثاً عن طريقة يتناولون بها السحور الذي اقترب موعده وتناول بعض أكواب الشاي بعد هذا السير الطويل وتكملة الصلوات وما أكثرها في رمضان وما ساعد الجنود في ذلك أن هذا الموقع معروف لهم تماما وسبق لهم التواجد فيه منذ أشهر. طلب النقيب الروبي الاجتماع مع الملازم أول مجدي والملازم محمد على أن يتولى بقية الضباط الإشراف على كل التجهيزات اللازم تنفيذها بما فيها تعيين نقط خدمة محدودة جداً وأعطاء أكثر الجنود فرصة للنوم حتى سعت ٨٢٠ صباحاً.

روى النقيب الروبي لكل من مجدي ومحمد ما كتب داخل الظرف السري ولذا فقد توصلوا إلى استنتاج بأن الغد وهو السادس من أكتوبر ويصادف العاشر من رمضان يوماً حافلاً وربما هناك لجنة تفتيش من القيادة العامة وقد تمر عليهم مبكراً ولذا فلا يوجد مجال للنوم أو الراحة ورغم أن احتمالات الحرب كانت تلوح في الأفق إلا أن الطريقة التي اتبعوها في الوصول للموقع والتوقيت أبعدت تماما عن تفكيرهم هذا الاحتمال. لقد دخل الجنود إلى موقعهم الدفاعي بعد

منتصف الليل في صياح وهتاف وأغاني واكتشفوا أن الموقع خالي تماماً من أي قوات ثم انخرطوا في إعداد الطعام لتناول وجبة السحور وأغلبهم نام بعد أن صلى الفجر ومن المؤكد أن كل ماحدث أقلق نوم الإسرائيليين على الجانب الآخر من القناة أو عطل عليهم سكرهم وعبثهم فقد كانوا في ليلة احتفال باليوم التالي وهو السبت. ظل الثلاثة يتجاذبون أطراف الحديث بعض الوقت ثم يخرجون للمرور على حراسات الموقع دواليك إلى أن اقتربت عقارب الساعة للسابعة صباحاً عندما بدأت بعض أطقم المدفعية الثقيلة في الدخول إلى الموقع وأقاموا لهم نقطة ملاحظة أعلى المصطبة وأعقبتها بدقائق دخول أطقم الأسلحة المضادة للدبابات وكانت بعض الدبابات متمركزة بالموقع من قبل وبصفة مستمرة ولها مهام قتالية ومحل تنفيذها من أعلى المصطبة . وحوالي الثامنة صباحاً تم إيقاظ الجنود من نومهم وتم تحت إشراف الضباط استكمال تسليم كل الجنود للأدوات القتالية الواردة حديثاً وتم التفتيش على صلاحية القوارب داخل مخزنها .

## (١٨) لحظات تاريخية حاسمة :

وصل ضابط من العمليات قبل الحادية عشر صباحاً وسلم النقيب الروبي ظرفاً سرياً مختوماً بالشمع الأحمر وأمره أن يفتحه للقراءة في تمام الساعة الثانية عشر والنصف ظهراً وكما هو مدون على الظرف من الخارج. الفصائل تقوم بمراجعة أخيرة لكل شيء على اعتقاد أن هناك لجنة تفتيش ثم صدرت أوامر قادة كل فصيلة للجنود بالإسترخاء والجلوس وعدم ترك مكان التجمع. اجتمع الضباط في مقر النقيب الروبي في الثانية عشرة وعشرين دقيقة ظهراً وبدأوا فيما بينهم التخمين عما قد يكون يحتوي عليه هذا الظرف السري . وعندما أشارت الساعة في يد النقيب مجدي إلى تمام الثانية عشرة والنصف أشار على الجميع بالصمت وفض الظرف وقرأه وتغيرت ملامح وجهه وأخرج علبة سجائره من جيبه وانتزع منها سيجارة وحاول محمد عبد المعطي أن يذكره بالصيام ولكنه أشعلها ثم أدار الورقة في مواجهة الضباط لكي يقرأوا بأنفسهم المكتوب . كتب بالخط الأحمر كلمات قليلة هي :

**«أمر قتال : تنفذ السرية الأولى مهامها القتالية بالفصائل وأسلحة الدعم في تمام سعت ١٤٠٥ يوم السبت ١٩٧٣/١٠/٦ –وتقوم السرية بفتح سجلات القتال» .** والتوقيع باسم المقدم عماد الدين عليوة قائد الكتيبة . عم الصمت بين الضباط ولكن كل منهم يعرف دوره عن ظهر

قلب وقرر الجميع الاحتفاظ بسرية التوقيت والبقاء في حالة هدوء أمام الجنود وعدم إبلاغهم بأي شيء عن الحرب إلا قبل موعد التنفيذ بعشرة دقائق أي سعت ١٣٥٥ وبعد أن يكون كل جندي جاهزاً في موقعه للتنفيذ . وتحرك الضباط في صمت عميق كل إلى فصيلته .

اندمج الملازم محمد والملازم الزرقا في تنظيم تكوين مجموعات القتال ومراجعة المهام مع الجنود في هدوء بالغ . في الواحدة ظهراً أعدت القوارب المطاطية داخل مخزنها المخفي بعناية وتم نفخها واختبار درجة النفخ وتركت مخبأة في مخازنها القريبة من أماكن الإنزال للعبور من القناة . وكالمعتاد كما في حالات التدريبات السابقة . وأماكن النزول إلى القناة مخفاة جيداً عن مراقبة العدو . وغلب على الضباط وبطريقة تلقائية أنهم يتحدثون بصوت منخفض مع الجنود بخلاف ما كان يحدث في حالات التدريب ولاحظ ذلك الجندي عبد العزيز حسن فقال: **«هو إحنا هنحارب بجد اليوم وإلا إيه الحكاية يافندم»** ولم يكد ينهي سؤاله إلا وصوت طائرتين تعبر القناة فوق رؤوسهم متجهة إلى سيناء وعلى ارتفاع لايزيد عن حوالي ٢٠٠ متر من سطح الأرض وما هي إلا لحظات ثم دويت الأصوات المتتابعة للمدفعية والدبابات في قصف فاجأ الجميع فأعطى الملازم محمد إشارة القتال للمجموعات قبل الموعد بثلاث دقائق في تمام ١٤٠٢ . والفصيلة الثانية مهمتها القضاء على الجانب اليمين للحصن وتتكون من ثلاث مجموعات قتال . الأولى للإطلاق الكثيف للنيران على جنود العدو أثناء العبور في القناة وفور وصولها الشاطىء الشرقي للقناة تجبر العدو بنيرانها القريبة على خفض الرأس وتدفع عناصر المهندسين العسكريين لفتح الثغرة في حقل الألغام والمجموعة الثانية تنطلق من الثغرة المفتوحة وتعتلي الساتر الترابي المائل وصولاً إلى الخنادق وتواصل الرمي على جنود العدو لمنعهم من التدخل في القتال والمجموعة الثالثة تقوم بالاقتحام ودخول الدشم من الداخل وتفجيرها وتقاتل العدو عن قرب سواء في خنادقه أو داخل دشمه إلى أن يتم القضاء على جنوده ثم تحقق الفصيلة الثانية الالتفاف إلى اليسار لتلاقي الفصيلة الأولى على الجانب الآخر وكلا الفصيلتين تحكمان السيطرة على الحصن وتقضي على جنوده . نزلت المجموعات الثلاث بالقوارب إلى المياه بفارق زمني ٢٠ ثانية بين المجموعة والتي تليها وفتحت الرشاشات المتوسطة نيرانها من خنادق الدفاع ومن فوق الرؤوس في القناة لتأمين عبور القوارب ومنع جنود العدو من الرمي عليهم وهم في المياه. انعدمت الرؤية تماماً أمام الجنود

في كل قارب بسبب دخان الطلقات وسحب الأتربة التي ارتفعت في الهواء من أثر الضربات الثقيلة على الحصن من فوق المصاطب . بدأ الجنود في قواربهم في الرمي التقريبي في اتجاه الحصن مع انعدام رؤيتهم لأي شيء واستبدلت الرؤية بحاسه التسمع . اقتربت القوارب من شاطىء النزول وفاجأهم وهم في الماء شكل الحصن وكأنه السفينة العملاقة التي تعانق السماء لأن الرؤية وضحت أمامهم وهم فقط على بعد حوالي مترين من أماكن نزولهم من القوارب والاستعداد لركوب الساتر الترابي . طوال مسافة عبور القناة كان الحصن مختفياً تماما ولم يكن يبدو منه شيء على الإطلاق بسبب الدخان الكثيف للنيران من مختلف الأعيرة المصوبة تجاه الحصن . لحظات لايمكن وصفها والطلقات تنهمر من كل الأسلحة على الحصن وجنوده وعلى الأجناب والخلف والعمق وأول ماتم تدميره بالحصن هو برج المراقبة الذي أطاحت به في الهواء ضربات مباشرة من المدفعية وغطت سحب الدخان السماء وانعدمت الرؤية تماماً كما لو أن ضباباً كثيفاً قد هبط وكادت الأصوات البشرية تكون هي فقط المرشد فلا أحد يرى شيئاً أمامه . وتداخلت السحب الدخانية السوداء والبيضاء وغطت صفحة مياه القناة . مع هذه التعمية انحرف قارب المجموعة الأولى إلى أقصى اليمين وعندما وصل إلى الشاطىء كان قد انحرف كثيراً عن علامة هبوطه وصار تحت تأثير نيران مباشرة من رشاش متوسط في أقصى الحصن ومطلاً على القناة مما أربك عمل المجموعة وتوقفت قليلاً تجنبا لطلقلات الرشاش واحتمت بجوانب الساتر وكانت قد وصلت المجموعة الثانية وتلتها المجموعة الثالثة وقفز الجنود من القوارب ولكن لم يكن المهندسون العسكريون قد فتحوا الثغرة بعد وتوقف الجميع بحثاً عن الحل ويقول الملازم محمد عن هذه اللحظة :

**«مجرد أن وضعنا القارب في المياه لم نَر أيَّ شيء من الدخان الكثيف وصارت الأصوات غير مسموعة من صوت الطلقات وحرصت أن نسير في خط مستقيم رغم وجود تيار في المياه يجرفنا إلى جهة اليمين ووصلنا وقفزت من القارب يتبعني الجنود ولم أجد هناك ثغرة قد فتحت في الألغام وشاهدت بقية جنود المجموعة الثانية يحمون أجسامهم في الساتر الترابي في أقصى اليمين وسألت نفسي ما العمل الآن والثغرة لم تفتح؟ وإذا بصورة وجه امرأة ترتدي حجاباً أبيض وبالغة الجمال تملىء السماء وتغطي صورتها كل الحصن وتقول بصوت هَزَّ**

**كل جسمي «أنا مصر ... أنا مصر .. أنا مصر » ولم أجد إلا وقدماي تحملاني حملا لاعتلي حلقات الأسلاك الشائكة صاعداً باندفاع قوي إلى الأعلى واهبط داخل خندق الحصن وبدأتُ في الرمي على الجنود الإسرائيليين وتبعني بقية الجنود بنفس الاندفاع وانتشروا داخل الحصن هنا وهناك يقتلون ويفجرون ثم تلاقينا مع جنود الفصيلة الأولى التي كانت تأخرت قليلاً في الدخول وساعدناها وتم السيطرة على الحصن واندفع من بقي حيا من الجنود الإسرئيليين إلى داخل الدشم وأغلقوا الأبواب عليهم من الداخل» .**

بسرعة نظمت الفصيلتان الحصار حول الدشم إذاناً بالتفجير والاقتحام واتخذ باقي الجنود أماكن للوقاية تحسبا أن يقوم العدو بضربات جوية أو مدفعية للقضاء على كل من هاجم الحصن وبقي خارج الدشم . وتم حصر قتلى العدو وأعطى قادة الفصائل بلاغاً إلى قائد السرية عن موقف القتال .

**«صقر واحد ... من أزرق أثنين ... الآن سعت ١٤١٩ تمام تنفيذ المهمة ١... قتلى العدو ٢٠ والباقي محاصر وتحت السيطرة داخل الدشم – قتلانا جندي واحد غريق عند العبور ... نحن نستعد الآن لاقتحام وتدمير الدشم من الداخل »**

**« صقر واحد ينادي ... أزرق أثنان.. . حاصر الدشم.. أخرجوهم أسرى ... نريد أسرى ... استمر في تنفيذ بقية المهام .. انتهى»**.

رغم جنوح قارب المهندسين العسكريين والتأخر في فتح الثغرة فقد ألهم الله جنوده السبيل وهبطوا كالبرق الخاطف وانتزعوا من الإسرائيليين أرواحهم والقوا بالجثث إلى مياه القناة وظلت طافية إلىأن أمر قائد اللواء بدفن كل الجثث ووضع علامات على أماكن الدفن .

لم تمضِ سوى دقائق في الحوار مع الإسرائيليين المختبئين داخل الدشم إلا وطلبوا تسليم أنفسهم أسرى وهكذا أرخيت الستار على حصن « لاهتزانيت» ، «وخط بارليف» إلى الأبد وصارا من ذكريات الماضي ولكن يظل الحصن شاهداً للتاريخ.

## (١٩) كيف استشهد شهيدا الفصيلة الثانية :

### الشهيد الأول : تاضرووس اقلاديوس:

وكان ضمن مجموعة الستر بالنيران والتي تعبر ضمن الموجة الأولى للقوارب بغرض حماية

عملية فتح المهندسين العسكريين للثغرة في حقل الألغام الموجود بميل الحصن الترابي على القناة وتعرضت القوارب الأولى لسحب دخانية غاية في الكثافة الناتجة عن شدة القصف على الحصن مما جعل الرؤية منعدمة تماماً ومن فرط حماس الجنود وانفعالهم وهم في مياه القناة سقط الشهيد حتى دون أن يشعر بسقوطه أحد وكان أول اكتشاف لفقده عند وصول قاربه إلى الشط الملاصق للحصن .

**الشهيد الثانى : الرقيب فتحي بدير رقيب الفصيلة :**

بعد نجاح اقتحام الحصن اندفعت الفصيلة الثانية إلى العمق وعلى بعد ٩ كيلو مترات توقفت مؤقتاً وأقامت دفاعات سريعة أمام أحد مواقع العدو. خلال ليلتين متتاليتين كان موقع العدو يقصف موقع الفصيلة بالهاون وطلقات الدبابات وكان الجنود يقفزون إلى مياه الملاحات مبتعدة عن أماكن القصف .لم يكن للجنود سوى الطريق الصناعي بعرض ٤ أمتار لإقامة دفاعاتهم المؤقتة فوقه وعلى الجانبين في باطن الطريق . يلجأ الجنود إلى مياه الملاحات حيث المياه تمتص القصفات ولاتخرج لها شظايا واحترف الجنود تمييز وتوقع مكان سقوط الدانات من صوت صفيرها فوق رؤوسهم في الهواء وينجحون في المناورة بالجري بعيداً عنها وفي اتجاهات معاكسة . طلب قائد الفصيلة من القيادة سرعة تدعيمه بطاقم هاون ليرد بالمثل على العدو ووصل الطاقم في الليل قبل موعد الفجر بدقائق بسيطة وانبرى الطاقم تحت إشراف قائد الفصيلة في قصف الموقع المعادي بقصفات حققت إصابات مباشرة ثم حضر الرقيب فتحي ليحل محل قائد الفصيلة الذي توجه لقسطٍ من الراحة ولم تمضِ سوى ٥ دقائق وإذا بدانة هاون من العدو تسقط مباشرة خلف مكان وقوف الرقيب فتحي وتقتله إحدى الشظايا في رأسه من الخلف .

## (٢٠) كيف قتل المصريون الجنود الإسرائيليين :

عندما اقتحم الجنود المصريون الحصن «لاهتزانيت» كانوا قد تسلقوا الساتر الترابي طياً لأسلاك الكونسرتينا بأرجلهم غير مبالين بوجود ألغام تحتهم واحتفظوا بصبر وبعقيدتهم القتالية التي تعلموها جيداً «الطلقة القاتلة» .لاتخرج طلقة هباءً بل لتقتل إسرائيلي فلا مجال لطلقات الوقاية أو الستر ولذا لم تكن تخرج الطلقة الفردية من فوهة أي بندقية إلا لقتل إسرائيلي وهذه مجازفة لايقدر عليها إلا رجال حقيقيون . الطلقة تصيب الجزء العاري من رأس الإسرائيلي أو

تخترق الخوذة وتهشم عظام الجمجمة وتهتك المخ . وسرعان ماسقطت ٢٠ جثة وزعر بقية أفراد العدو وفروا إلى داخل الدشم وأغلقوا الأبواب عليهم من الداخل. لم يأمنوا إلا ١٥ دقيقة عندما هددهم المصريون بإشعال نيران النابالم في الدشم وخرج ٢٢ أسيرا يرتعدون خوفاً وأيديهم أعلى رؤوسهم يتقدمهم النقيب قائد الحصن والذي أبلغ الملازم محمد عن ضابط الموساد الموجود بين الأسرى...... فكيف تم القتل ؟

١- عددالقتلى ثلاثة : بطلقات فردية من قائد الفصيلة عندما قفز إلى داخل الحصن وكانوا يرمون على رشاش نصف بوصة وفي لحظة قتلهم كانوا يوجهون الرشاش إلى اتجاه قائد الفصيلة ولكنه كان أسرع منهم وكانت المسافة حوالي ٣٠ متراً وتم القتل في أول ٣٠ ثانية من دخول الحصن .

٢- قتيل واحد : بطلقة من الجندي فتحي مهران الذي كان خلف قائد الفصيلة يحمى ظهره وباغت بها إسرائيلي يقف مذهولا في خندق مواصلات بين دشمتين جهة اليسار والزمن حوالي ٦٠ ثانية من الاقتحام .

٣- عدد القتلى إثنان : بطلقات الجندي عبد الله فرج وكان قد اندفع من الخلف مخترقاً خندق المواصلات إلى الخندق الخلفي للحصن وقتلهم به وكانوا على الجانب اليمين والزمن حوالي ٢ دقيقة من الاقتحام .

٤- عدد القتلى ثلاثة : بطلقات من الجندي طه عزب من الرشاش الخفيف وكان يساند عبد الله فرج في اختراق الحصن تجاه الخلف وكان القتلى على الجانب اليسار من الخندق الخلفي ويرمون في اتجاه الدشم الأمامية نيران عشوائية . وزمن القتل بعد ٢ دقيقة من الاقتحام .

٥- قتيل واحد : بطلقة من قائد الفصيلة في أقصى اليمين من الخندق الخلفي وكان يتبادل الرمي على قائد الفصيلة .كان قد مضى حوالي ٢-٣ دقائق من اقتحام الحصن.

٦- عدد القتلى إثنان : بطلقات من الملازم الزرقا وكان قد اعتلى أحد الدشم ليراقب من الأعلى وكان الجنديان يتجهان من الجانب اليسار لنجدة الجانب اليمين وزمن القتل حوالي ٤ دقائق من الاقتحام .

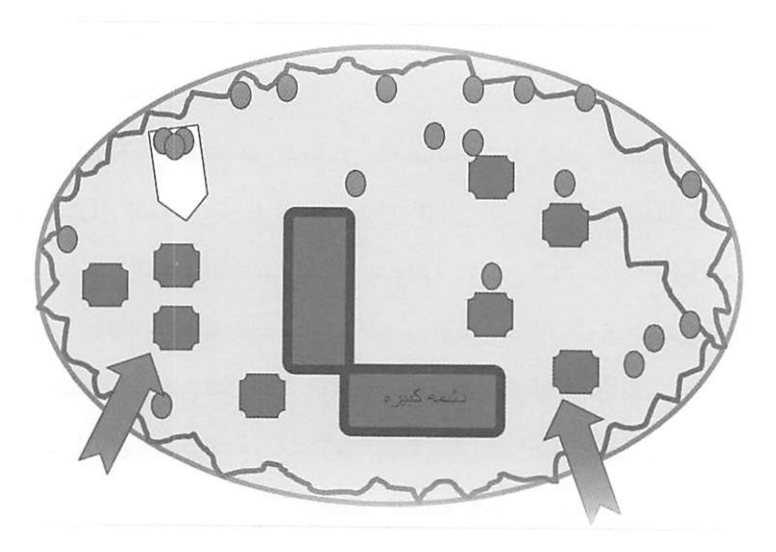
٧- عدد القتلى إثنان : بطلقات من الجندي على مرسى بعد أن تسلل إلى البوابة الخلفية للحصن وقتلهم في الخندق الخلفي بعد زمن حوالي ٥ دقائق من الاقتحام .

٨- قتيل واحد : مات محترقاً متفحماً بقصفه من قاذف لهب النابالم المحمول للجندي خالد طارق والغريب أن الإسرائيلي مات واقفا على قدميه بعد أن انصهر كل لحم الوجه وسال متجمعاً فوق صدره. وحدث ذلك بعد مرور ٤-٦ دقائق من الاقتحام.

٩- قتيل واحد : طعنه الرقيب فتحي بدير طعنة قاتلة بالسونكي شقت بطنه وكان قد زحف نحوه ثم فاجأه من أعلى الخندق وقفز فوقه. وكان قد مرّ حوالي ٤ دقائق من الاقتحام.

١٠- عدد القتلى ثلاثة : قتلهم الجندي فاروق العرباوي بالقاء قنبلتين من النوع الدفاعي في اتجاه الصندوق المعدني لعربة نصف جنزير كانوا بداخلها ويطلقون نيران رشاش العربة في اتجاه جنود الفصيلة . وكان قد مضى حوالي ٦-٨ دقائق على الاقتحام.

١١- قتيل واحد : بطلقة من قائد الفصيلة في مؤخرة رأس الجندي وكان مستمراً في قذف قنابل يدوية متتالية على مكان صعود واقتحام الفصيلة الأولى مما عطل اقتحامها وكان يقف في دشمة بالخندق العلوى تطل على الساتر الترابي . وقتل بعد حوالي مرور ١١ دقيقة من زمن الاقتحام .




دوائر زرقاء توضح أماكن قتلى العدو وعددهم عشرون

## سرد تتابع القتال :

اندفع قائد الفصيلة الثانية واطئا بقدميه الأسلاك الكونسرتينا معتليا الساتر الترابي وقفز هابطا داخل الحصن وما أن اعتدل متخذا وضع الرمي بادر بالإطلاق على ثلاثة إسرائيليين وكانوا يوجهون نحوه الرشاش النصف بوصة وقتلهم على الفور بطلقات في الرأس –كان في نفس اللحظات يندفع الجندي فتحي مهران ليحمي ظهر قائده واعتلى أحد الدشم لكشف الخنادق الخلفية فقتل إسرائيلي داخل خندق مواصلات فرعي .تسلل الجندي عبد الله فرج بين الدشم متجهاً إلى الخلف ولمح جنديين إسرائيليين في الخندق الخلفي للحصن فقتلهم .كان فرد الرشاش طه عزب يجاور عبد الله فرج ويحميه وصوب نحو ثلاثة إسرائيليين في الخندق الخلفي كان لمحهم يختفون برؤوسهم إلى أسفل وباغتهم فور ظهورهم مرة ثانية .كان قائد الفصيلة قد اخترق الجانب اليمين للخندق متجهاً إلى نهايته حيث ألقى عليه إسرائيلي عدة قنابل يدوية متوالية ولكنها مشيئة الله أن تسقط كلها وتتدحرج خارج الخندق إلى أن هاجمه قائد الفصيلة بطلقة هشمت رأسه. وكان الملازم الزرقا لمح من مكانه بالخندق العلوي إسرائيليين يقتربان من الخلف تجاه الجندي طه عزب فاعتلى الزرقا سطح الدشمة وباغتهما بطلقتين .اندفع الجندي علي مرسي كالسهم من الجانب اليمين مخترقاً كل الخندق و بدأ يتجه لليمين للخندق الخلفي ثم اندفع خارج الخندق بين الدشم ومن مكانه قتل إسرائيليين واحد كان على يمينه مباشرة والآخر كان يختبئ خلف البوابة الخلفية . نادى قائد الفصيلة الجندي خالد طارق وهو حامل قاذف نابالم وأمره بقصفه لهب على مزغل الدشمة الرئيسية وفور قصفها اشتعلت النيران واندفع إسرائيلي للخارج وهومشتعل نابالم ثم توقف ميتاً عل قدميه ولحم وجهه بالكامل قد انصهر وتجمع فوق صدره .لمح الرقيب فتحي بدير إسرائيلي يخرج من أحد الدشم مسرعاً في اتجاه عربة نصف جنزير تقف بجوار بوابة الحصن فقفز فوقه وقتله بطعنة سونكي .اقترب الجندي فاروق العرباوي من العربة النصف جنزير وكان بها ثلاثة إسرائيليين يطلقون نيراناً كثيفة من رشاش العربة فألقى عليهم ثلاث قنابل من النوع الدفاعي سقطت بين أرجلهم وقتلتهم جميعاً . واصل قائد الفصيلة تقدمه بالخندق الدائري إلى أن وصل إلى أقصى اليسار حيث المفروض أن يتلاقى مع جنود الفصيلة الأولى ولكنه اكتشف أن إسرائيلي مختبئ داخل دشمة تطل على الساتر الترابي يوالي قذف قنابل يدوية عليهم مما عطل اقتحامهم ففاجئه بطلقة في رأسه من الخلف صرعته .واندفعت مجموعات الفصيلة الأولى إلى

داخل الدشم وتم السيطرة إلى الحصن بالكامل ولم يبقَ سوى الإسرائيليين الذين تراجعوا لداخل الدشم وأغلقوا عليهم الأبواب وبقوا إلى أن استسلموا كأسرى .

## ( ٢١ ) موقف غريب بعد إيقاف إطلاق النيران :

بعد توقف القتال بضغط من أمريكا مباشر على مصر ومضت عدة أيام وبدأ الإسرائيليون البحث عن قتلاهم واستدعت قيادة التشكيل الملازم محمد وأبلغته أنه قد تم تعيينه عنصر الاتصال مع مندوب عن الإسرائيليين سوف يلتقيان بعد عمل كل الترتيبات لكي يرشد الملازم محمد المندوب الإسرائيلي عن الأماكن التي دفنت بها جثث قتلى العدو في قطاع القتال حول الحصن وكانت الجثث للقتلى أثناء الهجوم على الحصن «لاهتزانيت » وقتلى آخرين أثناء تنفيذ جنود الفصيلة الثانية لعمليات جريئة على العدو في عمق وصل تقريباً حتى عشرة كيلومترات بعيداً عن الضفة الشرقية لقناة السويس . واقتضت تعليمات الأمن أن يكون الملازم محمد في زى رقيب مصري ويحمل بطاقه باسم / عبد الستار أحمد الدريني عند لقائه مع المندوب الإسرائيلي .تقابل المندوبان وبدءا في التحرك بسيارة عسكرية إلىأماكن دفن الجثث وبعد مرور حوالي ساعتين طلب الإسرائيلي الانفراد بالرقيب عبد الستار بعيداً عن بقية المرافقين ودار الحوار :

ملازم داني شالوم : أريد أن أبلغك عن أمر هام نطلبه من قيادتكم في مدينة بورسعيد ؟

عبد الستار : تكلم ماذا تريد ؟

ملازم داني شالوم : لدينا أسرى منكم عددهم ٢١ونريد إرجاعهم إليكم مقابل شخص واحد؟

عبد الستار : بلغني اسم اسيركم هذا الذي تريدونه ؟

ملازم داني شالوم : هو ضابط مصري برتبة ملازم ثاني واسمه محمد محمد فهمي.

( وصمت عبد الستار يحاول إخفاء انفعاله وانشغل في التفكير بعمق ...أهي خدعة ... أم حقيقة .... وما وراء ذلك .. ولكنه تنبه لنظرات عيون داني شالوم فقال له :

عبد الستار : انصحك وحفاظاً على حياتك ألا تقل هذا القول مرة أخرى لي أو لغيري، لأن هذا الملازم الذي ذكرت اسمه لو عرف بطلبك سوف يقطع رأسك ولو كنت في تل أبيب وفي داخل قمقم



# من أرشيف الحرب



صورة على دشمة مدمرة بالحصن «لاهتزانيت» وفيها العقيد العباسي يرتكز على كتف الملازم محمد وإلى يساره المقدم عماد عليوة ويمينه النقيب الروبي ويرتكز ملازم أول مجدي بشاي ومجموعة من الجنود.



دبابة إسرائيلية دمرها الجندي غريب ( من السويس ) كانت تهرب إلى العمق وفي الصورة مقدم عماد والنقيب الروبي وملازم أول فتح الله وملازم مجدي ناشد فوق المدفع والملازم محمد في اليمين ويجلس الرائد سامي أبو السعود وإلى اليسار السائق عبد السميع .



العقيد العباسي – مقدم عماد – مقدم وهيب –رائد سامي – نقيب الروبي – نقيب فهمي محسب –نقيب عبد القادر – ملازم أول مجدي – ملازم أول سالم الغيطي – ملازم أول فطير –ملازم أول فتح الله – ملازم محمد – ملازم الرويني- جندي عبد السميع – جندي طه عزب .



إحدى عربات الجيب التي استولينا عليها بعد اسقاط الحصن «لاهتزانيت»



في معارك العمق وقبل وقف إطلاق النيران عربة دمرناها في كمين ليلاً .
في الصوره من الضباط : الروبي – عبد المعطي – فهمي – رؤوف – العزبي - بشاي



هذه الدبابة استولى عليها الجندي غريب ( من السويس )عندما وقف أمامها على الطريق مهدداً طاقمها بال ر ب ج وماكان منهم إلا أن استسلموا



الجندي غريب في الصورة يجلس على دبابة. والنقيب الروبي يسوق سيارة غنيمة ومجدي ناشد يرتكز باليمنى على الدبابة ومحمد يقف خلفه والثلاثة يرتدون جواكت إسرائيلية غنائم.

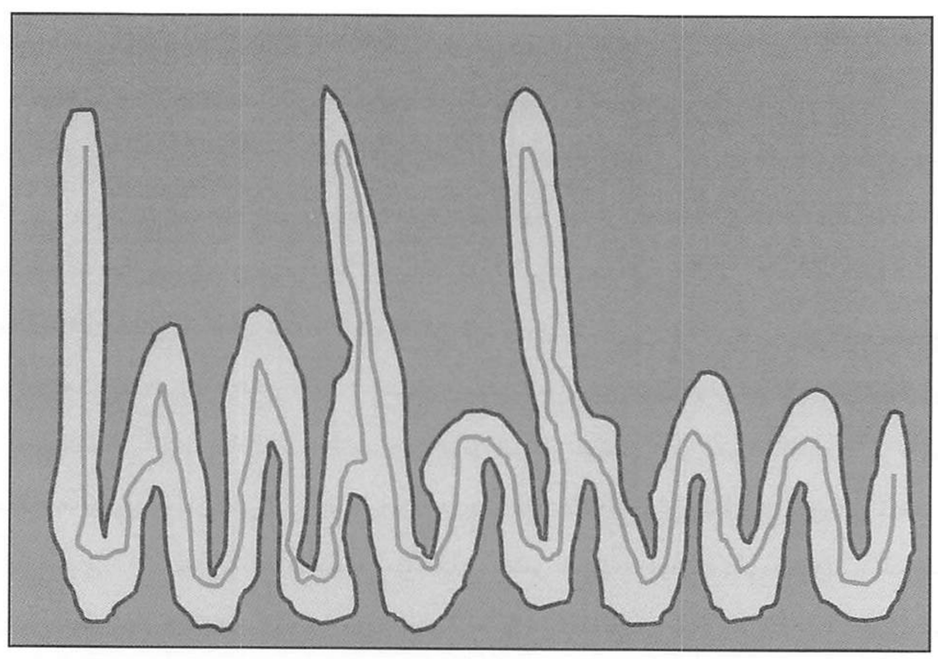


من اليمين محمد بالهلمد ثم فتح الله ثم سامي أبو السعود ثم عماد عليوة ثم الروبي ولأسفل مجدي ناشد وفي الخلف عبد السميع

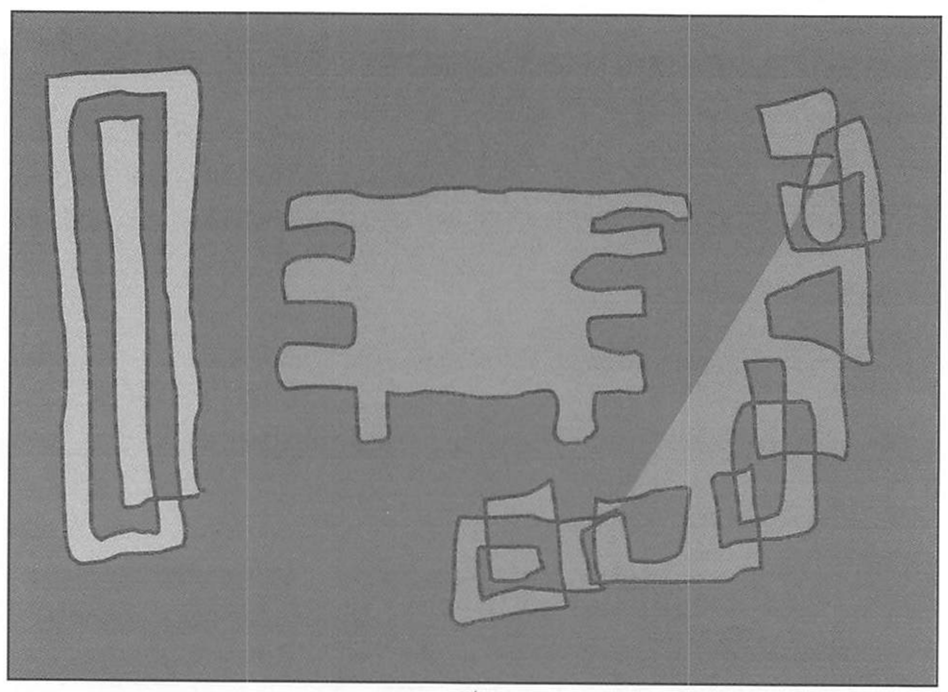
## فنان من جنود الفصيلة الثانية :

الجندي سعدون مسعد وهو من حي خان الخليلي وينتمي إلى أسرة العبادنة وهذه الأسرة تتوارث بين بعض أبنائها أحد طرق الفن الفرعونية أطلقوا عليها الرسم بطريقة «عم- حب » وكانت الرسومات تحفظ على جدران البيوت الداخلية وحكراً فقط على الأجيال المتعاقبة من سلالة العبادنة والسبب أن هذه السلالة لهاأعرافها التي ترجع إلى حوالي ٧٠٠ سنة ومنها مجلس العائلة والذي يقرر قرارات تصبح ملزمة لكل فرد في هذه الأسر . وكان هناك قرار من مجلس العائلة بعدم عرض هذا الفن «عم – حب» للجمهور الخارجي لما يتضمنه من آثار علاجية تفيد التوازن النفسي ؟ وطريقة الرسم تعتمد على العقل الباطن للفنان حيث تأتي لحظات الإبداع أثناء النوم مما يجبر الفنان على الاستيقاظ ويتناول بسرعة أدواته ليخط الخطوط المكونة للرسمة .

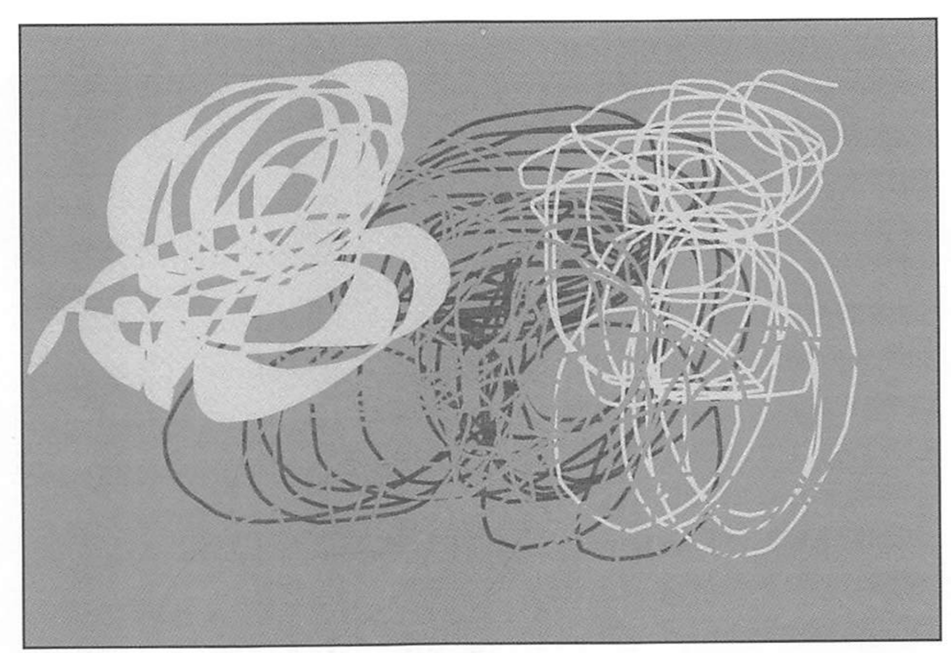
وفي عام ١٩٧٢ نجح سعدون مسعد في اقناع مجلس العائلة بالموافقة على محاولات نشر هذا الإبداع الفني على الجمهور والعامة من محبي الفنون . وهنا نعرض بعض الرسومات التي رسمت بطريقة «عم – حب» من فناني أسرة العبادنة.وبعض من هذه اللوحات غاية في القدم وتعدى عمرها مئات السنين .



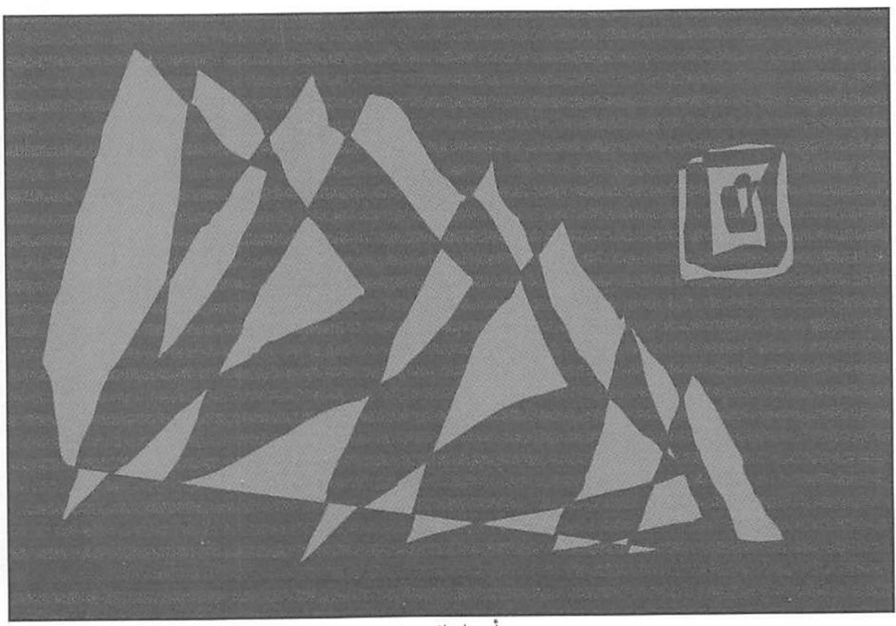
جذور



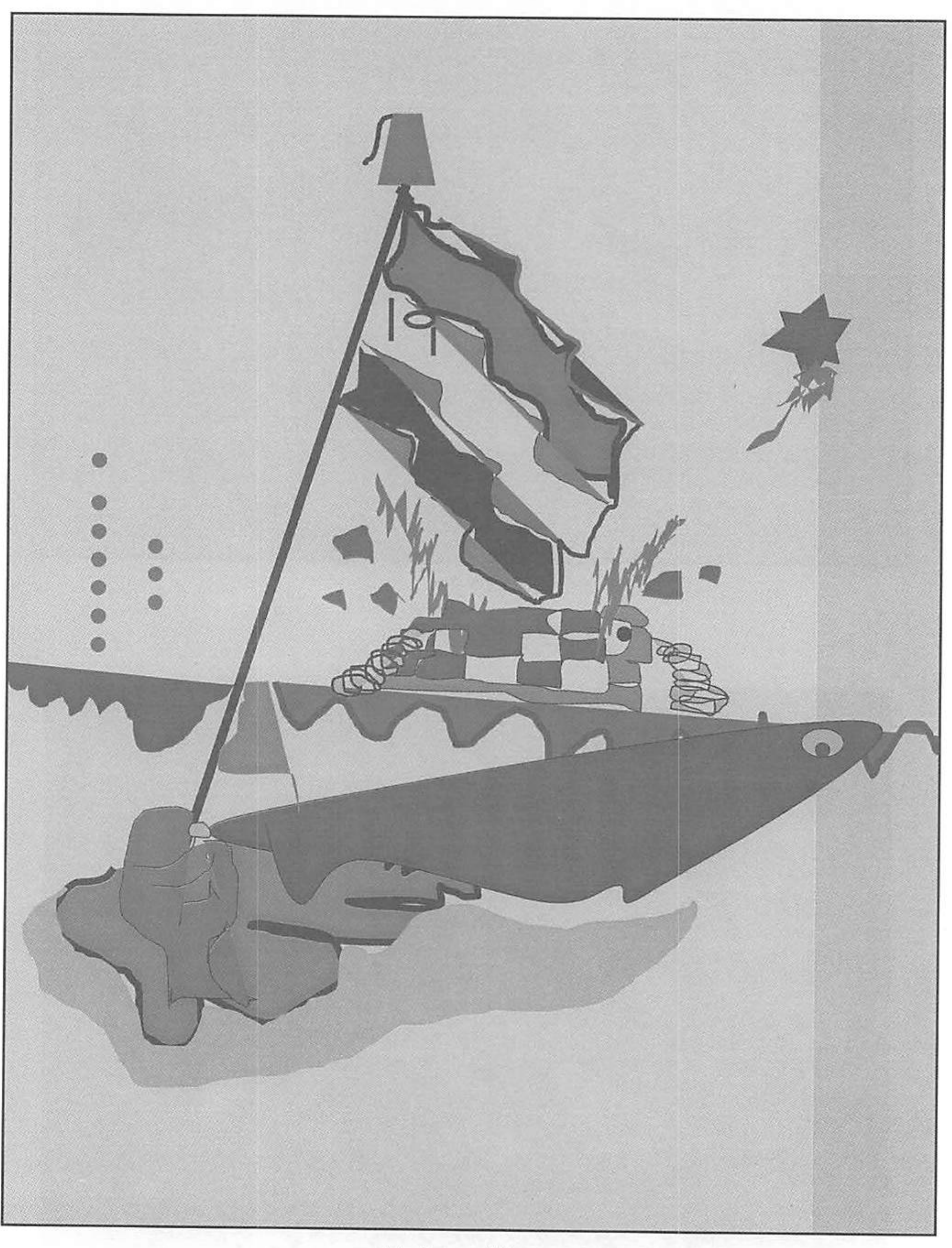
توازن



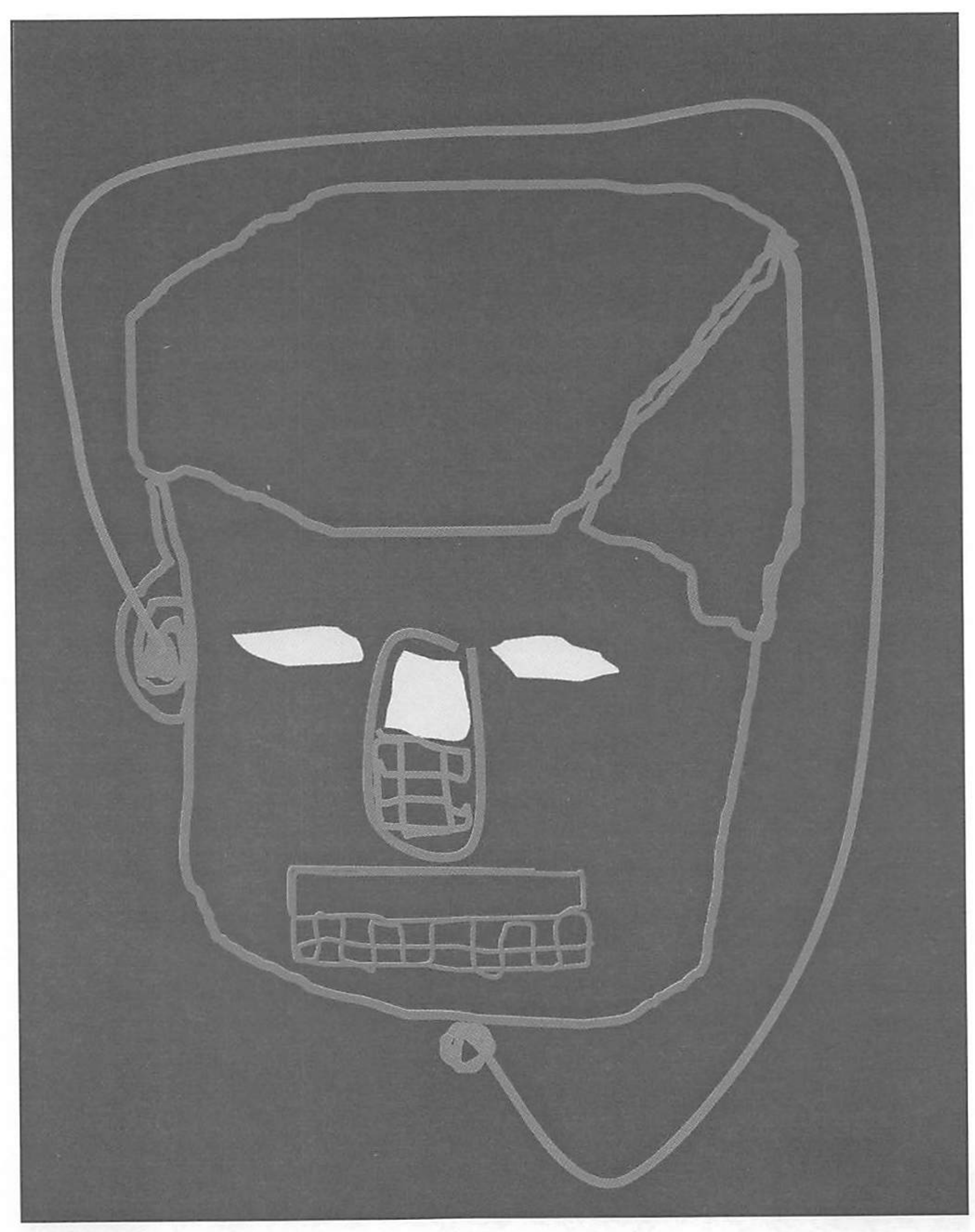
حكمحمار



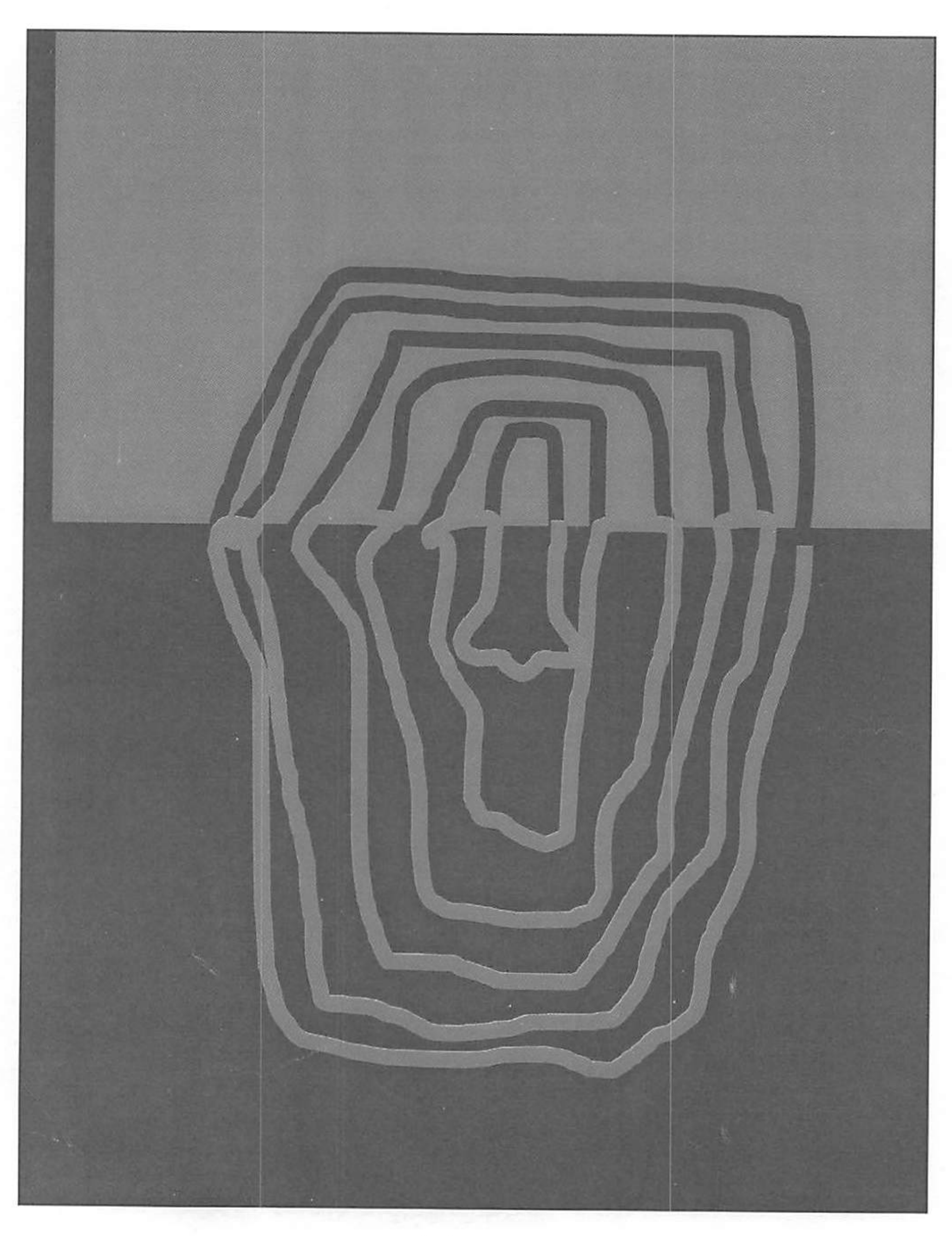
أسرار الهرم




سقوط الحصن كم ١٩



دور الحرب الإلكترونية



جذور روح المقاتل